دور الرتبة
في الظاهرة النحوية

إعـــــداد
عزام محمد ذيب إشريده

المشـــــرف
الأستاذ الدكتور حسن موسى الشاعر -

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
الجامعـــــة الهاشميـــــة
نيسان ٢٠٠٣

ونوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٣٠/٤/٢٠٠٣م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور حسن موسى الشاعر، رئيساً أستاذ النحو والصرف	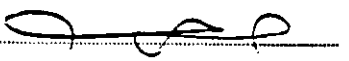
الأستاذ الدكتور علي توفيق الحمد، عضواً أستاذ النحو والصرف	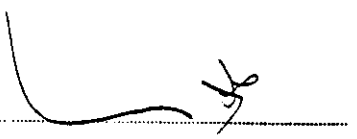
الدكتور عبدالحميد مصطفى السيد، عضواً أستاذ مشارك النحو والصرف	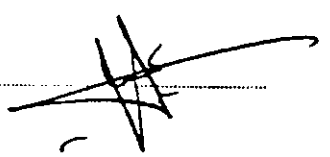

إهـــــداء

إلى أبي ...

إلى روح أمي...

إلى زوجتي، وأبنائي الذين تحملوا وضحوا بالكثير من أجلي. فلهم أهدي هذا العمل.

شكـــر وتقديـــر

كل الشكر والتقدير إلى المشرف على هذه الرسالة د. حسن موسى الشاعر الـذي ما فتئ يوجهني ويرعاني إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه، فله منـــــي جزيـــل الشكر والاحترام....

كما أشكر عضوي اللجنة اللذين تفضلا بمناقشتي...

وأشكر كذلك كل أساتذتي في مرحلة الدراسات العليا....

المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
المحتويات	هـ
الملخص	ز
الفصل الأول: نظام الجملة في اللغة العربية	١
المبحث الأول: بيان المصطلحات	٢
الرتبة	٢
الوظيفة النحوية	٩
الظاهرة النحوية	١٢
الجملة والكلام	١٣
الخاص	١٥
العام	١٥
المبني عليه	١٥
المبني	١٥
الاحتياج	١٥
المبحث الثاني: أصل ترتيب الجملة العربية	١٦
أصل ترتيب الجملة الفعلية	٢٩
أصل ترتيب الجملة الاسمية	٣٨
الجملة الشرطية	٤٢
الجملة الظرفية	٤٥
الجملة الوصفية	٤٦
المبحث الثالث: ضوابط الترتيب	٤٧
أولاً: التقدم بالسبب المعنوي	٤٧
التقدم بالزمان	٥٠
التقدم بالطبع	٥٢
التقدم بالرتبة	٥٤
التقدم بالسبب	٧٣
التقدم بالفضل والشرف	٧٦
ثانياً: التقدم بالسبب اللفظي	٧٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
الفصل الثاني: العدول عن الأصل	٨١
المبحث الأول: دراسة نظرية	٨٢
العدول عن أصل الرتبة بالضابط المعنوي	٨٨
الهدف المعنوي	٨٨
الهدف البلاغي	٩٧
أمن اللبس	١٠٣
العدول عن أصل الرتبة بالضابط اللفظي	١١٣
١- الخفة والثقل	١١٣
٢- الصدارة	١١٤
٣- الفاصلة القرآنية	١١٦
٤- القافية	١١٦
٥- المجانسة اللفظية	١١٧
المبحث الثاني: دراسة تطبيقية (أمثلة وشواهد تطبيقية)	١١٨
الفصل الثالث: دور الرتبة في الظاهرة النحوية	١٣٦
المبحث الأول: دور الرتبة في الإعراب	١٣٧
دور الرتبة في تمييز الوظائف النحوية	١٤١
التأثير في الوظائف النحوية	١٤٤
تغيير المعاني النحوية	١٤٤
التعدد الإعرابي	١٥٠
التفاضل الإعرابي	١٥٣
دور الرتبة في التقدير	١٦٠
المبحث الثاني: دور الرتبة في النظم	١٦٣
دور الرتبة في الترتيب	١٦٤
دور الرتبة في التقديم والتأخير	١٦٥
دور الرتبة في الصحة النحوية والدلالية (التفاضل)	١٨٠
دور الرتبة البنيوي (في مجال البنية)	١٩٠
المبحث الثالث: دور الرتبة في المعنى	١٩٢
النتائج	٢٢١
قائمة المصادر والمراجع	٢٢٢
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٢٩

ملخص

دور الرتبة في الظاهرة النحوية

إعداد

عزام محمد ذيب اشريده

المشرف

الأستاذ الدكتور حسن موسى الشاعر

تناولت هذه الدراسة موضوع دور الرتبة في الظاهرة النحوية، دراسة نظرية تطبيقية، حيث استند النحاة إلى الرتبة في تقعيدهم للظاهرة النحوية.

وتقوم هذه الدراسة على أصل مؤداه أن الأنظار القديمة والحديثة اعتدت بالموقع الوظيفي في بناء هيكل النحو العربي المجرد.

هذا وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن أسئلة من مثل:

- مالضوابط التي تحكم ترتيب الجملة العربية؟
- ما الأسباب التي تدعو للخروج عن أصل ترتيب الجملة العربية؟
- كيف أسهمت الرتبة في تشكيل ظواهر النحو العربي؟
- أين تلتقي النظرية اللغوية العربية مع غيرها من النظريات العالمية في هذا الموضوع؟

وتنبع أهمية هذه الدراسة من محاولتها الكشف عن أساس من الأسس التي قام عليها منهج النحو العربي، وهو دور الرتبة في الظاهرة النحوية، كما تنبع أهميتها من محاولة "إعادة ترتيب المعطيات القديمة ضمن قضايا كلية محددة المعالم، ورصد مواطن الالتقاء بين القديم والحديث للوصول إلى نظرية لغوية عربية تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتأخذ مكانها بين النظريات اللغوية العالمية"[1].

---

[1] لطيفة النجار – دور البنية الصرفية، ط١، ص ١٦ – ١٧.

وقد كان لاختيار هذا الموضوع أسباب من أهمها:

- قلة البحوث التي تبرز دور الرتبة بشكل تفصيلي، وأرجو أن تسد هذه الدراسة فراغاً في هذا المجال.
- البحث في العلائق بين القديم والحديث.

أما منهج الدراسة فهو منهج استقرائي تحليلي، يقوم على البحث في كيفية ترتيب الوظائف النحوية وضوابطها، والبحث عن دور الرتبة في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها في اللغة العربية.

وقد تشكلت الدراسة من ثلاثة فصول:

الفصل الأول : نظام الجملة في اللغة العربية، وقد تشكل من ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تناولت فيه تحديد بعض المصطلحات، كالرتبة، والوظيفة النحوية، والظاهرة النحوية، والجملة، والخاص، والعام، والمبني عليه، والمبني، والاحتياج.
- المبحث الثاني : وقد تناولت فيه أصل الجملة العربية، وأصل ترتيبها.
- المبحث الثالث: وقد عرضت فيه للضوابط التي تؤثر في ترتيب الكلام المتراتب نحوياً ومعنوياً، وهما: الضابط المعنوي والضابط اللفظي.

الفصل الثاني: العدول عن الأصل:

وقد تشكل من مبحثين:

- المبحث الأول: دراسة نظرية، حاولت فيها بيان المؤثرات في العدول عن أصل الكلام المتراتب نحوياً ومعنوياً، وبيان الأهداف التي يعدل من أجلها عن الأصل، وخاصة الهدفَ المعنوي و الهدف البلاغي وهدف أمن اللبس.
- المبحث الثاني : دراسة تطبيقية، وهي أمثلة وشواهد تطبيقية تعزز الدراسة النظرية.

الفصل الثالث : دور الرتبة في الظاهرة النحوية، وقد تشكل من ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تناولت فيه دور الرتبة في الإعراب.
- المبحث الثاني: تناولت فيه دور الرتبة في النظم.
- المبحث الثالث: تناولت فيه دور الرتبة في المعنى.

الفصل الأول

نظام الجملة في اللغة العربية

أ - بيان المصطلحات :-

١- الرتبة

٢- الوظيفة النحوية

٣- الظاهرة النحوية

٤- الجملة و الكلام

٥- الخاص

٦- العام

٧- المبني عليه

٨ - المبني

٩- الاحتياج

ب- أصل ترتيب الجملة العربية :-

١-أصل الجملة العربية

أ - جملة اسمية

ب - جملة فعلية .

٢- أصل ترتيب الجملة العربية

ج- ضوابط الترتيب :-

أ - الضابط المعنوي .

ب - الضابط اللفظي .

المبحث الأول

بيان المصطلحات

أولاً : الرتبة

المقصود بالرتبة لغةً : " المكانة والمنزلة ، يُقال : رَتَبَ الشيءُ أي ثَبَتَ فلم يتحرك ، رَتَبَ رُتوبَ الكَعْب أي انتصب انتصابه ، ورتَّبه تَرْتيباً : أثبته . وفي حديث لقمان بن عاد : رَتَبَ رُتوبَ الكعبِ، أي:انتصبَ كما ينتصِبُ الكعبُ إذا رَمَيْتَهُ ، ومنه حديث ابن الزبير ، رضي الله عنهما : كان يصلي في المسجد الحرام وأحجار المنجنيق تَمُرُّ على أُذنه ، وما يلتفت ، كأنه كَعبٌ راتِب. والكعبُ :عقدةُ ما بين الأنبوبين من القصب والقنا ، وقيل :هو أنبوب ما بين كل عُقدتين ، وقيل : هو العظم الناشز عند ملتقى الساق بالقدم "[1] .

والمقصود بالرتبة اصطلاحاً :الموقع الأصلي الذي يجب أن تتخذه الوظيفة النحوية بالنسبة للوظائف الأخرى المرتبطة بها بعلاقة نحوية تركيبية ، فهي (الرتبة) وصف لمواقع الكلمات في التركيب . [2]

وسيرد استعمال لفظ ((الرتبة)) أيضاً ،بالمعنى اللغوي ،ليدل على المنزلة أو المكانة ،والمعنيان(اللغوي و الاصطلاحي) في هذه الدراسة متداخلان .

وقد تتبعتُ مصطلح الرتبة في المؤلفات النحوية القديمة ، وأول ما عثرتُ عليه في شرح السيرافي(٣٦٨ هـ)على الكتاب حيث يقول:"فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت:زيدٌ ضربته ،فلزمته الهاء ، يعني أنك جعلتَ زيداً هو الأول في الرتبة،فلا بد من أن ترفعه بالابتداء،فإذا رفعته بالابتداء،فلا بُد من أن يكون في الجملة التي بعده ضمير يعود إليه وتكون هذه الجملة

١- ابن منظور – لسان العرب ، مادة : رتب.

٢- لطيفة النجار – دور البنية الصرفية ، ص ١٩٦ .

مبنية على المبتدأ))[١] . ويبدو لي أن هذا المصطلح قد ظهر بعد منتصف القرن الرابع الهجري . وهذا المصطلح موجود عند الفارسي (٣٧٧ هـ) في الإيضاح حيث يقول :" فالرفع في الرتبة قبل النصب و الجر ، وذلك أن الرفع يستغني عن النصب و الجر ، نحو ((قام زيد)) ، ((وعمرو منطلق)) ،والنصب والجر لا يكونان حتى يتقدم الرفع نحو ((قام زيد قياما ، ومرت بعمرو اليوم)) ويقول ((وإذا كان الرفع في الرتبة قبلهما وجب أن يقدم عليهما في الذكر))" [٢] .

كما هو موجود عند ابن جني (٣٩٢هـ) في الخصائص ، حيث يقول في باب نقض المراتب إذا عرض هناك عارض: ((من ذلك امتناعهم من تقديم الفاعل ، في نحو ضرب غُلامُهُ زيداً ، فهذا لم يمتنع من حيث كان الفاعلُ ليس رتبته التقديم ، وإنما امتنع لقرينة انضمت إليه ،وهي إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول وفساد تقدم المضمر على مظهره لفظاً ومعنى)[٣].

أما ابن السراج (٣١٦هـ)فقد استخدم مصطلح المرتبة حيث يقول:فلو قدَّمت فقلت:(ضرب غلامُه زيداً)تريد ضَرَب زيداً غلامُه)) لم يجز لأنك قدمت المضمر على الظاهر في اللفظ والمرتبة)) ، ويقول :" أما تقديم المضمر على الظاهر ، الذي يجوز في اللفظ فهو أن يكون مقدماً في اللفظ مؤخراً في معناه ومرتبته)) ويقول :((ومرتبة المفعول أن يكون بعد الفاعل))[٤] ومعناها هنا الموقع .

وكذلك الزجاجي(٣٤٠هـ) في الجمل حيث يقول في باب الإدغام:(وهو إدخال حرفٍ في حرفٍ تخفيفاً،وأصل ذلك في حروف الفم خاصة دون الحلقية.فأول ذلك معرفة مخارج الحروف ، ومَراتبها ، وتقاربها، وتباينُها ، ومهموسها،

١- السيرافي ، شرح كتاب سيبويه ، المخطوط ،ج١، ص ١٩١ .

٢- عبد القاهر الجرجاني - كتاب المقتصد في شرح الإيضاح ، ج١ ، ص ٢٠٩ ، ٢١١ .

٣- ابن جني - الخصائص ،ج١،ص ٢٩٣-٢٩٤ .

٤- ابن السراج ، الأصول في النحو،ط٣، ج٢،ص ٢٣٨.

ومجهورها ، وسائر ذلك من أنواعها))[١] وأرى أن معناها هنا هو درجاتها ومنازلها من حيث القوة والضعف . . إلخ

كما استخدم الزجاجي أيضاً مرادفاً للمرتبة وهو المنزلة ، فقال :((ومن العرب مَن إذا رخَّمَ الاسم حذف منه آخره ، فجعل ما بقي اسماً على حاله ، بمنزلة اسم لم يكن فيه ما حُذِفَ منه)) [٢] وهي هنا بمعنى ، مثل .

ويقول في باب ماذا : ((اعلم أن لها مذهبين : إنْ جعلتَ ((ذا)) بمنزلة ((الذي)) ، كان جوابُها مَعَها مرفوعاً كقول القائل:ماذا صنعت؟ فتقول خيرٌ ، كأنه قال : ما الذي صنعته ؟ فقلت : خيرٌ ، لأن موضع "ما " رفع ، لوقوع الفعل عليها في صلة الذي ، فلم يعمل في ماذا شيئاً)) [٣] وهي هنا بمعنى مكانة ، بدلاً من .

و لم أعثر على أيٍّ من هذه المصطلحات في كتاب سيبويه (١٨٠هـ) ، أو في معاني القرآن للفراء (٢٠٧هـ) ، أو في المقتضب للمبرد (٢٨٥ هـ) ، وقد استخدموا ألفاظ التقديم و التأخير .

نوعا الرتبة :-

والرتبة النحوية نوعان : "رتبة محفوظة ، وهي موقع الكلمة الثابت متقدماً أو متأخراً في التركيب " [٤] . ((بحيث لو احتل هذا الموقع لاختل التركيب باختلاله ، بسبب ارتباط المعنى بها ، وهي رتبة في نظام اللغة ، وفي الاستعمال في الوقت نفسه)) [٥] ومن أمثلة الرتبة المحفوظة : رتبة الصلة مع الموصول ، ورتبة الصفة مع الموصوف .أدوات الصدارة ورتبة غير محفوظة " وهي موقع الكلمة المتغير في التركيب متقدماً أو متأخراً " [٦] ((وهي رتبة في النظام فقط ، وقد يحكم الاستعمال بوجوب عكسها كما في تقديم المفعول على الفاعل في نحو : حياك الله ، (فتتداخل الرتبة)

---

١ – الزجاجي – الجمل في النحو ، ص ٤٠٩ .

٢ – المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .

٣ – المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ .

٤ – فاضل الساقي – أقسام الكلام العربي ، ص ١٨٦ .

٥ – تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٠٧ ،وكذلك تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص ٩١ ، ٢٢٧ .

٦ – فاضل الساقي – أقسام الكلام العربي ، ص ١٨٦ .

أو بوجوب المحافظة عليها نحو : هذا أخي ، وإنما يكون هذا أو ذاك ، عند خوف اللبس أو اتقاء مخالفة القاعدةأو الأصل)) [١] ومن أمثلة الرتبة غير المحفوظة ، رتبة المبتدأ و الخبر ، ورتبة الحال . وهذه الرتبة هي مصدر الاتساع في اللغة ، وتنوع الأساليب ، والمعاني ، والإعراب ،أو هي مصدر ما يمكن أن نطلق عليه لغة الإبداع ، والتفنن ، ونقل الكلام من مستوى اللغة المثالي إلى مستوى اللغة الإبداعي [٢] ، التي يتفاوت المتكلمون في استخدامها كأساليب للتعبير عن مكنوناتهم ، وذلك كقوله تعالى :(ويُطعِمون الطّعام على حُبّه مِسكيناً ويتيماً وأسيراً) (الإنسان ٨) والأصل في هذه الآية (ويُطعِمون مِسكيناً ويتيماً وأسيراً الطّعام على حُبّه) وتقدم المفعول الثاني مع الجار والمجرور ينقل الآية من لغة الإيصال (النفع) إلى مستوى لغة الانفعال . فإطعام الطعام مع تقدم الجار والمجرور ، يختلف عن إطعامه مع تأخيره ، وكأن هؤلاء الناس (يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وهذا المعنى لا نصل إليه مع تأخير الجار و المجرور ، ومجيء الآية على الأصل ، لا يحمل لنا أية شحنة عاطفية ، وهو ما يسمى في علم الأسلوب درجة الصفر [٣] . بينما نقلت الآية مع العدول شحنة انفعالية مؤثرة ، نتيجة نقل المفعول الثاني والجار والمجرور من منطقة الظلام إلى منطقة النور ، حيث صارا محط الاهتمام .وتقدم المفعول الثاني بالرتبة ، أدى إلى تقدم الجار والمجرور بالاهمية لأنه مرتبط به معنوياً فهو حال من المفعول ، وبذلك تترتب الآية من العام إلى الخاص عدولاً بعد أن كانت تترتب من الخاص إلى العام أصلاً [٤]، كما أن تأخير (على حبه) يشعر بأن المُطْعَمين هم المحبوبون كما كان في عملية التقدم رعاية للفاصلة . فعملية إعادة توزيع الرتبة تمت من أجل الهدفين المعنوي واللفظي .

كما قال تعالى (وإنْ أحدٌ مِنَ المُشْرِكين استَجارَكَ فأجِرْهُ)(التوبة ٦) والأصل في هذه الآية هو:وإن استَجارَكَ أحدٌ مِنَ المُشركين) ولكن تقدم أحد بالرتبة (المنزلة) فصارت (وإن أحدٌ) ولكن لم يتوقف الأمر على تقدم

١- تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٠٩ وكذلك البيان في روائع القرآن ، ص ٩١ .

٢- محمد عبد المطلب - البلاغة والأسلوبية ، ص ٣٢٩ .

٣- شكري عياد - اللغة والإبداع ، ص ٤٤ .

٤- المقصود بالخاص هو : القريب ، والمقصود بالعام هو البعيد .

(أحدٌ) ، بل تقدم معه (من المشركين) لأنه وصف له ،، وهو أقرب من الوصف الثاني (استجارك)، وهذا بالطبع أدى إلى تقدم (من المشركين) على (استجارك) بالرتبة (المنزلة) وذلك بسبب قوة العلاقة المعنوية بين الموصوف والوصف الأول . وقد جاء العدول عن الأصل من أجل الغرض المعنوي ، فالأهمية للمستجير وهويته وليست لفعل الاستجارة ، كما أن بقاء (من المشركين) في مكانها متأخرة ، يشعر بأن هذا (الأحد) ليس من المشركين وإنما هو يستجير بالرسول الكريم خوفاً من المشركين ، أو بسبب منهم ، مما أدى إلى العدول ليرتبط الشخص مع هويته أمنا للبس ، والآية تترتب بالمنزلة من الخاص إلى العام أصلاً و عدولاً .

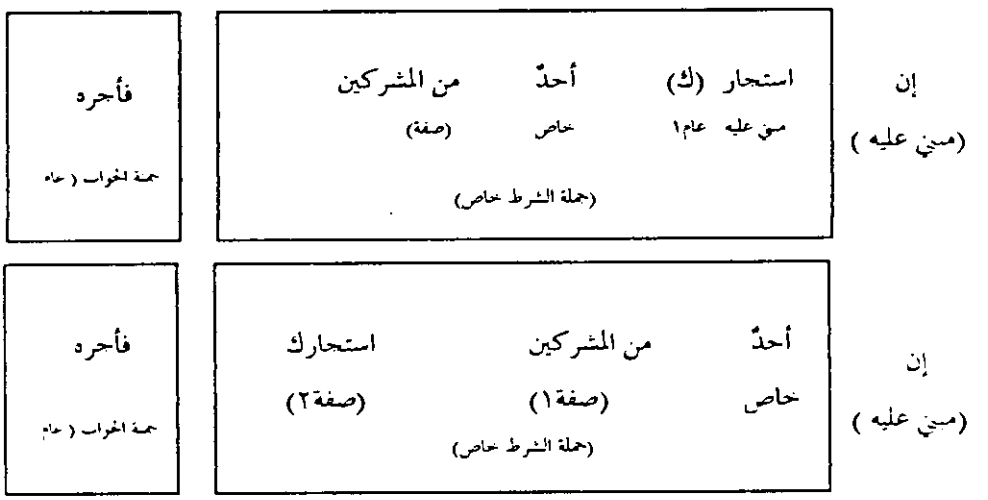

تقدمت (من المشركين) بسبب تقدم الموصوف ، وذلك لشدة الارتباط مع ما قبلها . ولكنها تأخرت عن (أحدٌ) لأن حاجة الفعل للفاعل أشد من الحاجة للوصف، وبسبب الارتباط بين الموصوف "أحدٌ " وصفته . وكذلك لانتفاء العلاقة بين الفعل والوصف ، وبهذا تترتب المباني بحسب قوة العلاقة المعنوية . وقد أدى تغيير المواقع إلى تغيير إعراب استجارك من الفعل إلى الوصف وهذا الإعراب على رأي الجمهور ، وإن كنت أرى أن جملة الشرط مكونة من المبتدأ وصفته وخبره ، إذ لا داعي لتقدير فعل هنا يفسد المعنى (١) كما أن الإعراب فرع المعنى ولأن التقدير هنا يتنافى مع الغرض

---

١ – انظر فاضل السامرائي – معاني النحو ،ج٤ ، ص ١٠٢

الذي تم التقدم من أجله خاصةً أن المباني تترتب بالأهمية كما سيأتي على الخصوص في مبحث التمايز النحوي والدلالي.

كما قال تعالى: (واضربْ لَهُم مَثَلاً أصحابَ القرية)(يس١٣)والأصل فيها: ((واضرب أصحابَ القرية مثلاً لهم))

ولكن مجيء الأصل يشعر بأن الضربَ سيقع على أهل القرية كما سيفصل بين (القرية) والضمير العائد إليها في (إذ جاءها المرسلون) ، مما أدى إلى تقدم العام (لهم) بالرتبة وهذا أدى إلى تقدم ما هو أخص منه وتأخير المفعول أمنا للبس وبهذا تترتب المعاني بالرتبة بعضها من بعض ومن المبني عليه ، من العام إلى الخاص عدولاً أمناً للبس ، وللغرض المعنوي فالضرب لهم لأنهم هم المعنيون بالأمر .

أصل / خاص – عام

(واضرب)	(أنت)	(أصحاب القرية)	(مثلاً)	(لهم)
(مبني عليه)	(خاص)	(عام ١)	(عام ٢)	(عام ٣)

عدول / عام – خاص

(واضرب)	(أنت)	(لهم)	(مثلاً)	(أصحاب القرية)
(مبني عليه)	(خاص)	(عام٣)	(عام٢)	(عام١)

(جار ومجرور)	(مفعول ثان)	(مفعول أول)

وقال المتنبي :

على قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قَدْرِ الكِرامِ المَكَارِمُ

وتعظُمُ في عينِ الصَّغيرِ صِغارُها ... وتَصْغرُ في عَيْنِ العَظيمِ العَظائمُ

والاهتمام في هذين البيتين تعلق بالعام ، فقد تعلق الاهتمام في البيت الأول بالحال ،كما تعلق الاهتمام في الثاني بالظرفين ، فتقد ما بالأهمية وصارا أقرب إلى الفعل من الفاعل . والبيتان يترتبان من العام إلى الخاص عدولاً من أجل الغرض المعنوي فالتركيز فيهما على الشخصية ، كما أدى ذلك إلى رعاية التصريع والقافية . كما يلاحظ حفظ رتبة المضاف والمضاف إليه في الأصل و العدول . ومن هنا كانت الرتبة غير المحفوظة ، وسيلة للإبداع ، ووسيلة لإيصال المعنى المقصود بدقة متناهية ، حيث إن لكل معنى مبنى خاصاً به .

أما من ناحية الإعراب ، فالظريف في قولنا : حضر زيدٌ الظريف : صفة،وهو فاعل في قولنا حضر الظريفُ زيدٌ ، وزيدٌ في الأولى فاعل ، وفي الثانية بدلٌ . فالرتبة غير المحفوظة تؤثر في الوظيفة النحويةوكل ذلك بفعل المنزلة .

" و يظهر أن بين الرتبة وبين الظواهر الموقعية رحماً موصولة ، لأن الرتبة حفظ الموقع و الظاهرة الموقعية هي تحقيق

مطالب الموقع على رغم قواعد النظام "[١]."والرتبة ، قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق ، يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه .... ، والذي يبدو لي أن الرتبة فرع على التضام بمعناه العام وإذ لا رتبة لغير متضامين" [٢].

هذا و تمثل الرتبة بعداً أساسياً من أبعاد حد الوظيفة النحوية ،ويتضافر هذا البعد مع المعنى النحوي والشرط الصرفي والبعد الدلالي في تشكيل الحد الوظيفي[٣] . ومن ذلك المبتدأ وهو " ما جردته من عوامل الأسماء ومن الأفعال والحروف، وكان القصدُ فيه أن تجعله أولاً لثانٍ مبتدأ به دون الفعل ، يكون ثانيه خبره ولا يستغني واحد منهما عن صاحبه"[٤] . أما الفاعل فهو " الاسم الذي يرتفع بأنه فاعل هو الذي بنيته على الفعل الذي بني للفاعل ، وبجعل الفعل حديثاً عنه مقدماً قبله ، كان فاعلاً في الحقيقة أو لم يكن "[٥] . والمفعول معه : " اسم فضلة تالٍ لواو بمعنى مع ، تالية لجملة ذات فعل أو اسم فيه معناه ، وحروفه ، كـــ سِرْتُ والطريق ، وأنا سائر والنيل "[٦] . فالرتبة تشترك مع غيرها من الأبعاد ، لتمييز الوظيفة النحوية من غيرها .

---

١ - تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٠٨ .

٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

٣ - لطيفة النجار - دور البنية الصرفية ، ص ١٩٦ .

٤ - ابن السراج - الأصول في النحو ، ج١ ، ص ٥٢ .

٥ - المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

٦ - ابن هشام - أوضح المسالك ، ج٢ ، ص ٢٣٩ .

ثانياً : الوظيفة النحوية

((يدل التراث النحوي العربي على أن النحاة العرب اهتدوا إلى مضمون الوظيفة النحوية،إلاّ أنّ إدراكهم إياه لم يكن من التبلور بحيث يسمح لهم بتجسيمه في مصطلح قار،وإن استخدم الجمهور مصطلح "المعنى"للتعبير عن هذا المفهوم))[١] .

و المقصود بالمعنى هو المعنى النحوي و ليس المعنى اللغوي أو المعجمي للمفردة ، على حد ما يقول الزجاجي :

((إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ، ومفعولة ، ومضافة ، ومضافاً إليها ، و لم تكن في صورها ، وأبنيتها ، أدلة على هذه المعاني ، بل كانت مشتركة ،جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني)) [٢] .

وذلك لأن الإعراب ما هو إلا ((ناتج من نتائج تركيب الكلمات بعضها إلى بعض ، على نحو مخصوص))[٣] . خاصةً أن النحو يعني " القوانين الكلية التي تركب بها الكلم بعضها إلى بعض وتحصل منها الإفادة)) [٤] .

فمفردة كـــ ((زيد)) صالحة للدخول في سياقات مختلفة ، ووظيفتها النحوية تعتمد على العلاقات داخلها وعلى الروابط بينها وبين غيرها من المفردات داخل كل سياق ، ومن هنا فلا بد من وجود علامة تميز وظيفة من أخرى ، وإن كانت هذه الوسيلة غير كافية وحدها للوصول إلى الوظيفة النحوية (٥) وفي رأيي أن المعنى العام (الدلالي) هو القادر على تمييز وظيفة من وظيفة أخرى غالباً .

فزيدٌ في قولنا ((قام زيد)) ليس فاعلاً لأنه مرفوع ، وإنما لأنه قام بالفعل ، وحركة الرفع ناتجة عن ارتباط قام مع زيد على نحو مخصوص . ولو عكست العلاقة بينهما كأن نقول: زيد قام ، لبقي زيدٌ مرفوعاً ، ولكن الوظيفة التي يمثلها زيد الآن وظيفة الابتداء فالوظيفة ليست ناتجة عن الحركة بل الحركة ناتجة عن

---

١ – عبدالسلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي – الشرط في القرآن الكريم،ص١٣٩

٢ – الزجاجي – الإيضاح في علل النحو ، ص ٦٩

٣ – عزالدين مجذوب – المنوال النحوي العربي ، ص ١٤٠

٤ –المصدر نفسه ، ص ١٣٥.

٥ – انظر تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٠٧ .

الوظيفة ،وتميزها من غيرها من الوظائف . وإلى هذا يشير ابن جني حين يعرّف الإعراب بأنه ((الإبانة عن المعاني بالألفاظ ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرمَ سعيدٌ أباهُ وشكر سعيداً أبوه ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ،ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه))[١] .ومن هنا فالإعراب ناتج عن العقد و التركيب بين أجزاء الكلم وهو وسيلة لتمييز الوظائف النحوية . وإلى هذا أشار عبدالقاهر الجرجاني بقوله ((إذا كان قد عُلِمَ أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها))[٢] .فالكلمة المفردة ليس لها معنى نحوي إلا من خلال وضعها في سياق معين ، ومثل ذلك قول الجرجاني :" وأما نظمُ الكلمِ فليس الأمرُ فيه كذلك ، لأنك تقتفي في نظمِها آثارَ المعاني ، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذاً نظمٌ يُعتبر فيه حالُ المنظوم بعضهُ من بعض ، وليس هو النظمُ الذي معناه ضمُ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق))[٣] .فلابد من وجود الانسجام بين الألفاظ ، وهذا الانسجام هو الرتبة (المنزلة) بين المباني أو التعليق ،فالألفاظ تعبير عن المعاني النفسية التي تترتب وفق ترتيبها في النفس ، وعملية نظمها ليست اعتباطية ، وإنما هي تابعة لقصد المتكلم ، وما العلامات إلا وسيلة لتمييز المعاني النحوية بعضها من بعض ، من أجل حصول الفائدة . "وذلك لأن الرافع و الناصب و الجار و الجازم إنما هو المتكلم ، و الألفاظ لا عمل لها ، لكن لما كان المتكلم يرفع عند حضور بعض الألفاظ ،وينصب عند آخر ،ويجر و يجزم عند آخر،فكانت تجري مع أنواع الإعراب وجوداً وعدماً، نسبوا العمل إليها اتساعا ونظماً للاصطلاح فقط .ولما رأى الناظم هذا الاصطلاح مما قد يخفى على كثيرٍ من الناس حرر عبارته

١- ابن جني - الخصائص ،ج١ ، ٣٥

٢- عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص٢٨

٣-المصدر نفسه ، ص٣٥

على الأصل المقصود ، فلم يبق ما يعتذر منه فقال : فانصب به مفعوله ، ففاعل انصب هو المتكلم و الباء في به للسبب كأنه قال: انصب أيها المتكلم مفعول الفعل بسببه وبحضوره ، فلم ينسب العمل إلا للمتكلم لكن بقرينة الفعل الطالب للنصب " [١] . "والدليل على صحة رأي الناظم أن أصل العمل الطلب،والطالب للمفعول ليس شيئاً غير الفعل ، فهو إذاً العامل ،ولذلك ترى المفعول يدور مع الفعل في تصرفه وجوداً وعدماً فإن كان الفعل متصرفاً تصرف المفعول ، فتقدم أو توسط وإذا لم يكن الفعل متصرفاً لم يتقدم ولا زال عن موضعه الخاص به "[٢] . فمكونات الجملة مرتبطة بهذا العامل فإذا قلت : زار "زيدٌ" بالتسكين فإن كلمة زيد تبقى مفتوحة على احتمالات متعددة فإذا أردت أن يكون زيدٌ الزائر رفعته وإن أردت منه أن يكون المزور نصبته"،وهذا يعني أن المتكلم عندما يحرك شفتيه وينطق بالعبارة يمارس عملية اختيار على صعيد المعنى ، أي إنه يفكر وهو يتكلم أو يتكلم وهو يفكر [٣] . وبالتالي فالحركة رمز للوظيفة النحوية المقصودة والمحصلة من خلال المعنى .

"فالنظم عند الجرجاني قائم على مراعاة المعاني النحوية وقواعد تركيبها ، إذ لا وجود لمعانٍ تظهر من خلال الترتيب والنظم إلا في داخل السياق ، فالمعاني التي تُرَتبُ هي المعاني الوظيفية ، لأنها قائمة على وجود علاقات نحوية تربطها بعضها ببعض وترتبها حسب قواعد معلومة ،فلو استبدلنا بكلمة المعاني في نص الجرجاني السابق كلمة الوظائف لما اختلف القصد" [٤] .

وكمحصلة لما ذكر فإن المقصود بالوظيفة النحوية هو : المعنى النحوي الذي تؤديه الكلمة ، و النابع من علاقتها بغيرها من الكلمات داخل التركيب .

---

١ – الشاطبي – المقاصد الشافية في شرح ألفية ابن مالك ، ج١،ص١٣٣-١٣٤.

٢ – المصدر نفسه ، ص١٣١.

٣ – د.محمد عابد الجابري – بنية العقل العربي ، ص٤٦ .

٤ – لطيفة النجار – دور البنية الصرفية،ص١٤٥.

ثالثاً : الظاهرة النحوية

والمقصود بالظاهرة النحوية :" جميع الأشكال اللغوية التي تبنى منها الجمل في لغة ما ، بغض النظر عما تحمله من دلالات ومعان معجمية ، فكأن الظاهرة النحوية ، أو المستوى النحوي ، هو الهيكل البنيوي للّغة المدروسة ، الذي تعرض فيه الروابط والعلاقات بين الوظائف النحوية المجردة ، والمواقع المختلفة لكل وظيفة ، وتبحث فيه كذلك الشروط الصرفية والترتيبية والدّلالية لكل وظيفة نحوية " [1] .

فالظاهرة النحوية ، هي الأصل النحوي الثابتّ المجرد الذي يخص الوظائف النحوية ، وأحوالها ، أو هي القاعدة النحوية المجردة ، وهي مستمدة من ملاحظة اللغة ومتحكمة فيها ، بحيث يتشابه اللاحق بالسابق ، والكلام ما هو إلاّ مجموعة من الكلمات المترابطة التي تسير بحسب القانون المستمد من الكلام نفسه .

فالظاهرة النحوية تقوم أساساً على الوظيفة النحوية ، وهي أشمل منها ، وهي كل ما استطاع النحاة تجريده من نظرهم في المادة اللغوية المدروسة ، وهي الوظائف النحوية وشروطها ، وما يطرأ عليها من تغيير أو تبديل داخل التركيب ، والعلاقات بين الوظائف النحوية داخل التركيب ، فكل قاعدة قعدها النحاة تعتبر ظاهرة نحوية لها ظروفها المحيطة بها . وتأتي الرتبة من بين الأمور التي تؤثر في هذه الظاهرة ، وفي شروطها ، وعلاقاتها وتحولاتها .

فالنحو العربي يتشكل من ظواهر نحوية متعددة ، ونجد الرتبة قد أسهمت في صياغة الظواهر النحوية ، فهي إذن تسهم في بناء النحو العربي أو هيكله . والجمل هي الأشكال اللغوية التي تمثل القواعد المجردة ، وعندما نتحدث عن الجمل، فإننا نتحدث عنها باعتبارها مجموعة من الكلمات لها وظائف نحوية تنضام لتشكيل الجملة ، فعندما نقول : الفاعل : اسم مرفوع يتأخر عن فعله ، فهذه تعتبر ظاهرة نحوية يمثلها الشكل اللغوي : قام زيدٌ .

١- لطيفة النجار – دور البنية الصرفية ، ص١٣٩.

رابعاً : الجملة و الكلام

يقول ابن هشام في المغني : الجملة عبارة عن الفعل وفاعله "كقام زيد" و المبتدأ وخبره " كزيد قائم " وما كان بمنزلة أحدهما نحو "ضُرِبَ اللصُ و"أقائم الزيدان " وما كان زيد قائماً" " وظننته قائماً " [١] .

ومن النحاة من يقرن بين الجملة و الكلام كابن جني (٣٩٢ هـ) فيقول : أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيدٌ لمعناه ، وهو الذي يسميه النحاة الجمل ، نحو : "زيد أخوك ، وقام محمد "[٢] . وكذلك ابن يعيش (٦٤٣ هـ) يقول: الكلام : هو المركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك : زيدٌ أخوك . وبشرٌ صاحبك" أو في فعلٍ واسم نحو قولك : "ضُرب زيد ، وانطلق بكرٌ "ويسمى الجملة " [٣] . فالكلام و الجملة مسميان لشيء واحد .

أما رأي جمهور النحاة فهو " أن الكلام و الجملة مختلفان ، فإن شرط الكلام الإفادة ، ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة وإنما يشترط فيها إسناد سواء أفاد أم لم يفد ، فهي أعم من الكلام إذ كل كلام مفيد وليس كل جملة مفيدة " [٤] . يقول ابن هشام "ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط ،جملة الجواب ، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام " [٥] .

والذي أراهُ هو أن الكلام و الجملة شيء واحد ، وأن احتجاج النحاة بعدم إفادة جملة الشرط أو جملة الجواب أو الصلة يحتاج إلى إعادة نظر ، وذلك لأن جملة كـ "قام زيد" تختلف عن (قام زيد) في : " إن قام زيد قام عمرو" ، فالجملة الأولى مكونة من (مبني عليه) + (مبني) ، بينما هي في جملة الشرط ، (مبني) وإنْ (مبني عليه) وجملة

١- ابن هشام - المغني ، ج٢ ، ص ٣٧٤ .

٢- ابن جني - الخصائص ، ج١ ص ١٧ .

٣- ابن يعيش - شرح المفصل ، ج١ ،ص، ١٨ .

٤- فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص١٢ .

٥- ابن هشام - المغني ،ج ٢ ،ص ٣٧٤ .

الجواب (مبني) ،فعدم إفادتها في جملة الشرط ليس بسبب منها ولكن بسبب بنائها على" إنْ" ،فاختلاف المبني عليه أدى إلى عدم إفادة جملة (قام زيد) ، وذلك لأن هذا(المبني عليه) يحتاج إلى الخاص و العام ، (الشرط و الجواب). بينما إذا انفصلت (قام زيد) عن "إنْ" سنجدها مفيدة ، وذلك لأن المبني عليه هنا الفعل قام، و الفعل قام لازم لا يحتاج إلى أكثر من فاعل . بينما (إنْ)لا تكتفي بفعل الشرط ، وإنما هي بحاجة للجواب ، مثلها في ذلك مثل الفعل المتعدي والدليل على ذلك ، أنّ النحاة عندما يذكرون عدم إفادتها يضعونها مع "إنْ" ولا يضعونها منفصلة عنها ، وذلك كما يقول الشريف الجرجاني في التعريفات عن الجملة : عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواءٌ أفاد كقولك "زيد قائم" ، أو لم يفد كقولك "إن يكرمني" فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه ، فتكون أعم من الكلام مطلقاً"[1] . فعدم الإفادة ليست بسبب من " يكرمني " ذاتها ، وإنما بسبب من إنْ . فنحن لا نستطيع أن نقول: إنّ "ضَرَب زيدٌ " غير مفيدة بسبب من زيد ، ولكنها بسبب من ضَرَب، لأن (زيدٌ) مع قام جملة مفيدة ، لأن قام لازم. وضرب متعدٍ ، و بالتالي لا أستطيع أن أقول إنّ (زيد) في " ضرب زيدٌ " ليس الفاعل لأن الكلام غير مفيد . وبالتالي فكل شيء يعتمد على المبني عليه وحاجته من المباني . ويمكن تمثيل الجملتين كالتالي :

جملة فعلية : [قام (مبني عليه) — زيد (مبني)] (جملة تامة)

جملة الشرط [(إن) (مبني عليه) — [(قام) (مبني عليه) — (زيد) (مبني)] مبني (خاص) — [(قام) (مبني عليه) — (عمرو) (مبني)] مبني (عام)]

فجملتا الشرط و الجواب كل منهما "مبني "على " إنْ " حرف الشرط (المبني عليه) وكلٌ منها جزء من أجزاء جملة الشرط التي لا يكتمل معناها إلا بوجود الثلاثة ، ولهذا السبب نجد أن " إن قام زيدٌ " غير كاملة المعنى أو غير مفيدة "

١-الشريف الجرجاني – التعريفات ، ص ٨٢ .

لأن الشيء يكون تاماً ثم يعود ناقصاً " [١] . ولعل هذا يتوافق وما ذكره ابن جني ، و الزمخشري ، و خليل عمايرة ، حيث يرون أن الكلام و الجملة مسميان لشيءٍ واحد ، وإن كان الكلامُ يُستعمل أيضاً للدلالة على أكثر من جملة [٢] إلاّ أن"قام زيد" يمكن إطلاق " الجملة "و " الكلام " عليها .

خامساً : الخاص

المقصود بالخاص في هذه الدراسة : القريب .

سادساً : العام

المقصود بالعام في هذه الدراسة : البعيد .

سابعاً : المبني عليه

المقصود بالمبني عليه في هذه الدراسة هو : الأساس الذي يتركب عليه الكلام (الطالب) .

ثامناً : المبني

المقصود بالمبني في هذه الدراسة هو : الوظيفة النحوية في التركيب النحوي (المطلوب) .

تاسعاً : الاحتياج

المقصود بالاحتياج في هذه الدراسة هو : الطلب أو العلاقة المعنوية .

---

١ – ابن جني – الخصائص ، ج٢ ،ص ٢٧٢.

٢ – د. خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ،ص ٧٥ – ٧٩.

المبحث الثاني

أصل ترتيب الجملة العربية

حدد النحاة أصل ترتيب الجملة العربية بواسطة أصل الاستصحاب ،وهو أصل من أصول النحو العربي ، يقوم على ملاحظة الشواهد اللغوية وصولاً إلى التجريد ، " وقد كان الاهتمام بالبنية الأساسية منطلقاً لتناول الظاهرة اللغوية فهي نموذج أو معيار يحاول الكلام الحي تنفيذه ، و النموذج التجريدي أساس للنموذج الحي ، و لذلك حاسبوا الكلام المنطوق بمقياس النموذج التجريدي " [١] ." لأنه من غير المعقول أن تتعدد النماذج بتعدد الجمل المتكررة المتعددة ، فهذا ضرب من الفوضى التي لا ضابط لها ، و إنما تُحصَّل اللغات وتدرك عن طريق النماذج الأساسية التي تحكم أبنيتها الكثيرة المتنوعة المتكررة " [٢] ." فإذا أمكن تحديد النظام اللغوي معياراً للغة التي هي مجال الدراسة فإن ظواهر الاستعمال اللغوي ، أي ظواهر الأداء أو الكلام تقابل في هذه الحالة بمستويات النظام اللغوي المخزون في الذهن"[٣] . وعلى هذا فاللغة قانون تجريدي واستعمال ، وقد يكون الاستعمال مطابقاً للنظام أو لا يكون ، وهو ما يسمى العدول عن الأصل ، وهذا شبيه بما يسمى باللغة و الكلام ، فاللغة قانون مخزون في ذهن الجماعة ، و الكلام هو النشاط اللغوي المحسوس إما أن يطابق الأصل وإما أن يخرج عنه .

وقد عقد سيبويه في كتابه باباً سماه " باب ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل قُدِّم أو أُخِّر وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم،فإذا بنيت الاسم عليه قلت ضَرَبْتُ زيداً . . .،وإذا بنيت الفعلَ على الاسم قلت:زيدٌ ضربته،فلزمته الهاء"[٤] . ومن هذا النص يتضح أن الجملة العربية في أصلها تنبني من المبني عليه و المبني ، أو من بناء الاسم على الفعل أو من بناء الفعل على الاسم . والمقصود ببناء الاسم على الفعل " أنك جعلت الفعل عاملاً في الاسم كقولك ضرب زيدٌ عمراً ،

١- محمد حماسة - بناء الجملة العربية ،ص ١١ .

٢- المصدر نفسه ، ص ١٢ .

٣- ممدوح الرمالي - العربية و الوظائف النحوية ، ص ٩٧ .

٤- سيبويه - الكتاب ، ج١، ص٨٠ ، ٨١ .

فزيدٌ و عمرو مبنيان على الفعل ، وكذلك لو قلت:عمراً ضرب زيدٌ ،لأن عمراً وإن كان مقدماً فالنية فيه التأخير " [١]

والمقصود ببناء الفعل على الاسم " أنك لو جعلت الفعل وما يتصل به خبراً عن الاسم وجعلت الاسم مبتدأ كقولك زيدٌ ضربته ، فزيد مبني عليه وضربته مبني على الاسم "[٢] . وذلك كما في الشكل التالي :-

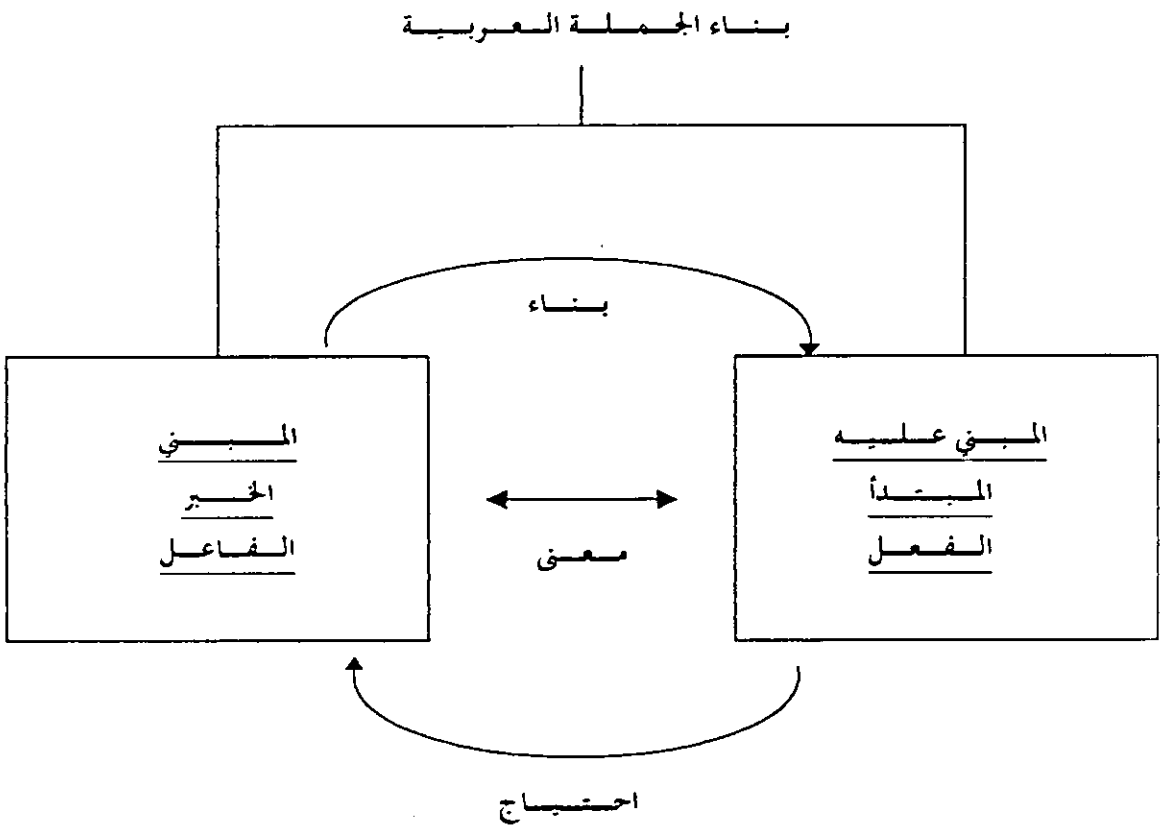

(المباني تترتب من الخاص إلى العام ، بالرتبة (المنزلة)

ومن الملاحظ أن عملية البناء الأولى قد نتج عنها جملة اسمية ، وهي تتكون من المبني عليه المبتدأ و من المبني الخبر ، والمبني عليه (المبتدأ) هو الذي يحدد نوعية الجملة و بدايتها ، أما عملية البناء الثانية فقد نتج عنها جملة فعلية ، وهي تتكون من المبني عليه(الفعل) ومن المبني (الفاعل) ، وقد يضاف إليه المفعول وذلك بحسب الحاجة ، ((وزيادة ونقصد بالزيادة ...، ما يضاف إلى الجملة النواة من كلمات يعبّر عنها النحاة بالفضلات أو التتمات...،يُضاف إلى الجملة الأصل لتحقيق زيادة في المعنى ، فكل زيادة في المبنى تعني زيادة في المعنى...، ولا بد لكل كلمة تضاف إلى الجملة أن تسير في

---

١ - السيرافي - شرح كتاب سيبويه ، ج١ ، ص ١٩٠

٢-المصدر نفسه ،ص ١٩٠

خط المبنى قبل أن تعطي معنى ، فبعد أن تأخذ الكلمة موقعها من الجملة محققة سلامة البنية الشكلية في الجملة قياساً على ما جاء عن العرب ، فإنها ترتبط من حيث المعنى بمركز الجملة [١] ، والمبني عليه (الفعل) هو الذي يحدد نوعية الجملة وبدايتها . كما أن المفعول وإن تقدم على الفعل فإنه يبقى مبنيا لأن المبني عليه ما زال محتاجاً إليه ، و المفعول مرتبط به معنوياً . ومن هنا فأستطيع القول أن " أصل الكلام جملتان فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر " [٢] .

وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني شعراً :

((فَما لنظم كلامٍ أنت ناظمه ... معنى سِوى حُكم إعرابٍ تُرتّبه

اسم يُرى وهو أصلٌ للكلام ، فما ... يتم من دونه قصدٌ لمُنْشيه

وآخرٌ هو يعطيك الزيادة في ... ما أنت تُثبِتُه أو أنت تنفيه

تفسير ذلك أن الأصل مُبتدأٌ ... تَلقى لَــه خبراً من بَعْدُ تنويه

وفاعل مسند فعلٌ تقدَّمه ... إليــه يكسبه وصفــاً ويعطيــه

هذان أصلانِ ، لا تأتيــك فائدةٌ ... من منطقٍ لم يكونا من مبانيــه

وما يزيدك من بعد التمام ، فمــا ... سُلّطت فعلاً عليه في تعدّيــه[٣]))

((وهذه العناصر : المسند ، المسند إليه ، الفضلة ،أو (المبني عليه و المباني) إنما هي حجر الأساس في النظرية العربية اللسانية للتراكيب))[٤] .

"والجملة التي صدرها اسم اسمية ، والتي صدرها فعل فعلية ، والمراد بصدر الجملة : المسند أو المسند إليه (المبني عليه)،

---

١ - خليل عمايرة - في نحو اللغة العربية و تراكيبها ، ص ٩٦ ، ٩٨ .

٢ - ابن السراج - الأصول في النحو ، ج١ ، ص ٥٨ - ٥٩ ، ج٢ ، ص ٢٧٦

٣ -عبدالقاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ،ص١٠

٤ -مازن الوعر - نحو نظرية لسانية عربية حديثة، ص ٣٨

فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف ، والمعتبر أيضاً ما هو صدر في الأصل " [١] . كما في الشكل التالي :

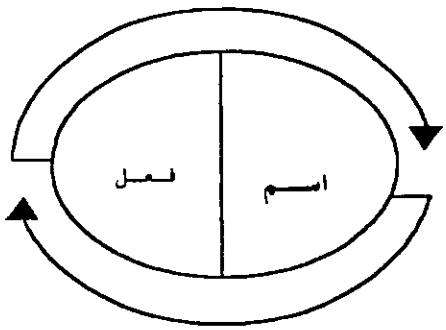

وفي رأيي أن الجملة العربية تنتج عن تبادل الرتبة بين الاسم و الفعل ، أو بين الأصل و الفرع أو بين المبني عليه و المبني "وهاتان الجملتان التوليديتان هما الأساس لكل الجمل التحويلية (العدول) في العربية "[٢]. و هذا هو رأي البصريين، أما الكوفيون فيرون أن الفاعل إذا تقدم على فعله ظل فاعلاً .

والذي أراه أن ما ذهب إليه البصريون هو الصواب، و بالإضافة إلى ما ذكره المبرد حول هذا الموضوع [٣] وهو مشهور ،وكذلك ابن السراج حيث يقول : فالفاعل لا يتقدم على فعله إلا على شرط الابتداء " [٤] . ففي رأيي أن المتقدم هو المبتدأ ، لأن الجملة العربية إما أن تبدأ بفعل أو مبتدأ ، ولا تبدأ بالفاعل لأن رتبة الفاعل بعد الفعل ، كما أن الفعل يتقدم على فاعله برتبة الطبع ، وما تقدم بالطبع رتبته محفوظة.كما "أنه لا يتصور أن نحكم على كلمة بأنها فاعل قبل أن يسبقها فعل" [٥]. وكذلك لا نحكم على كلمة بأنها مفعول إلاّ إذا سبقها فاعل . بالإضافة إلى أن الفاعل هو المطلوب من الفعل و الفعل طالب له وليس العكس ، والطالب يتقدم على المطلوب . كما أن الفاعل لا ينفصل عن فعله " ولا يجوز تقديم الفاعل على الفعل فإن لم يكن مظهراً بعده فهو

١-ابن هشام – المغني ، ج٢ ، ص ٣٧٦ .

٢-د.خليل عمايرة- في نحو اللغة العربية و تراكيبها ، ص ٨٧ .

٣- المبرد – المقتضب ، ج٤، ص ١٢٨ .

٤- ابن السراج – الأصول في النحو ، ج١ ، ص ٧٢ .

٥- العكبري – اللباب في علل البناء و الإعراب ، ج١،ص١٤٩.

مضمر فيه لا محالة " [١] . كذلك فإن الفعل يدل على معنى في الفاعل ، و الذي يدل على معنى في غيره رتبته محفوظة ، كالفعل مع الفاعل و الحروف وما تدخل عليه . أما بالنسبة للضمير الموجود في الخبر فما هو إلا الفاعل الحقيقي وليس عوضاً عن الاسم المتقدم ، وإنما هو اقتصاد لغوي بدلاً من إعادة الاسم مرة ثانية ، وقد وجد من العرب من يعيده كما هو فيقول : زيدٌ ضرب زيدٌ عمراً . كما قال تعالى :" القارعةُ ما القارعة " و لم يقل القارعة ما هي ، بل أعاد اللفظ مرة ثانية . وسبب وجود هذا الضمير أنه يربط بين المبتدأ وخبره ، وإلاّ انعدمت الصلة بينهما ، حيث إن ما بعد المبتدأ بدون الضمير لا يشكل جملة الخبر ، لأنها ستتكون من فعل + مفعول ولا يوجد فعل إلاّ بفاعل ، ولا يوجد فاعل إلاّ بفعل ، كما لا يوجد المفعول بدون الفاعل ، ومن هنا فالفعل مع المفعول لا يشكلان جملة . كما أن وجود هذا ، الضمير يعني أن الفعل ليس محتاجاً للاسم المتقدم "فإنما يكون الطالبُ عاملاً في المطلوب إذا لم يستغن عنه في اللفظ وأما إذا استغنى عنه برفع ضميره أو نصبه أو بغير ذلك فلا يلزم أن يفعل فيه بل لا يصحُّ في مثل مسألتنا "(لأن) أصل العمل الطلب " [٢] ، ويظهر هذا من ملاحظة تقدم المفعول ، حيث إن المفعول يتقدم ويبقى مطلوباً للفعل ولا يوجد ضمير ينوب عنه لهذا السبب ، لأن موقعه ما زال شاغراً .وكذلك ماذا نقول عن المتقدم في الجمل التالية :"زيدٌ ضربه عمرو " و " يوم الجمعة صمتُه " فإذا كان رفع الفاعل والمبتدأ يثير الإشكالية ،فأظن أن المفعول و الظرف لا يرفعان ، وهذا دلالة على أن المتقدم هو المبتدأ .أما بالنسبة لاتصال الضمير مع الفعل ،فذلك لأن الفعل هو المحتاج للفاعل أو للمفعول أو للظرف وبينهما علاقة معنوية، والضمير الموجود في ضربه، رتبته محفوظة وجوباً ، ففيه خروج عن الأصل حتى لا يثير اللبس بانفصاله وتأخره . وفي هذا يقول ابن مالك :

"وعُلْقَةٌ حاصِلةٌ بتابعِ كَعُلْقةٍ بنفس الاسم الواقع

والعلقة عبارة عن الضمير العائد على الاسم السابق، وذلك أن الجملة التي بعد الاسم السابق لا بد أن يكون فيها ضميرٌ عائدٌ عليه ، والأصل أن يكون هو المشتَغَلُ به عن الاسم السابق ، و الحاصل أنه لابدَّ من ضمير يربط

---

(١) ابن جني - اللمع ، ص ، ١١٥

(٢) الشاطبي - المقاصد الشافية ، ج١، ص ٦٥ – ٦٦ .

الجملة الثانية بالاسم الأول،لأن الأصل في ذلك المبتدأ والخبر ودخل حكم الاشتغال عليه فلذلك لا يجوز أن تقول:"أزيداً رأيتُ عمراً " ، لأنه لا يجوز : (زيدٌ رأيتُ عمراً)إلا مع ضمير عائد على الأول فذلك الضمير الرابط من حيث كان معلّقاً للجملة الثانية بالأولى ، وبه كان الاتصال و العلاقة ،سمّاه علقة من أجل ذلك و كأن العلقةَ اسم العلاقة الحاصلة بسبب الضمير ، وهو الاتصال بين أول الكلام وآخره "[1] والأهم من هذا أن المبتدأ يتقدم على خبره بالمنزلة وكذلك الفعل يتقدم على فاعله بالمنزلة وكلاهما مبني عليه فإذن هما أ صلان فنستطيع البداية بالفعل أو بالاسم ومن ثم تترتب المباني بعدهما بالأهمية وبحسب قوة العلاقة المعنوية ، " ويمكن أن نطلق على كلٍ منهما بورة الجملة " [2].

وقد جاء في القرآن الكريم:(وَكَأَيِّن مِنْ دابة لا تَحْمِلُ رِزْقَها،اللهُ يَرْزُقُها وَإياكُم وَهُوَ السَّميعُ العَليم)(العنكبوت٦)كما قال تعالى:(واللهُ يدعو إلى دارِ السَّلام)(التوبة٢٥) وقال تعالى:(الله يعلم ما تحمل كل أنثى)(الرعد٨)وفي الآيات السابقه بني الفعل على الاسم،أو بني الخبر الفعلي على المبتدأ . كما قال تعالى :(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّموات والأرضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيزُ الحكيمُ)(الزخرف٩)وقال تعالى : (وقيلَ لِلَّذينَ اتَّقَوا ماذا أنزلَ ربُّكم قالوا خيراً)(النحل ٣٠) وفي هاتين الآيتين بُني الاسم فيهما على الفعل ، والتقدير في الثانية : أنزل خيراً . وقال تعالى: (قَــدْ سَمِعَ اللهُ قــولَ التي تجادُلُكَ في زَوْجِها وتَشْتَكي إلى اللهِ واللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما إنَّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ)(المجادلة ١).

" وإذا قرأنا قوله تعالى (يريدُ اللهُ ليبينَ لكم ويَهْدِيَكم سُنَنَ الذينَ مِنْ قَبْلِكم ويتوبَ عليكُم واللهُ عليمٌ حكيمٌ * واللهُ يريدُ أن يتوبَ عليكُم ويريدُ الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً)(النساء ٢٦-٢٨) ثم لاحظنا فعل الإرادة ولفظ الجلالة رأينا ترتيب ذلك كما يلي : يريد الله – والله يريد – يريد الله- فإذا بحثنا عن السبب وجدنا تقديم لفظ الجلالة في مورده الثاني إنما كان لوضعه موضع المقارنة مع الذين يتبعون

---

(١) الشاطبي – المقاصد الشافية،ج١،ص١١٧.

(٢) حليل عمايرة – في نحو اللغة العربية و تراكيبها،ص ١٩٠.

الشهوات ، أما في المرة الأولى والثالثة فالاهتمام معلق بالإرادة لا بالمقارنة "[١].

والتقديم و التأخير هنا نابع من الاختيار بين أصلين[٢] . وليس عدولاً من بنية عميقة إلى بنية سطحية ،لأن كليهما أصل .

وهناك فرق في المعنى بين اختيار الجملة الاسمية أو الفعلية . فالفائدة المعنوية أو تغير المعنى ينبع من الاختيار كما ينبع من العدول ، وهذا يجيز لنا السؤال : لم بُدئ بالاسم أو بالفعل ؟ من ناحية معنوية وليس من ناحية نحوية ، لأن ما جاء على أصله من ناحية نحوية لا يسأل عن علته .

" والذي يبدو أن التقديم في العبارة الثانية جاء لسببين : – أولهما : كسر الوتيرة الواحدة في طريقة الترتيب . وثانيهما: الدلالة في العبارة الثانية على أن الله وحده يريد التوبة ، على حين يريد الذين يتبعون الشهوات الميل العظيم ، ويعزز هذه الدلالة ما نرى من المقابلة بين إرادة وإرادة " [٣].

وقد يحل محل الفعل في الجملة اسمُ الفاعل أو اسم المفعول .....إلخ ، أو أحد ملحقات الفعل في العمل فتقول : أقائم أبوك؟وهي بمنزلة أقام أبوك؟واسم الفاعل (مبني عليه) وما بعده هو (المبنى).ومثلها جاء الولد الحسن وجهه ،ووجهه فاعل الصفة المشبهة. وقد رتب سيبويه العوامل من حيث العمل و القوة من الخاص إلى العام على الشكل التالي: قوة الفعل ، قوة اسمي الفاعل و المفعول ، قوة المصادر ، قوة الصفات ، قوة ما يجري مجرى الفعل ،قوة ما يجري مجرى اسمي الفاعل و المفعول [٤] . "وينشأ عن اختلاف درجة كل قسمٍ ممتعه أو فقده لمجموعة من الخصائص التي يتميز بها الفعل وبالتالي اختلافها عنه في العمل ، ويؤدي ذلك إلى أنها لا تعمل إلا بقيود تختلف باختلاف القسم العامل ،ومن ثم لا يعمل العنصر الفرع المحمول على العنصر الأصل إلا بقيود " [٥] . فكلما زادت درجة التشابه مع الفعل قلت القيود المفروضة على عمله و العكس صحيح .

وعمل هذه العوامل عمل الفعل قائم على أساس من المعنى ، يقول سيبويه "هذا بابٌ من اسم الفاعل الذي جرى مجرى

---

(١) تمام حسان– البيان في روائع القرآن ، ص٣٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٠٢ .

(٣) المصدر نفسه ،ص٣٤١ .

(٤) سعيد بحيري – عناصر النظرية النحوية ، ص١٣٧.

(٥) المصدر نفسه ،ص١٦٩ .

الفعل المضارع في المفعول في المعنى ،فأردت فيه من المعنى ما أردت في يفعل كان نكرةً منوناً ، وذلك قولك "هذا ضاربٌ زيداً غداً " فمعناه وعمله مثل "هذا يضرب زيداً غداً "[١] ."فهو يربط بين العمل و المعنى في حمله اسم الفاعل على الفعل وتظل هذه المقابلة بين الأبنية المتفقة في أداء وظيفة دلالية متشابـــهة على طريقة الأصل والفرع من خلال عبارة "كذا بمنزلة كذا" نهجاً متميزاً عند سيبويه يفسر بها الأمثلة المختلفة على السطح المتفقة في العمق من حيث إنها تؤدي معنىً واحداً [٢] . فمتى ما تشابه الفرع مع الأصل جاز أن يعمل عمله .

أما بالنسبة لموضوع الرتبة بين ملحقات الفعل في العمل ومعمولاتها فقد قال ابن مالك :

"وسوٍّ في ذا البابِ وصفاً ذا عمل بالفعلِ إنْ لَمْ يكُ مانعٌ حَصَل

فبين في هذا البيت أن الوصف جارٍ في هذا الباب مجرى الفعل في أحكام الاشتغال ، فحيث يصح أن يكون الفعل مفسِّراً يكون الوصفُ أيضاً مفسِّراً ، (فالملحق بالفعل يأخذ أحكام الفعل إذا اجتمعت فيه شروط العمل) فإذا قلت :" أزيداً أنت ضاربه؟فالنصب فيه كالنصب في : أزيداً ضربته؟وإذا قلت زيد ضربته وعمرٌ أنا مُكرمُه فهو كقولك : زيد ضربته وعمرو أكرمتُه وأمثلة المبالغة كذلك ، نحو أزيداً أنت ضروبه ؟ وألحربَ أنت لباسٌ حلاَلَها ؟ و ألرؤوس أنت ضَروبها؟ والقَدَرَ أنت حذره ؟ .....إلخ .

أما الصفة المشبهة باسم الفاعل كقولك : ألوجهُ أنت حسنه ؟ وأزيدٌ أنت ظريفٌ بسببه؟لا يكون إلا الرفع لأنه صفةٌ غير عاملةٍ النصب ، وما جاءَ من قولك : حسنٌ وجهاً فليس بنصبٍ على صحيح التعدي وإنما هو على التشبيه كعشرين درهماً،ولأن هذه الصفة لا يصح عملها فيما قبلها فلا تُفَسِّر عاملاً،ولأنها قد تُنوسِيَ فيها معنى الفعل تناسياً ضعفت بسببه عن مقاومة الفعل . وكذلك أفعل التفضيل ليست بعاملة فلا تُفسِّر ناصباً . و الحاصلُ أن الصفات الواقعة عوض الفعل في باب الاشتغال ،إذا لم تكن أسماء فاعلين أو أسماء مفعولين أو أمثلة مبالغة عاملة عمل الفعل ، لم يكن في الاسم إلاّ الرفع .واعلم أن الناظم ترك ذكر المصدر العامل في هذا الباب ، وإنما خصه بالفعل و الوصف ، و المصدر غير داخلٍ في

---

(١) سيبويه – الكتاب،ج١،ص١٦٤.

(٢) سعيد بحيري – عناصر النظرية النحوية ، ص ١٧٠ ، ١٧٣ .

واحدٍ منها بل قد يفهم له أنه أخرجه من أن يكون مفسِّراً في هذا الباب كما يفهم له ذلك في اسم الفعل ،إذ لا يصح أن يكون باتفاق البصريين سوى ابن خروف،فلا يُقال زيداً دونك أخاهُ وما أشبه ذلك ،فكذلك يُفهم له أنه لا يُقال :"زيداً سقياً له و نحو ذلك ."[١] . والذي يظهر من هذا أن الذي يصح أن يعمل فيما قبله يصح أن يكون مفسِّرا ، ومعنى أنه يعمل فيما قبله أن العناصر التابعة له تتقدم عليه ، وقد حصر ذلك في اسمي الفاعل ، والمفعول وصيغة المبالغة .

ويرى سعيد بحيري أنه "كلما قلت درجة التشابه بين عنصرلغوي أساسي(أصل)،وعنصر لغوي آخر ملحق به (فرع)، فإنه يعتبر أقل قدرة على التحكم في العناصر اللغوية الأخرى التي يعمل فيها وتتقيد الحرية التي تتمتع بها في الانتقال من موقع إلى آخر ، وهكذا يلاحظ باستمرار تلازم بين قوة العنصر اللغوي وحرية الرتب التي يمنحها للعناصر التي يسيطر عليها "[٢].وفي رأيي أن ذلك عائد إلى منزلة المعنى ، فالمصدر له قوة علاقة مع الفعل ومع ذلك فلا يتقدم معموله عليه. لأن ما بعده كالجزء منه . و مثل ذلك ما يقال عن العامل المعنوي في مثل قوله تعالى :(هذا بعلي شيخاً) (هود٧٢)حيث لا يجوز تقديم شيخاً وسبب ذلك أنها حال مؤكدة لمضمون الجملة،ورتبة المؤكَّد بعد رتبة المؤكَّد.

أما اسم الفعل ، فقد قال تعالى : (كتابَ اللهِ عليكُم)(النساء٢٤) وقال تعالى : (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم)(المائدة١٠٥) فقدم المعمول مرةوأخره مرة أخرى .وفي الآية التي تقدم فيها المعمول نجده مرتبطاً بالمنزلة وقوة العلاقة المعنوية مع التشريع السابق عليه . وهذا رأي الكسائي الذي يستبعده أبو حيان [٣].

ويرى بعض النحاة أن الفاعل ونائبه و المبتدأ لا تأتي إلا اسماً،وهي من القضايا الخلافية بينهم،وقد جاء في القرآن الكريم (أَفَلَمْ يهدِ لَهُم كَمْ أَهْلَكْنا)(طه ١٢٨)وقال تعالى(ثم بدا لهم من بعدِ ما رَأَوا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّه حتى حين)(يوسف ٣٥) .

ويبدو لي أنَّ مجيء الفاعل أو نائبه أو المبتدأ جملة أو (على صورة جملة)[٤]إنما هو شيء يتطلبه المعنى ففي قوله تعالى :(أفلم يهد لهم كم أهلكنا) فقد حلت " كم والفعل " محل الاسم"إهلاكنا" لغرض التكثير فالمعنى مع الاسم غيره مع الجملة ،

---

(١) الشاطبي – المقاصد الشافية،ج١،ص ١١٢– ١١٦ .

(٢) سعيد بحيري – عناصر النظرية النحوية ،ص ١٧٦ .

(٣) أبو حيان – البحر المحيط ، ج٣،ص٢٢٢ .

(٤) فاضل السامرائي – الجملة العربية ، ص٢٢ .

وفي قوله تعالى : (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسْجُنُنَّه حتى حين)(يوسف ٣٥) جاء الفاعل على صيغة الجملة للدلالة على معنى الاستمرارية والتجدد في السجن ،بينما لا يفيد الفاعل(سجنه)هذه الدلالة ، وكذلك قوله تعالى : (سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)فقد جاء المبتدأ على صيغة الجملة للدلالة على أن هؤلاء الناس متشددون في مواقفهم ولو تم الإنذار مرة بعد مرة . وبالتالي وإن كان الغالب مجيء الفاعل والمبتدأ ونائب الفاعل اسماً إلاّ أن هذا لا يمنع من وقوعهما جملة ما دام المعنى يتطلب ذلك لأن الألفاظ خدم للمعاني ، "وتناوبُ الأفعال والأسماء المواقع كثيرٌ ،فقد جاء في القرآن الكريم(ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً)(الروم ٢٤) [١]والفعل يريكم يعبر عن التجدد والاستمرار أكثر من رؤيتكم أو إراءَتكم ،" وتقوم الجملة مقام الفاعل ، ولا محذور في هذا ، فقد قال به جماعة منهم السيرافي و ابن النحاس ، وزعموا أنك تقول في : عرفتُ أيُّهم في الدار،عُرف أيُّهم في الدار و قال ابن الضائع : الصحيح عندي جواز : قد عُلِمَ أزيدٌ في الدار أم عمرُو؟ لأن كل فعل يتعدى المفعول فلا مانع أن يُرَدَّ ويبني للمفعول قال: و كذلك : قد قيل زيد منطلق وهو موجود في كلام العرب كثيراً وفي القرآن"[٢].

ويعلل السيرافي عملية بناء الفعل على الاسم أو الاسم على الفعل فيقول "وجملة الأمر أن الذي حكمه أن يكون مؤخراً مبني على ما حكمه أن يكون مقدماً عمل في اللفظ أو لم يعمل ، إذا كان أحدهما يحتاج إلى الآخر. وقد ذهب سيبويه إلى أنك إذا قلت لو أن عندنا زيداً لأكرمناه أن التي بعد"لو"مبنية على"لو" وإن كانت غير عاملة فيها، لأن حكم "لو" أن تكون مقدمة على "أنْ" ولا يستغني عنها " [٣] .

فعلةّ وقوع الفعل والمبتدأ في موقع المبني عليه هي كونهما متقدمين في المعنى ، وعلة كون الفاعل والخبر في موقع المبني هي كونهما متأخرين في المعنى ، فالمتأخر يبنى على المتقدم إذا كان بينهما علاقة احتياج وعدم استغناء ، والمحتاج أو الطالب يتقدم على المطلوب معنوياً بغض النظر عما إذا كان الطالب عاملاً في المطلوب أم لا،فالعلاقة بين الألفاظ علاقة

---

(١) محمود شرف الدين – الفعليات، ص١٦

(٢) الشاطبي – المقاصد الشافية ، ج١،ص٥٨ .

(٣) السيرافي – شرح كتاب سيبويه ، ص ١٩٠ .

معنوية بالدرجة الأولى قبل أن تكون علاقة عامل بمعمول .

بناء الجملة العربية

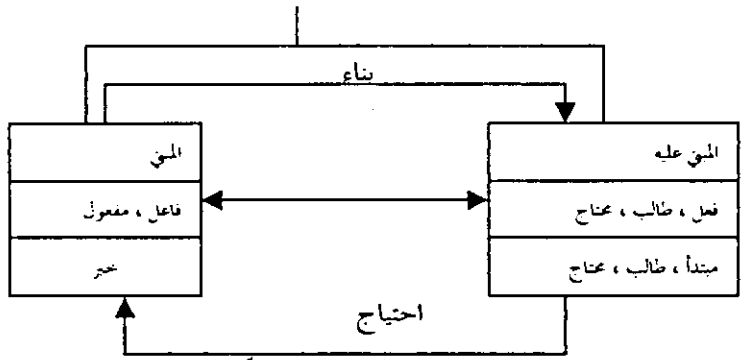

(المباني تترتب بالرتبة (المنزلة) من الخاص إلى العام أصلاً ومن العام إلى الخاص عدولاً)

ومن الشكل يتضح أن المبني عليه والمبني بينهما علاقة معنوية ، وأن المبني عليه يحتاج إلى المبني ، فيبني المتكلم الفاعل أو الخبر على الفعل أو المبتدأ فتحصل الفائدة ، فالسابق يطلب اللاحق،واللاحق ينبني على السابق،كما يلاحظ أن الطلب أو الاحتياج يسير من اليمين إلى اليسار ◄——— أما البناء فيسير من اليسار إلى اليمين ———►

والمثال الذي ذكره السيرافي " لو أن زيداً عندنا لأكرمناه " يؤكد أن البناء عملية تشمل اللغة بكاملها ، فالطالب يحتاج إلىالمطلوب ، والمطلوب ينبني على الطالب لأن بينهما علاقة معنوية تقوم على الاحتياج ولا يستغني أحدهما عن الآخر .

كما يذكر سيبويه ذلك في باب من أبواب"إنّ" فيقول :"وتقول"لولا أنه منطلق انطلقت"،فـــ" أنّ "مبنية على"لولا"كما تُبنى عليها الأسماء ، وتقول "لولا أنه ذاهب لكان خيراً له"، فأنّ مبنية على "لولا" [1] ويعلق السيرافي على ذلك فيقول : يريد معقودة بـــ "لولا" في المعنى الذي تقتضيه و"لولا" مقدمة عليه وليست عاملة فيه لأن الاسم بعد "لولا" يرتفع بالابتداء لا بـــ"لولا"،ولزومها للاسم بعدها بالمعنى الذي وضعت عليه كلزوم العامل للمعمول به فشبهت به ، فَفتحِت (همزة)أنّ و لم تُكسر لأنّ إنّ المكسورة إنما تدخل على مبتدأ مجرد لم يغيِّر معناه بحرف قبله ، كما يقول السيرافي : لم يرد بقوله " فأنّ مبنية على لو،أنها مبنية عليها بناء الشيء على ما يحدثُ فيه معنى و لم يغيِّر لفظه، فَفَتْحُ(همزة) "أن" بعد "لو" كفتحها بعد "لولا " [2] "وقد استعمل سيبوية لفظ البناء في الشيء الذي ليس بعاملٍ فيما يبنى عليه ،كما قال :أنّ مبنية

---

(١) سيبويه – الكتاب ،ج٣، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٠-١٢١ والهامش .

على لولا ، وإنما ذلك على جهة تقدمها وحاجة ما بعدها إليها " [١] .

فالألفاظ ترتب بحسب قوة العلاقة المعنوية القائمة بينها ، أو أنها تتعلق كما يقول الجرجاني ويأخذ بعضها بحجز بعض وتتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول [٢]،بسبب التناغم الدلالي القائم بينها والمبني على قوة العلاقة المعنوية،وفي المثال المذكور ، أنّ تتعلق معنوياً "بلو"وزيداً متعلق بأنْ وعندنا تتعلق بأنْ ولأكرماه " مبنية على لو لأنها جواب الشرط .

وهكذا تتعلق الألفاظ أو المباني بعضها ببعض بحسب قوة العلاقة المعنوية القائمة على أساس الرتبة . " واللغة عند الجرجاني ،وكذلك عند سيبويه والسيرافي ، نظام لا يقوم إلاّ على ترابط الألفاظ كعناصر في هذا النظام وفقاً لدلالاتها ، وتناسقها على الوجه الذي يقتضيه العقل ، وتعلُّق بعض الكلم ببعض وبناء بعضه على بعض ، لأن الاعتبار عنده بمعرفة مدلول العبارة لا العبارات نفسها " [٣] . والأساس الذي تترتب عليه المباني هو الرتبة ، مما يؤدي إلى وجود النظام اللغوي وخير دليل على قوة هذا النظام الرتبة المحفوظة ، التي لا تتغير رغم العدول .

وقد جاءت نظرية النظم للجرجاني بعدما ابتعدت الدراسات النحوية عن الجذور وصارت فلسفية [٤] "وهي رؤية شمولية لموضوعات النحو العربي ،لا بوصفه أبواباً وفصولاً ، بل بوصفه نظاماً من العلاقات هو ذاته نظام العربية كلغة ،كنص ، كخطاب "[٥] ." لأن النحو العربي كما نقرأه في مرجعه الأول "الكتاب" ، ليس مجرد قواعد لتعليم النطق السليم والكتابة الصحيحة باللغة العربية ،بل هو أكثر من ذلك "قوانين للفكر داخل هذه اللغة ،وبعبارة بعض النحاة القدماء "النحو منطق العربية " [٦]. والذي يبدو لي أن نظرية النظم ما هي إلاّ امتداد للبناء لأنه " لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك ، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفي على أحد من الناس .

---

(١) الأعلم الشنتمري ، النكت في كتاب سيبويه ، ج٢،ص٧٧٦

(٢) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الاعجاز ،ص٩٣ .

(٣) فارس عيسى – المعنى اللغوي وعناصر تحديده ،مجلة البلقاء ، م ج١، ع٢ ، أيار ،١٩٩٢،جامعة عمان الأهلية .

(٤) من محاضرة للدكتور – عبد الحميد مصطفى السيد .

(٥) محمد عابد الجابري – بنية العقل العربي،ص٨٤ .

(٦) المصدر نفسه،ص ٤٤ .

وإذا كان كذلك فينا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء ، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله؟ وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً،أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه ، أو تجيء باسم بعد كلامك على أن يكون صفة أو حالاً أو تمييزاً ، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى ، أن يصير نفياً أو استفهاماً أو تمنياً ، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك ، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطاً في الآخر ، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى ، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمّنت معنى ذلك الحرف ، وعلى هذا القياس ،وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب إلاّ بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء ، ومما لا يتصور أن يكون فيه ومِنْ صفته ، بان بذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم وأن الكلم لترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس[1]وترتيبها يخضع لضابط الرتبة . فالنظم ما هو إلا تعليق الكلم بعضه ببعض ، بحسب ترتيب المعاني في النفس الإنسانية ، بل إن النظم ما هو إلا تنفيذ للقوانين النحوية وللمعاني النحوية . "واعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله . "فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً،وخطؤه إن كان خطأ،إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم ،إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه،ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة،فأزيل عن موضعه ،واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده،أو وصف بمزية وفضل فيه ، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه "[2]."إن عبدالقاهر الجرجاني يتحدث عن سلطة ليست وجوداً حسياً في العالم لكن وجودها لا يقل عن وجود قوانين الحركة في ذلك العالم إنها سلطة النحو وهكذا يربط عبد القاهر بين النحو و النظم باعتبار الأول السلطة التي تحدد صحة الثاني أو عدم صحته"[3]،أو بالأحرى أن نقول

---

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الاعجاز ، ص ٥٥-٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣.

(٣) عبد العزيز حمودة - المرايا المقعرة ، ص ٢٣٩ .

إن الرتبة هي التي تحدد صحة النظم أو ضعفه أو فساده لأن النظم يقوم على الرتبة ، ولأن إصابة الموضع أو عدم إصابته تحدده الرتبة أو قوة العلاقة المعنوية بين الألفاظ التي تجعل الألفاظ تنسابُ بسلاسة .

أصل ترتيب الجملة الفعلية :-

استقر تقسيم الجملة العربية عند جمهور النحاة إلى قسمين : الجملة الفعلية والجملة الاسمية ، أما أصل ترتيب الجملة الفعلية فهو كما قال السيرافي : قال سيبويه : فإذا بنيت الاسم على الفعل قلت ضربتُ زيداً وهو الحد ، كما كان الحد ضرب زيدٌ عمراً ، يعني تأخير المفعول هو الأصل والوجه ، ويعني أن الحد تأخير زيد مع الفاعل المكني وهو التاء ، كما كان الحد تأخير المفعول مع الفاعل الظاهر " [١]فأصل ترتيب الجملة الفعلية هو أن يتقدم الفعل المبني عليه يليه الفاعل ثم المفعول ، بغض النظر عما إذا كان الفاعل ظاهراً أو مضمراً .

وقد قال ابن مالك :

"والأصلُ في الفاعلِ أن يتَّصلا　　والأصلُ في المفعول أن يَنْفَصِلا

وقد يجـــاءُ بخـــلافِ الأصلِ　　وقد يجيءُ المفعولُ قبلَ الفِعْلِ " [٢]

كما أن الرضي يرتب الضمائر المتصلة بالفعل من المتكلم إلى المخاطب إلى الغائب فيقول : وضع المتكلم أولاً ثم المخاطب ثم الغائب " [٣] أما ابن عقيل فيقول : ضمير المتكلم أخص من ضمير المخاطب وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب " [٤].

---

(١) السيرافي - شرح كتاب سيبويه ، المخطوط، ج١،ص ١٩٠ .

(٢) ابن الناظم - شرح ابن الناظم على على ألفية ابن مالك ، ص ١٦٤.

(٣) الرضي - شرح الكافية، ج٢،ص ٤١٢.

(٤) ابن عقيل - شرح ابن عقيل ، ج١، ص ١٠٣.

فهذه الضمائر تترتب برتبة المعنى ، والأقرب يتقدم على الأبعد ، " فإذا جئت بالمتصل بعد الفعل فحق هذا الباب أن تبدأ بالأقرب قبل الأبعد وأعني بالأقرب المتكلم قبل المخاطب والمخاطب قبل الغائب " [١] كما قالت امرأةٌ للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إني نسجتُ هذه بيدي لأكسُوَكهَا [٢]، فالفعل أقرب إلى فاعله من المفعول به وأقرب من النفس منه إلى الغير ، والفعل أخص بفاعله من المفعول ، وهكذا تترتب الكلمات من الأخص إلى غير الأخص وذلك لأن الفعل صادر من الفاعل ، فهناك علاقة معنوية وثيقة بين الفعل والفاعل وهي أشد من العلاقة بين الفعل والمفعول . وتعليل هذا الترتيب " أنك تريد أن تعمل الفعل وتجعله صدر الكلام في النيّة وتعمله في الاسم وتحمل الاسم عليه"[٣] فعلة تقدم الفعل أنه متقدم في النفس ، أو تقدم معناه في النفس ، ولذلك تقدم الفعل في اللفظ وهذا الفعل العامل بحاجة إلى معمول يعمل فيه وهو الفاعل الذي صدر عنه الفعل ، ثم بعد ذلك تُوصِل الفعل إلى المفعول الذي وقع الفعل عليه . وقد اتصل الفعل بفاعله لأن الفعل لا بُدَّ له من فاعل ولكنه قد يستغني عن المفعول ، فحاجة الفعل إلى فاعله أشد من حاجته إلى المفعول .

ويعلل ابن السراج تقدم الفعل على الفاعل وتأخر المفعول فيقول " لأنك لو أتيت بالفعل بعد الاسم لارتفع الاسم بالابتداء " [٤] وهذا يحدث اللبس بين الجملتين الاسمية والفعلية فلا نعود نفرق بين فاعلٍ ومبتدأ .

" والمفعول به هو الطرف الثاني للفعل ، لأن الفعل له ابتداءٌ وانتهاء ، فابتداؤه الفاعل لأنه عنه يظهر ومنه يحدث ، ونهايته وغايته المفعول لأنه إليه يصير وينقطع " [٥] .

أما السهيلي فيعلل ذلك فيقول " وجب أن يكون الفعل متصلاً بفاعله لا بمفعوله ؛وذلك لأن الفعل يدل على الفاعل بعمومه وخصوصه نحو : فَعَلَ زيدٌ وضرب زيدٌ ، وأما الخصوص فنحو : ضرب زيدٌ عمراً ، ولا تقول فعل زيدٌ

---

(١) ابن السراج – الأصول في النحو ، ج ٢،ص ١٢٠

(٢)خديجة الحديثي–موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، ص٢٤٩

(٣) السيرافي – شرح كتاب سيبويه ، المخطوط ، ص ١٩١

(٤) ابن السراج – الأصول في النحو ، ج١،٧٣.

(٥) عمر بن ثابت الثمانيني – الفوائد والقواعد ، ص ٢٥٣.

عمراً إلا أن يكون الفاعلُ هو البارئ سبحانه ،كما أن الفعل حركة الفاعل والحركة لا تقوم بنفسها وإنما هي متصلة بمحلها ، كما أن الفعل يدل على معنى في الفاعل وهو كونه مخبرٌ عنه ولذلك وجب أن لا يخلو (الفعلُ) عن ذلك الاسم (الفاعل) مظهراً أو مضمراً ، مثل (الفعل) في ذلك ، مثل (الحرف) الذي يدل على معنى في غيره ، ولا بد من ذكر الاسم الذي دخل (الحرف) لمعنى فيه ، كذلك الفعل ، لا بد من ذكر الفاعل بعده، كما أن دلالة الفعل على الفاعل أقوى من دلالته على المفعول "[١].

٥٨٠٦٥٠

فالفعل العام يدل على فاعل فقط أما الخاص فيدل على فاعل ومفعول ، ومن هنا فحاجة الفعل إلى الفاعل أقوى من حاجته إلى المفعول . والفعل أقرب إلى فاعله لأنه صادر عنه ومتصل به ، فهو أخص به من غيره ، ودلالة الفعل على الفاعل أقوى ، والألفاظ إنما تترتب بحسب قوة العلاقة المعنوية الكائنة بينها ، فما كانت دلالة المبنى عليه أقوى يتقدم وما كانت دلالة المبنى عليه أضعف يتأخر ، أو ما كانت الحاجة إليه أقوى يتقدم وما كانت الحاجة إليه أضعف يتأخر ، فالجملة إنما تسير بتقدم المعنى ،أو قد نسميها قوة المعنى .

أما الرضي فيقول " والمرفوع أخص وأهم بالذكر من المنصوبات ، والمخبر عنه أهم ما يخبر به (بالفعل) عنه بذلك الخبر في الذكر ، وأخص به فالحدث إلى محله أحوج من غيره " [٢]. " وحق الفاعل والمفعول أن يعمل فيهما الفعل ويتصلا به " [٣] . ولعلّ الرضي قد أصاب عندما ربط بين الرتبة وبين الحاجة القائمة بين المبنى عليه والمبنى كما يرى أن " طلب الفعل للمرفوع وضعي وطلبه للمنصوب تابع للوضعي .[٤]. فالجملة الفعلية تترتب من الأهم إلى الأقل أهمية،فالفعل يتقدم بالرتبة يليه الفاعل لأن الفاعل أخص بفعله من المفعول ثم يأتي المفعول.وهي كذلك تترتب من الخاص إلى العام بالرتبة،ويمكننا القول : إن المباني تترتب بالرتبة وبحسب قوة العلاقة المعنوية .

وبعد فالذي يبدو لي أن اللغة وجدت من أجل التفاهم والإفادة ، والعربي يقدم في كلامه ما هو أهم، ومن

---

(١) السهيلي – نتائج الفكر ، ص ٦٧ ، ٦٩ ، ٣٨٧ .

(٢) الرضي – شرح الكافية ، ج١، ص ٣١-٣٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦.

(٤) المصدر نفسه ، ج٤،ص٤٠٤ .

هنا تقدم الفاعل على المفعول ، لأن كثافة المعلومات التي يحملها الفاعل أهم مما يحمله المفعول ، فاهتمام المتكلم والمخاطب بالفاعل أشد من اهتمامهما بالمفعول ، لأن الفاعل يقدم لهما أكبر كمية من المعلومات المفيدة ، ولذلك قال النحاة : إن الفاعل متى ما حذف تقدم المفعول، فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد الفاعل في سد حاجة المخاطب من المعرفة .

" وربما كان هذا الترابط بين الفعل والفاعل هو الذي دفع النحاة إلى القول بأنه لا بد لكل فعل من فاعل مذكور أو مقدر وهو الذي يدفع المحلل أو المعرب لأن يبحث عن فاعل لمجرد ذكر كلمة (فعل) ، لأن الفعل بحاجة دائماً إلى فاعل ليتَّحد معه ويلازمه ليستقيم معناه ، والفاعل بحاجة إلى ما يُسندُ إليه " [١].

وقد أشارَ الدكتور الفهري [٢] . إلى مجموعة من المؤشرات التي تدل على أن ترتيب الجملة العربية هو فعل فاعل مفعول ، ومن بين هذه المؤشرات أن الفاعل يتوسط بين الفعل والمفعول إذا كان الفعل متعدياً ، كقولنا :ضرب زيدٌ عمراً . وذلك لأن الفاعل أقرب إلى فعله من المفعول ، فالفعل يصدر عنه ، ولذلك يتقدم الفاعل بالرتبة (المكانة)، لأن العلاقة المعنوية بينهما قوية كما أن وجود المفعول يعتمد على وجود الفاعل الذي يتقدم على المفعول بالرتبة والطبع.

ومن المؤشرات كذلك عدم إمكان اللبس في الجمل التي يتوارد فيها الفاعل والمفعول بدون إعراب مثل : ضرب موسى عيسى .

ومن المؤشرات كذلك بعض القيود على الإضمار ، فالنحاة يذكرون أنَّ مفسِّر الضمير يجب أن يتقدمه إما لفظاً وإما رتبة ، فمما يتقدم لفظاً : ابتلى إبراهيمَ ربُّه ، ومما يتقدمه رتبة ، دخل مكتبَه زيدٌ ، فإن تأخر عن الضمير في الرتبة واللفظ لم يجز " ابتلى ربُّه ابراهيم ، وذلك لأن المفسِّر يتقدم على المفسَّر بالطبع والرتبة .

ومن المؤشرات كذلك ظاهرة التطابق بين الفعل والفاعل ، فالفعل يطابق الفاعل جنساً وعدداً إذا تقدم الفاعلُ عليه . أما إذا لم يتقدم فلا يطابقه في العدد : جاء الأولاد ، الأولاد جاءوا والمتقدم في الجملة الثانية هو المبتدأ وليس الفاعل ، كما

---

(١) في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ، ١٩٠-١٩١.

(٢) الفهري - اللسانيات واللغة العربية ، الكتاب الأول ، ص (١٠٧-١٠٨).والباحث يؤمن بأن هذه المؤشرات دليل على أصل ترتيب الجملة الفعلية . وانظر كذلك البنية الداخلية للجملة الفعلية في العربية ، داود عبده ، أبحاث، الجامعة الأمريكية بيروت ، السنة ٣١، ١٩٨٣

أن فقدان الضمير من الفعل أو عدم المطابقة يعني فقدان العلاقة بين المبتدأ والخبر .

وتترتب المفاعيل في الجملة الفعلية بناءً على رتبة الفعل (المبني عليه)(موقعه) حيث تتقدم المفاعيل نحوه بالرتبة (المنزلة) و ذلك بحسب قوة العلاقة المعنوية بين المبني عليه والمفعول ، وهذا الموضوع وإن كان من الأمورالمختلف عليها بين النحاة إلاّ أنهم متفقون على أن المؤثر في عملية الترتيب هي رتبة (موقع) المبني عليه .

فالرضي مثلاً يقول في شرحه على الكافية : " قدَّم المفعول المطلق لأنه المفعول الحقيقي الذي أوجده فاعل الفعل وفعله، ولأجل قيام هذا المفعول به صار فاعلاً ، لأن ضاربية زيد في قولك:ضرب زيدٌ ضرباً ، لأجل حصول هذا المصدر منه ، وتقديم المفعول به لأن طلب الفعل الرافع للفاعل له أشد من طلبه لغيره ، ألا ترى أنه كما يقع على فاعله بصوغه على صورة فاعل منه يقع على المفعول به بصوغه على صورة اسم المفعول منه بلا قيد آخر ، ففي قولك ضرب زيدٌ عمراً يوم الجمعة وخالداً إكراماً لك ، زيدٌ ضارب وعمرو مضروب ، وأما يوم الجمعة فهو مضروب فيه ، وخالد مضروب معه وإكراماً مضروب له ، فتعليق ذلك الفعل بالمفعول به بتغير صيغته من غير قيد نحو : ضُرب زيدٌ ، وأما إلى غيره فبحرف جر نحو ضُرب في يوم الجمعة، وقدم المفعول فيه لأن احتياج الفعل إلى الزمان والمكان ضروري بخلاف العلة والمصاحب، وقدم المفعول له على المفعول معه إذ الفعل الذي لا علة له ولا غرض قليل بخلاف الفعل بلا مصاحب فإنه أكثر منه مع المصاحب وأيضاً يصل الفعل إليه بواسطة الواو بخلاف سائر المفاعيل " [١] فالترتيب عند الرضي :-

فعل + فاعل +مصدر+ مفعول به + ظرف زمان + ظرف مكان + مفعول له + مفعول معه .

أما الأشموني فيقول : استحق المفعول المطلق أن يقدم على المفاعيل في الوضع، وتقدم المفعول به لم يكن على سبيل القصد بل على سبيل الاستطراد والتبعية ، وتقدم المفعول له على المفعول فيه لأنه أدخل في باب المفعولية وأقرب إلى المفعول المطلق بكونه مصدراً،وتقدم المفعول فيه على المفعول معه لقربه من المفعول المطلق بكونه مستلزماً له في الواقع ، إذ لا يخلو الحدث عن زمان ومكان ، ولأن العامل يصل إليه بنفسه لا بواسطة حرف ملفوظ بخلافه " [٢].

---

(١) الرضي - شرح الكافية ، ج١، ص ٢٩٦.

(٢)شرح الأشموني ، ج١ ، ص ٤٧٧-٤٨٥.

فالترتيب عند الاشموني : - ضربت ضرباً زيداً تأديباً له يوم الجمعة في داره وطلوع الشمس .

فعل + فاعل + مصدر+ مفعول به + مفعول لأجله + ظرف زمان + ظرف مكان + مفعول معه .

أما الصبان فيقول في حاشيته على شرح الأشموني " قال الفارضي : إذا اجتمعت المفاعيل قدم المفعول المطلق ، ثم المفعول به الذي تعدى إليه العامل بنفسه،ثم الذي تعدى إليه بواسطة الحرف،ثم المفعول فيه الزماني والمكاني ،ثم المفعول له، ثم المفعول معه مثال ذلك:"ضربت ضرباً زيداً بسوطٍ فارساً هنا تأديباً له وطلوع الشمس،والظاهر أن هذا أولى لاواجب"[١].

أما الدكتور تمام حسان فيرتبها على النحو التالي :

" فعل + فاعل + مفعول به + مفعول معه + مفعول مطلق + ظرف زمان + مكان + مفعول له

ضربت زيداً وطلوعَ الشمسِ ضرباً شديداً يومَ الجمعةِ في دارِهِ تأديباً له " [٢] .

ولعل ترتيب الدكتور تمام حسان هو الأقرب إلى الصواب ، فالفعل يتقدم بكونه المبني عليه الذي يتركب عليه الكلام ، والفاعل يتقدم على المفعول لأنه لا بد للفعل من فاعل ولا يستغني عنه ، فحاجة الفعل للفاعل أشد من حاجته للمفعول " كما أن الفعل حركة الفاعل والحركة لا تنفك عن محلها " [٣]. فالفاعل أقرب إلى الفعل من غيره لأنه صادر عنه ، كما أن الفاعل هو المخبر عنه وهو أولى من غيره بهذا الخبر ، ولهذا عندما يذكر الفعل يتبادر إلى الأذهان أولاً معرفة الفاعل لأن الفعل مرتبط بفاعل يقوم به . كما أن كثافة المعلومات التي ينقلها لفظ الفاعل أكثر من غيره ، فذكره مفيد للمخاطب . ودلالة الفعل عليه قوية جداً ولذلك تقدم على المفاعيل ، وقد يكون الفعل بلا مفاعيل .

وتقديم المفعول به" لأن طلب الفعل الرافع للفاعل له أشد من طلبه لغيره ، والفعل يحتاج إلى محل يقع فيه " [٤] .

ولأنه متعلّق بأحكام المرفوعات من جهة رفعه إذا ناب عن الفاعل ، ومن جهة حصول الفائدة به كحصولها بالفاعل على الجملة ، ومن أجل أن الفعل يقتضيه بمعناه كما يقتضي الفاعل"[٥] . فإذا قلنا : ضرب زيدٌ فأول ما يتبادَرُ إلى ذهن

---

(١) الصبان - حاشية الصبان ، ج٢،ص ٢٠٧.

(٢) تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ص ٣٧٨.

(٣) السهيلي - نتائج الفكر ؛ ص ٦٧.

(٤) الرضي - شرح الكافية ؛ ج١، ص ٢١٩.

(٥) الشاطبي - المقاصد الشافية ،ج١،ص٢١٢ .

المخاطب السؤال عن المفعول به فالفعل يصدر من الفاعل ثم يقع على المفعول . فالفعل بعد الفاعل يحتاج إلى المفعول ودلالته عليه قوية وذكره أهم وأكثر إفادة من غيره .

وتقدم المفعول معه ، لأنه الفاعل أو المفعول من جهة المعنى ، وفيه مراعاة لأصل الواو . فعندما نقول جاء زيد وطلوع الشمس . فطلوع الشمس فاعل من جهة المعنى وهو مصاحب لفعل المجيء يقول ابن هشام " لبعض المفاعيل الأصالة في التقدم على بعض إما بكونه مبتدأ في الأصل أو فاعلاً في المعنى أو مسرَّحاً لفظاً أوتقديراً والآخر مقيدٌ [١] لأن علقة ما لا يحتاج إلى واسطة أقوى من علقة ما يحتاج إليها " [٢] .

وتأخيره للمصدر عن المفعول به عين الصواب ، فصحيح أن الفعل له دلالة قوية على المصدر ،إلاّ أنه يجب أن لا ننسى أن ذكره غير مفيد أو أن حاجة الفعل إليه ليست قوية فتأخيره أفضل من تقديمه "وذلك لأن ذكر الفعل مغنٍ عنه " [٣] .

وتقديمه للمصدر على الظرف ، لأن دلالة الفعل على المصدر أقوى من دلالته على الظرف ، " ولأن الفعل ينصب المصدر وظرف الزمان وظرف المكان ، ونصبه للمصدر أقوى من نصبه للظرفين . لأن الفعل إنما ينصبُ ظرف الزمان بالحمل على المصدر ، وكان الأصل أن يتعدى إليه بحرف جر ، وأما ظرف المكان فانتصب على ظرف الزمان،وكان الأصل أن يصل إليه الفعل بحرف جر،ونصب المكان في الرتبة الثالثة وكل ما هو في الدرجة الثالثة لا تجده إلا مخصوصاً "[٤] .وتقديمه للظرف " لأنه لا بد للفعل من زمان ومكان يكون فيهما " [٥] . ولأن الفعل إنما اختلفت أبنيته للزمان، وهو مضارع له من أجل أن الزمن حركة الفلك ، والفعل حركة الفاعلين " [٦] . واحتياج الفعل إلى الزمان والمكان ضروري"[٧]."كما أن الدلالة على الزمان وقعت عليه من لفظ الفعل"[٨].وتقديمه للزمان على المكان "لأن

---

(١) ابن هشام – أوضح المسالك ، ج ٢ ، ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) ابن مالك – شرح التسهيل ، ج ٢، ص ٨٣.

(٣) السهيلي – نتائج الفكر ، ص ٣٨٧.

(٤) ابن أبي الربيع – البسيط في شرح جمل الزجاجي، ج١،ص ٥٠٧.

(٥) ابن عصفور – شرح جمل الزجاجي ،ج١،ص٣٢٤ .

(٦) الزجاجي – الجمل ، ص٣٢٠.

(٧) الرضي – شرح الكافية،ج١، ص٢٩٦.

(٨) عبدالقاهر الجرجاني – المقتصد في شرح الإيضاح ،ج٢ ، ص ٦٢٨-٦٢٩.

دلالة الفعل على الزمان أقوى من دلالته على المكان ولذلك قد يحتاج الفعل إلى حرف جر يصل به إلى المكان ولكنه يصل إلى الزمان بدون حرف " [١] .

أما تأخيره للمفعول له " فلأن الفعل قد يكون بلا علة ، فقد يكون فاعل الفعل ساهياً أو مجنوناً ، فلا يقع فعله لسبب ، فلا يكون للفعل إذ ذاك مفعول من أجله " [٢]" ورب فعلٍ بلا علةٍ " [٣] كما أن الفعل في الأصل يصل إليه بحرف جر لضعف العلاقة بينهما .

ويتضح من ترتيب المفاعيل أن المباني تتقدم بالرتبة (المنزلة)من الخاص إلى العام أو من القريب إلى البعيد.

وقد قال تعالى : " لقد صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرؤيا بالحقِ"(الفتح٢٧)"فهنا جرى التعبير على الأصل و لم يقدم شيء على شيء" [٤] حيث تقدم الفاعل فالمفعول الأول فالثاني فالجار والمجرور وذلك بسبب قوة العلاقة المعنوية ،كما قال تعالى :" وَنَحْشُرُهُم يومَ القِيامَة على وجُوهِهِم عُميا وبُكما وصُما " (الاسراء ٩٧) تقدم الفاعل على المفعول فالزمان فالمكان فالحال . " ولكنه (الفاعل) يرتبط بفعله حتى إنهما لَيُعَدان كالكلمة الواحدة ، ثم ترتبط بقية كلمات الجملة بهما ارتباط الدوائر بالبؤرة " [٥] .

" فكل كلمة ترتبط بالبؤرة فيها والتي هي الفعل بسبب وعلاقة معينة وبذا يتحقق النظم في الجملة " [٦].

فليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض " [٧] ." فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك " [٨] . وتتم عملية التعليق بناءً على المنزلة ." واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعة من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير

---

(١) سيبويه – الكتاب ،ج١، ص ٣٥ .

(٢) ابن عصفور – شرح جمل الزجاجي ، ج١، ص ٣٢٤.

(٣) الرضي – شرح الكافية ، ج١،ص ٢٩٥.

(٤) فاضل السامرائي – الجملة العربية ،ص ٣٨ .

(٥) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ١٩٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٠.

(٧) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الاعجاز ، ص ٨٧ ، ٥٥.

(٨) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الاعجاز، ص ٥٥.

قطعة واحدة وذلك أنك إذا قلت ضرب زيدٌ عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم واحد لا عدة معانٍ كما يتوهمه الناس ، وذلك لأنك لم تأتِ بهذه الكلم لتفيد أنفسَ معانيها وإنما جئت بها لتفيد وجوه التعليق التي بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه والأحكام التي هي محصول التعلق وإذا كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن ننظر في المفعولية من (عمرو) وكون يوم الجمعة زمانا للضرب وكون الضرب ضرباً شديداً وكون التأديب علة للضرب ، أيتصور فيها أن تفرد عن المعنى الأول الذي هو أصل الفائدة ، وهو إسناد الضرب إلى زيد وإثبات الضرب به له حتى يعُقل كون عمرو مفعولاً به وكون يوم الجمعة مفعولاً فيه وكون يوم الجمعة مصدراً ، وكون التأديب مفعولاً له من غير أن يخطر ببالك كون زيد فاعلاً للضرب ؟ وإذا نظرنا وجدنا ذلك لا يُتصور لأن عمراً مفعول لضرب وقع من زيد عليه ويوم الجمعة زمان لضرب وقع من زيد ، وضرباً شديداً بيان الضرب كيف هو وما صفته ، والتأديب علة له وبيان أنه كان الغرض منه ، وإذا كان ذلك كذلك بان منه وثبت أن المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معانٍ ، وهو إثباتك زيداً فاعلاً ضرباً لعمرو في وقت كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا ولهذا المعنى نقول : إنه كلام واحد " [1] .

"والأصل في ترتيب المفاعيل في باب : أعطى أن تترتب من الخاص إلى العام ، وفي ذلك يقول ابن مالك :

والأصلُ سَبْقُ فاعلٍ معنى كمَنْ ... مِنْ :أَلبِسَنْ مَنْ زاركَم نسجَ اليَمن

ويلزُم الأصلُ لموجِب عرا ... وتركُ ذاكَ الأصلِ حتماً قد يُرى

---

[1] عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ٤١٢، ٤١٣.

ويتابع السيرافي كلامه مستخدماً أدوات العطف التي تدل على الترتيب وتفيد كيفية حدوث الجملة الاسمية خطوة خطوة " قال : فإنما قلت عبدالله فنبهته له ثم بنيت عليه فرفعته بالابتداء ، يعني ابتدأت بعبد الله فنبهت المخاطب له فانتظر الخبر فأخبرت بالجملة التي بعده " [١] .

" وهذا الذي قد ذكرتُ من أن تقديم ذكر المحدَّث عنه يفيد التنبيه له ، قد ذكره صاحب الكتاب في المفعول إذا قُدِّمَ فَرُفع بالابتداء وبني الفعل الناصبُ لَهُ عليه ، وعُدِّي إلى ضميره فشُغِلَ به كقولنا في " ضربتُ عبدالله " : " عبدُ الله ضربتُهُ"، فقال : وإنما قلت : عبدُ الله ، فنبهتَهُ له ثم بنيت عليه الفعل ، ورفعته بالابتداء .

وذلك من أجل أنه لا يؤتى بالاسم معرى من العوامل إلا لحديث قد نُويَ إسناده إليه ، وجملة الأمر أن ليس إعلامك الشيء بغته غفلاً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ، ويشهد لما قلنا من أن تقديم المحدث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له ، أنا إذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكار أو شك .... ، ويزيدك بياناً أنه إذا كان الفعل مما لا يشك فيه ولا ينكر نحال لم يكد يجيء على هذا الوجه ولكن يُؤتى به غير مبني على اسم " [٢].فالجملة الاسمية تتكون بخطوتين الخطوة الأولى : الابتداء بالمبتدأ لتنبيه المخاطب له والخطوة الثانية : الإخبار بما ينتظره المخاطب ،وهذا يعني أيضاً أن المبتدأ معروف للمخاطب وإنما الذي يجهله هو الخبر فالمعرفة في المقدمة والمجهول في النهاية وهو محل الفائدة .

شرط بناء الفعل على الاسم :-

"قال وإنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملاً في ضميره، يعني أن ضربته إنما بني على زيد لأنه قد عمل في ضميره ، ولولا ذلك لم يحسن ... [٣] . فشرط بناء الفعل على الاسم ، أن ينشغل الفعل بضمير الاسم المتقدم ، حتى يخرج من طلب الفعل له ، فإذا لم ينشغل الفعل بالضمير وجب أن تنصب الاسم المتقدم لأن الجملة تكون عندها جملة

---

(١) السيرافي - شرح كتاب سيبويه ،ج١،ص١٩١ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١٣١-١٣٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣١-١٣٥وانظر سيبويه في هذا الباب،ج١،ص٨٠، والأبواب التي بعده حيث يؤكد على ترتيب الجملة الاسمية + الشاطبي ، المقاصد الشافية،ج١،ص١٠٥.

فعلية وليست اسمية والفعل محتاج للمفعول به ، ويجوز رفعه على ضعف وذلك على نية وجود الهاء ، ويجوز نصبه وهو منشغل بالضمير وذلك على تقدير فعل سابق عليه محذوف يفسره الفعل المذكور بعده لأن المفسَّر والمفسر لا يجتمعان "ولا يتعدى الفعل إلى ضمير اسم وإلى ظاهره جميعاً . ولهذا وجب في "زيداً ضربته" تقدير عامل على الأصح " [١] .

وكما تَرَتبت المباني في الجملة الفعلية بالرتبة (المنزلة) من الخاص إلى العام ، فكذلك تترتب المباني في الجملة الاسمية .

وعلى هذا فالجملة الاسمية تترتب مبانيها بالرتبة من الأهم إلى الأقل أهمية ومن الخاص إلى العام وعلة هذا الترتيب أن المبتدأ هو المبني عليه ورتبه المبني عليه قبل رتبة المبني والمبتدأ هو المحتاج ورتبة المحتاج قبل رتبة المحتاج إليه أو المطلوب ، بالإضافة إلى أن المبتدأ معرفة والخبر قد يكون نكرة فتقدمت المعرفة على النكرة " فلا يخبر عن مجهول والإخبار عما لا يعرف لا فائدة منه " [٢]، وقد قال ابن مالك :

" والأصلُ في الأخبارِ أن تُؤَخَّرا وَجَوَّزُوا التقديمَ إذْ لا ضَرَرا " [٣]

وبناءً على كل ما تقدم فيبدو لي أن أصل ترتيب الجملة العربية هو :

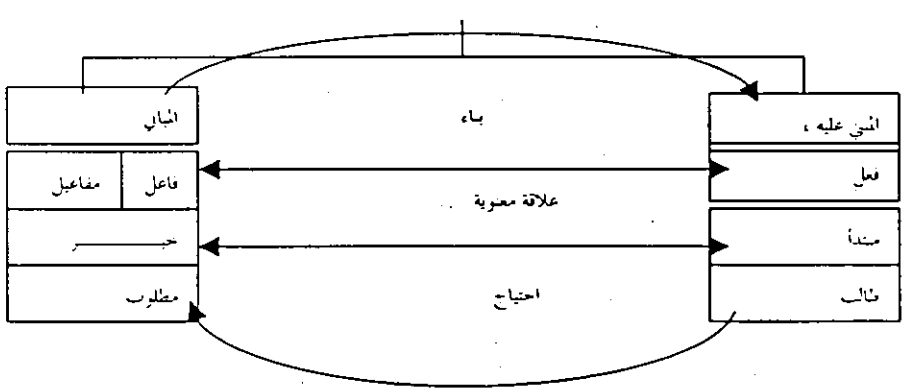

المباني تترتب في هذه الجملة من الخاص إلى العام

---

(١)ابن هشام – رسالة في توجيه النصب ، ص٢٠ .

(٢) ابن الأنباري – أسرار العربية ، ص٨٠.

(٣) ابن الناظم – شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ،ص٨١ .

والرتبة بين هذه الاركان رتبة غير محفوظة ما عدا رتبة الفاعل مع الفعل فهي رتبة محفوظة " فالفاعل لا يتقدم على فعله إلا على شرط الابتداء " [١].

"فإن وجد ما ظاهره أنه فاعل تقدم على فعله وجب تقدير الفاعل ضميراً مستتراً وكون المقدم مبتدأ في "نحو زيد قام" ، وإما فاعلاً محذوف الفعل في نحو " وإن أحد من المشركين استجارك "[٢](التوبة ٦) لأن أداة الشرط مختصة بالجملة الفعلية ، كما يرى جمهور النحاة .

وهذا ما يتأكد من حديث السيرافي عن التقدم والتأخير لعناصر الجملة الفعلية ، يقول السيرافي : وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد،كما كان ذلك عربياً جيداً،وذلك قولك زيداً ضربتُ،يعني "زيداً ضربت" بمنزلة زيداً ضرب عمرو ولا فرق بين الفاعل الظاهر والمكني " قال والعناية هنا في التقدم والتأخير سواء ، مثله في ضرب زيدٌ عمراً ، وضرب عمراً زيدٌ، يعني أن المكني والظاهر الفاعلين سواء في تقدم المفعول وتأخيره فإن كانت العناية بالمفعول فيهما أشد قدمت المفعول وإن كانت العناية بالفاعل أشد قدمت الفاعل " [٣] .

فالفاعل والمفعول يتقدمان بالرتبة (المنزلة) أصلاً وعدولاً.

وعلى هذا فالرتبة بين عناصر الجملة الفعلية هي رتبة غير محفوظة ، ما عدا الرتبة بين الفعل والفاعل فهي رتبة محفوظة ، والمفعول يستطيع الحركة إلى يمين الفاعل أو إلى يمين الفعل والفاعل ،وهذا المفعول يبقى محافظاً على وظيفته النحوية السابقة رغم تقدمه ،لأن الفعل محتاجٌ إليه وهو مبني على الفعل على الرغم من تقدمه . أما الفاعل فرتبته ثابتة محفوظة .

---

(١) ابن السراج - الأصول في النحو ، ج١ ، ص ٧٢.

(٢) ابن هشام - أوضح المسالك ، ج ٢، ص ٨٥.

(٣) السيرافي - شرح كتاب سيبويه ، ج١، ص١٩١ .

"فإن وجد ما ظاهره أنه فاعل مقدم وجب تقدير الفاعل ضميراً مستتراً وكون المتقدم إما مبتدأ أو فاعلاً لفعل محذوف"[١] وسبب وجود هذا الضمير ، أن الفعل محتاجٌ للفاعل ولا ينفصل عنه ، كما أن الاسم المتقدم هو المبتدأ والكلام مبني عليه ، وهذا المبتدأ بحاجة إلى الخبر فإن لم تقدر ضميراً بعد الفعل ، فإن ما بعده أي(ما بعد المبتدأ)لا يشكل جملة تكون خبراً عنه إلا بوجود الضمير العائد ، كما أن الضمير إن لم يكن موجوداً فإن الصلة بين الاسم المتقدم (المبتدأ) وخبره ستكون معدومة ، فالضمير رابط يربط بين المبتدأ وخبره ، وذلك لأن الخبر ليس هو الأول في المعنى . وسبب التقديم والتأخير هو العناية والاهتمام ، وتقديم المفعول يكسبه أهمية عند المتكلم والمخاطب ولكنه لا يكتسب الأهمية من ناحيه نحوية فيظل مبنياً رغم تقدمه لأن الفعل محتاج إليه . والجملة الاسمية ، كذلك ، الرتبة بين أركانها في الأصل غير محفوظة . إلاّ أن الرتبة في الجملة العربية قد تكون واجبة الحفظ كما هي في الأصل وقد يحدث ما يدعو إلى الخروج عن أصل الرتبة جوازاً ووجوباً ، والأصل والخروج عنه يتم وفق ضوابط معينة تتحكم في ترتيب الجملة العربية

الجملة الشرطية : –

" و زاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية ، وذلك نحو : بكرٌ إن تعطه يشكرْك " وهي عند الجمهور فعلية ، وذلك لأن الجمل الشرطية تكون إما مصدرة بحرف شرط أو اسم شرط ، واسم الشرط فضلة أو عمدة " [٢]. وفي رأيي أن جملة الشرط فيها خروج عن الأصل بالصدارة[٣]. وكون الجملة اسمية أو فعلية يعتمد على ما إذا كان اسم الشرط طالباً أو مطلوباً ، فجملة مثل " أينما تذهبْ أذهبْ " جملة تترتب من العام إلى الخاص والأصل فيها أذهبُ أينما تذهبُ "

ولكن تقديم أينما بالصدارة أدى إلى تقديم ما يرتبط بها معنوياً فصارت الجملة هكذا : أينما تذهبْ أذهبْ .

فهذه الجملة فعلية ومثلها " متى تسافرْ أسافرْ " وأصلها : أسافرُ متى تسافرُ ." وهذه كلها فضلات وهي مقدمة من تأخير مثل قولنا محمداً أكرمتُ " و (غداً أسافرُ) و (بينكما أجلس) فكما أنه لا عبرة بالفضلات المتقدمة هنا وأن

---

(١) ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج ٢، ص ٨٥.

(٢) ابن يعيش – شرح المفصل ، ج١ ، ص ٨٨ ، وكذلك فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ١٦٠.

(٣) وانظر فاضل السامرائي – الجملة العربية ، ص ١٦٠ .

العبرة بصدر الجملة فكذلك الأمر في الشرط فهذه كلها جملٌ فعلية " [١] وذلك لأن المبني عليه ما زال محتاجاً إلى الأسماء المتقدمة . " ثم ما الفرق بينها وبين أسماء الاستفهام ؟ فلماذا يكون قولك (أيَّ رجل تكرم ؟) جملة فعلية باعتبار أي مفعولاً به مقدماً ولا يكون (أيَّ رجل تكرمْ أكرمْ) جملة فعلية أيضاً مع أن إعراب (أي) في الحالتين واحد ؟ [٢]

أما إذا كان اسم الشرط طالباً وليس مطلوباً فالجملة عندها : اسمية ، وهي كذلك ناتجة عن تحوير الرتبة ، فجملة مثل " مَنْ يأتِني أكرِمْهُ " أصلها : أكرمُ من يأتيني . ولكن تقدمت من بالصدارة وتبعها ما يرتبط بها فصارت مَن يأتني أُكرمْهُ وهي جملة اسمية لأن (من) مبتدأ وما بعدها هو الخبر " ثم إن هناك جملاًشبيهة بالشرطية نحو"الذي يأتيني فله الفضل" و "كل رجل يعنيني فأنا أعنيه " وغيرها فهل تكون هذه الجمل جملاً خاصة أيضاً فلا تكون اسمية ولا فعلية ؟ [٣]

أما المبدوءة بحرف الشرط فهي في نحو (إن زرتني أكرمتك)، جمل فعلية وفي نحو (لولا زيدٌ لغرق خالدٌ) اسمية جرياً على القاعدة العامة " [٤]. لأنه لا عبرة بالحرف على حد ما يقوله النحاة ، ولكن لماذا لا تكون هذه الجمل خروجاً عن الأصل بالصدارة ولأن الأصل أن تتقدم الغاية على الوسيلة بالزمن كما يقول ابن القيم " اختلف الكوفيون والبصريون فيما إذا تقدم أداة الشرط جملة تصلح أن تكون جزاء ثم ذكر فعل الشرط و لم يُذكر له جزاء نحو" أقوم إن قُمت" فقال ابن السراج : الذي عندي أن الجواب محذوف يغني عنه الفعل المتقدم ، قال : وإنما يستعمل هذا على وجهين: إما أن يضطر إليه شاعر ، وإما أن يكون المتكلم به محققاً بغير شرط ولا نية فقال أحيئك ثم يبدو له أن لا يجيئه إلا بسبب فيقول إن جئتني فيشبه الاستثناء ويغني عن الجواب ما تقدم، وهذا قول البصريين وخالفهم أهل الكوفة وقالوا: المتقدم هو الجزاء والكلام مرتبط به ، وقولهم في ذلك فهو من هذا الوجه رتبته التقدم طبعاً ولهذا كثيراً ما يجيء الشرط متأخراً عن المشروط لأن المشروط هو المقصود وهو الغاية والشرط وسيلة فتقدم المشروط هو تقدم الغايات على وسائلها ورتبتها التقدم ذهناً (زمنا) وإن تقدمت الوسيلة وجوداً ، فكل منهما له التقدم بوجه وتقدم الغاية أقوى فإذا

---

(١) فاضل السامرائي – الجملة العربية ،ص ١٦١.

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٦١

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦١

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦١

وقعت في مرتبتها فأي حاجة إلى أن نقدرها متأخرة وإذا انكشف الصواب فالصواب أن تدور معه حيثما دار" [١] وعلى هذا فالجملة الشرطية في الأصل جملة فعلية ، وهي جملة مركبة تنتج من العدول عن الأصل والمباني بعدها تترتب كذلك من الخاص إلى العام .

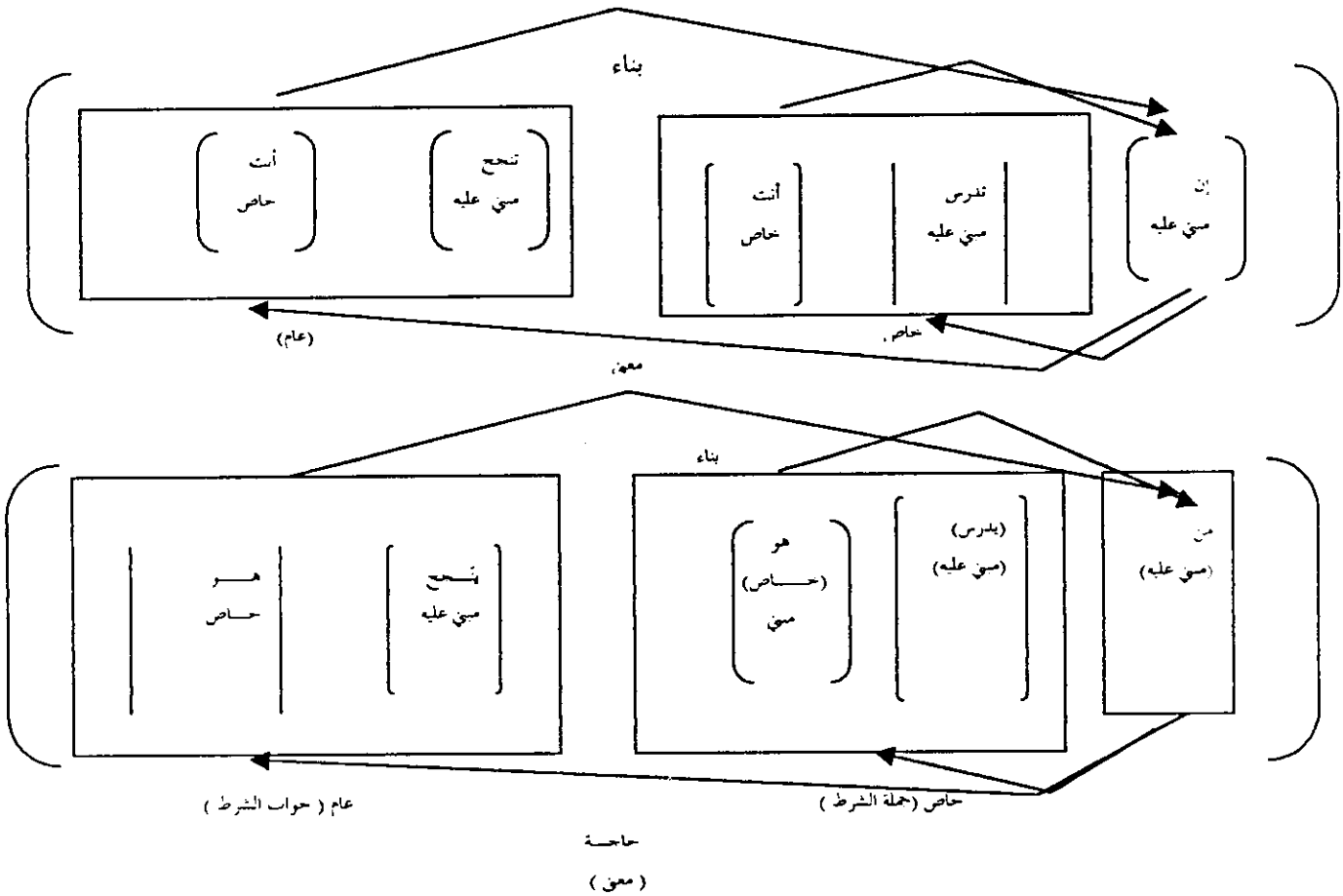

ومن الأدلة على أن أصل الجملة الشرطية جملةٌ فعلية " قول الشاعر النمر بن تولب [٢] :-

فإنَّ المنيَّةَ مَنْ يخشَها فسوفَ تُصادِفُهُ أينما

يريد : أينما ذهب ، وأينما كان " [٣] أي تصادفهُ المنيةُ أينما ذهب ويمكن تحويلها إلى جملة شرطية فنقول :

أينما ذهب تصادفْهُ المنية،فصارت جملة شرطية،وكذلك مَنْ يخش المنيةَ تصادفْه،اسمية أصلها تصادف المنيةُ مَنْ يخشاها، فعلية وتتحول (مَن) إلى مبني عليه لأنها ليست مطلوبة لما بعدها . فتتحول من (مبني) إلى (مبني عليه) وتصبح طالبة بعد

---

(١)ابن القيم – بدائع الفوائد ، ج١ ، ص ٥١-٥٢ .

(٢)إميل بديع يعقوب – المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ،ج٢ ، ص ٨٣٥ .

(٣)الزجاجي – الجمل في النحو ، ص ٢٧٤.

أن كانت مطلوبة ، فبعد أن كانت مفعولاً به صارت مبتدأ والمباني تترتب بعدها من الخاص إلى العام .

بينما لا تتحول أينما إلى (مبني عليه) بل تبقى مبنية لأنها ما زالت مطلوبة للفعل بَعدها " وعلى هذا نحن نقول :

إن دَرَست فأنت ناجحٌ ، أنت إن درستَ ناجحٌ ،أنت ناجحٌ إن درستَ .

فالجملة الأولى مبنية على الشرط ابتداءً ، والثانية مبنية على اليقين ، والشرط معترض ،(أو مبنية على اليقين المشروط) والثالثة مبنية على اليقين ، حتى إذا مضى الكلام على اليقين أدركك الشرط فاستأنفته في الكلام ، فالنجاح في الجملة الأخيرة آكد ، لأن الإخبار مضىعلى اليقين أما الشرط فمتأخر ، ثم الثانية لأن الشرط اعترض الخبر ، ثم الأولى ، لأن ا لكلام فيها مبني على الشرط ابتداءً "[1] .

الجملة الظرفية : –

كما زاد ابن هشام الجملة الظرفية وهي المصدرة بظرف أو بجار ومجرور نحو(أعندك زيدٌ)و"في الدار زيدٌ"،إذا قدرت (زيداً) فاعلاً بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف ولا مبتدأ مخبراً عنه بهما " [2] وفي رأيي أن جملة كهذه هي عدول عن الأصل بالرتبة وهي تترتب من العام إلى الخاص هكذا

	أعندك	مستقرٌ	زيدٌ
	عام٢	عام١	(مبني عليه)
والأصل	أزيد	مستقرٌ	عندك

وقد انتقل الظرف بالمنزلة ليتصل بهمزة الاستفهام ويتبعه ما هو أخص منه وهو الخبر المحذوف لدلالة الظرف عليه .

وكذلك	في الدار	جالس	زيدٌ
	عام٢	عام١	مبني عليه (خاص)
والأصل فيها	زيدٌ	جالسٌ	في الدار
	مبتدأ (خاص)	خبر	ظرف
	(مبني عليه)	عام١	عام٢

---

(١) فاضل السامرائي – معاني النحو، ج٤،ص ١٢٢.

(٢) ابن هشام – المغني ، ص ٣٧٦ .

" والقول بالجملة الظرفية فيه نظر فيما يبدو لي ، فإنه على ما ذهب إليه صاحب المغني ، وهوأن الاسم المرفوع فاعلٌ بالظرف أو بالجار والمجرور في نحو (أعندك زيدٌ ؟) ويبدو لي أن هذا القول فيه نظر ذلك أن"زيداً"مبتدأ مؤخر لا فاعل بدليل أنه يصح أن تدخل عليه النواسخ فنقول : (أإن عندك زيداً ؟) ولو كان فاعلاً لم يصح دخول (إن) عليه ولا انتصابه .

وتقول : (أظننت عندك زيداً ؟) ولو كان فاعلاً لم ينتصب ، وتقول : أكان عندك زيدٌ ؟) فزيد اسم كان لا فاعل ، وإذا كان فاعلاً فأين اسم كان ؟ وتقول : (أعندك كان زيدٌ ؟) و (أعندي ظننتَ زيداً ؟) فتدخل كان وظن عليه مباشرة ، ومعلوم أنه لا يصح إدخالهما على الفاعل فبطل هذا القول " [١] .

الجملة الوصفية :-

كما أضاف تمام حسان [٢] ومحمود نحلة [٣] الجملة الوصفية ، وهي التي يكون فيها المبني عليه وصفاً ،وفي رأيي أن الوصف يعمل عمل الفعل،وإن كان الوصف يدل على حدث وموصوف فيما الفعل يدل على حدث وزمن[٤] ، فالفرق بينهما فرق في المعنى وليس في العمل والوظيفة .

---

(١) فاضل السامرائي –الجملة العربية،ص ١٦٠.

(٢) تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها،ص٩٨ .

(٣) محمود نحلة – نظام الجملة، ص ١٠٦.

(٤) تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها،ص٩٨ وما بعدها .

المبحث الثالث

ضوابط الترتيب

"عملية تأليف الجمل تنتظمها رتب تختلف في اللغة الواحدة ، إلاّ أن تغيرات الرتبة في اللغة الواحدة ليست اعتباطية أو غير محددة ، بل هناك ما يدل على وجود قيود على رتب المكونات الكبرى ، والصغرى ، ومن أهداف النظرية اللسانية أن تبحث في مجموعة المبادئ التي تُقيد الرتب داخل اللغات ، لأن كفايتها ليست مرهونة فقط بتخصيص ووصف ما يلاحظ من الظواهر الرتبية،بل أيضاً بحصر ما لا يمكن أن يلاحظ منها[١]"فالكلمات لا تتوالى في الجملة على نحو عشوائي بل يخضع ترتيبها لأنساق تركيبية مضطردة"[٢]يتحكم المعنى في الجزء الأكبر منها ويتحكم اللفظ في القليل الباقي وتترتب الكلمات في الجملة العربيـــة وفق ضوابط معينة تتحكم في ترتيبها وحركة عناصرها . وهذه الضوابط تتحكم أو تؤثر في الكلام المتراتب نحوياً ومعنوياً وأول هذه الضوابط هو ضابط المعنى وثانيهما هو ضابط اللفظ .

أَولاً : التقدم (بالسبب المعنوي) : –

فقـــد قال سيبويه : "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم " [٣]

فالمهم يتقدم على الأقل أهمية والألفاظ تترتب بحسب ترتبها في النفس، وهذا ما يراه عبدالقاهر الجرجاني حيث يقول "وأما نظمُ الكلم فليس الأمرُ فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني ، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس فهو إذن نظمٌ يُعتبر فيه حالُ المنظومِ بعضهُ من بعض وليس هو النظمُ الذي معناهُ ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق ، مما يوجب اعتبارَ الأجزاء بعضَها من بعض ، حتى يكون لوضع كلٍّ حيث وضع علةٌ تقتضي كونه هناك ، وحتى لو وضع في مكانٍ غيره لم يصلح " [٤] .

فلا بد إذن من مراعاة مواقع الكلام بعضه من بعض ، فقد تصلح الكلمة في موقع ولا تصلح في موقع آخر وذلك بالنظر

---

(١) الفهري – اللسانيات واللغة العربية ، ص ١٠٣.

(٢) ممدوح الرمالي – العربية والوظائف النحوية، ص ٢٢٠.

(٣) سيبويه – الكتاب ، ج١،ص ٣٤ .

(٤) عبدالقاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ٤٩.

إلى ائتلافها مع جاراتها من الكلمات في الجملة . ولا بد من أن يكون هناك سبب يقتضي وضع الكلمة في هذا الموقع أو ذاك ، ولو وضعت في غير مكانها لم يصلح ، فكل كلمة لها الموقع الذي يناسبها .

وقد فسر السهيلي (٥٨٣هـ) كلام سيبويه قائلاً " وما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء : إما بالزمان ، وإما بالطبع ، وإما بالرتبة ، وإما بالسبب ، وإما بالفضل والكمال فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة أو بأكثرها سبق اللفظُ الدالُ على ذلك المعنى وكان ترتب الألفاظ بحسب ذلك . نعم وربما كان ترتب الألفاظ بحسب الخفة و الثقل لا بحسب المعنى كقولهم : ربيعه ومضر ....، وربما تقدم المعنى بأكثر من سبب من هذه الأسباب " [١] "فإما أن يُعتقد إرادة الكل ، أو يرجح بعضها ، لكونه أهم في ذلك المحل، وإن كانت الأخرى أهم في محل آخر ، وإذا تعارضت الأسباب روعي أقواها ، فإن تساوت كان المتكلم بالخيار في تقديم أي الأمرين شاء " [٢] .

أما العلائي (٧٦١هـ) فيقول في الفصول المفيدة في الواو المزيدة : "روي أن عمر رضي الله عنه أنكر على سحيم عبد بني الحسحاس قوله:"كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا"وقال:لو قدمت الإسلام على الشيب. و لم أجد لإنكار عمر رضي الله عنه على سحيم سنداً ولكنه مشهور في كثير من الكتب، وقد أجيب عنه بأن ذلك الإنكار على وجه الأدب في تقديم الأهم في الذكر،وإن كانت الواو لا تقتضي ترتيباً فإن الترتيب له سبب إرادة لفظية كالفاء و"ثم"وطبيعة زمانية فالنطق الواقع في الزمان الأول متقدم بالطبع على النطق الواقع في الزمان الذي بعده،وهو السر فيما حكاه سيبويه عن العرب أنهم يبدأون بما هو الأهم عندهم وكانت العناية به أشد ، فكل ما قُدِّم بالزمان دلَّ على أن المتكلم قصد الاهتمام به أكثر مما بعده،وذلك يقتضي تفضيلاً.فإنكار عمر رضي الله عنه لهذا المعنى "[٣] .

فالأصل أن يتقدم الإسلام على الشيب بالزمن وبالرتبة والفضل والشرف ، ولكن تقدم الشيب بالسبب اللفظي عدولاً .

---

(١) السهيلي- نتائج الفكر،ص ٢٦٨، الزركشي - البرهان في علوم القرآن، ج٣ ، ص ٢٧٥ .

(٢) الزركشي - البرهان ، ج٣، ص ٢٧٥ .

(٣) العلائي - الفصول المفيدة ، ص ٩٣-٩٤.

وبناءً على ما تقدم فالذي يبدو لي أن المباني تترتب **بالرتبة (المنزلة)** بغض النظر عن سبب التقدم .

هذا ، وتترتب الجملة العربية في الأصل من المبني عليه إلى المبني بالرتبة من الخاص (القريب) إلى العام (البعيد)

والمباني إما أن تتقدم بالزمان وإما بالطبع ، وإما بالرتبة ، وإما بالسبب وإما بالفضل والكمال ، وإما بالخفة والثقل ،

والعدول من العام إلى الخاص .

وهذا يتوافق وما يقوله ابن القيم كذلك من أن هناك طريقتين معروفتين في الكلام " الترقي من الأخص إلى

ما هو أعم منه ، إلى العام (البعيد) (وهو الأصل) والنزول من الأعم إلى الأخص منه إلى

الخاص (القريب) (وهذا هو الخروج عن الأصل) [1].

وسأبدأ بالأصل فقد قال تعالى : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)(الحديد ٣) فقد بدأ بالخاص وانتهى بالعام

وتفصيل ذلك كما يلي :

---

(١) ابن القيم – بدائع الفوائد ،ج١،ص٨١.

أولاً : التقدم بالزمان :-

والمتقدم بالزمان : هو ماله تقدم زماني كتقدم نوح على إبراهيم عليهما السلام [١] "ومن التقدم بالزمان تقدم عاد على ثمود ، وتقدم الظلمات على النور ، فإن الظلمة سابقة للنور في المحسوس والمعقول ، وتقديمها في المحسوس معلوم بالخبر المنقول و تقدم الظلمة المعقولة معلومة بضرورة العقل ، قال سبحانه(والله أخرجكم من بطون أمهاتِكُم لا تعلَمون شيئاً وجعل لكم السَّمعَ والأبصارَ والأفئدةَ)(النمل ٧٨) ، وانتفاء العلم ظلمة معقولة وهي متقدمة بالزمان على نور الإدراك ولذلك قال سبحانه في ظلمات ثلاث فهي ثلاثة محسوسات : ظلمة الرحم ، وظلمة البطن ، وظلمة المشيمة ، وثلاثة معقولات وهي : عدم الإدراكات الثلاثة المذكورة في الآية المتقدمة إذ لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع،قال علي رضي الله عنه:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(إن الله خلق عباده في ظلمةٍ ثم ألقى عليهم من نورهِ) " [٢] .

◆ و"من التقدم بالزمان قوله تعالى:(وإن يكذّبوك فقد كَذّبت قبلَهم قومُ نوحٍ وعادٌ وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكُذّبَ موسى فأمليتُ للكافرين)(الحج ٤٢) فإن ترتيب هذه السبعة وقع بحسب الزمان ، وكذلك أكثر ما ورد في القرآن من سياق هذه القصص مبسوطة كما في الأعراف وهود والشعراء وغيرها وكذلك حيث يذكر عاداً وثمود غالباً وقوله تعالى :(يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسلٌ منكم يقصون عليكم آياتي)(١٣٠ الأنعام)فالذي يظهر أن تقدم الجن على الإنس من التقدم بالزمان لأنهم خلقوا قبل آدم"[٣] .

◆ ومنه قوله تعالى(صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)(الفاتحة ٧)"تقديم المغضوب عليهم على الضالين لوجوهٍ عديدة أحدها: أنهم متقدمون عليهم بالزمان،والثاني:أنهم كانوا هم الذين يَلُون النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتابين ، فإنهم كانوا جيرانه في المدينة،والنصارى كانت ديارهم نائية عنه ، ولهذا تجد خطاب اليهود والكلام معهم في القرآن أكثر من خطاب النصارى كما في سورة البقرة والمائدة وآل عمران وغيرها من

١- الجرجاني - التعريفات ، ص ٢١١ .

٢- السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٦٨ .

٣-العلائي - الفصول المفيدة ، ص ص ١١٥ – ١١٦ .

السور، الثالث : أن اليهود أغلظ كفراً من النصارى ، ولهذا كان الغضب أخص بهم واللعنة والعقوبة فإن كفرهم عن عناد وبغي كما تقدم،فالتحذير من سبيلهم والبعد منها أحق وأهم بالتقدم وليست عقوبة من جهل، كعقوبة من علم وعاند ، الرابع وهو أحسنها :أنه تقدم ذكر المنعم عليهم،والغضب ضد الإنعام،والسورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابله فَذِكْرُ المغضوب عليهم مع المنعم عليهم فيه من الازدواج والمقابلة ما ليس في تقدم الضالين [١] .

♦ ومنه قوله تعالى :(لا تأخذُه سنةٌ ولا نوم) لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السِّنة قبل النوم فجاءت العبارة على هذه العادة [٢] .

♦ ومن التقدم بالزمان قوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إنَّ اللهَ يفصِلُ بينَهُم يومَ القيامة إن اللهَ على كل شيءٍ شهيد)(الحج ١٧)(والترتيب هنا ترتيب الأزمنة ، وأخر الذين أشركوا لأنهم وإن تقدمت بهم أزمنة، وكانوا في عهد أكثر الأنبياء الذين تقدمت بعثتهم صلوات الله عليهم ، فإنهم كانوا أكثر من مُنِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وصُلِيَ بجهادهم وكأنهم لماكانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل زمانه وهذا الزمان متأخر عن أزمنة الفرق الذين تقدَّم ذكرهم)[٣].

♦ ومن التقدم بالزمان قوله تعالى:(وحملُه وفصالُه ثلاثون شهراً)(الأحقاف١٥)والفصال بعد الحمل. وقوله تعالى : (وغيضَ الماءُ وقُضِيَ الأمرُ واستوت على الجودي)(هود٤٤)واستواؤها كان بعد غيض الماء . وكذلك قال تعالى:(إذا زُلْزِلت الأرضُ زِلْزالها وأخْرَجت الأرضُ أثقالها)(الزلزلة١-٢)[٤]

♦ و"من التقدم بالزمان والطبع والرتبة قول أبي نواس :- [٥]

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً لَهُ يومُ الترحُّلِ خامِسُ

١- ابن القيم - بدائع الفوائد ، ص ٣٣ ، السهيلي –نتائج الفكر ،ص٣٠٦

٢- الزركشي - البرهان ،ج ٣، ص ٢٤٠

٣- الخطيب الاسكافي - درة التنزيل ، ص١١

٤- العلائي - الفصول المفيدة ، ص ٨١

٥- ديوان أبي نواس - تحقيق إيليا الحاوي ، ج٢، ص ٤٦٧ .

ومن الملاحظ أن المباني في كل الشواهد المتقدمة تترتب بالرتبة الزمنية بعد المبني عليه،من الخاص(القريب) إلى العام (البعيد) ، فالسابق يتقدم على اللاحق بالتدريج ، والمباني متصلة من البداية إلى النهاية بالرتبة ،(المنزلة) فلو حللنا قوله تعالى(وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط و أصحاب مدين وكُذِّب موسى فأمليت للكافرين)سنجد أن الآية بُنِيَت علىتكذيب الأقوام للرسل ، وقد ترتبت المباني (الأقوام) مع أنبيائهم بحسب الزمن من الخاص (القريب) إلى العام (البعيد) حيث نجد أن المبني الأقرب زمناً يتقدم بالرتبة من المبني عليه يتلوه ما بعده ، وهكذا تترتب المباني بحسب قوة العلاقة الزمنية مع المبني عليه .

ثانياً : التقدم بالطبع :-أما المتقدم بالطبع"فهو الشيءُ الذي لا يمكن أن يوجد شيء آخر إلا وهو موجود ، وقد يمكن أن يوجد هو ولايكون الشيء الآخر موجوداً،كتقدم الواحد على الاثنين ، فإن الاثنين يتوقف وجودها على وجود الواحد فإن الواحد متقدم بالطبع على الاثنين وينبغي أن يُزاد في تفسيرِ المتقدم بالطبع قيد،كونُهُ غيرُ مؤثر في المتأخر ليخرج عنه المتقدمُ بالعلّية"[1]فالمقصود بالطبع هو الطبيعة والعادة،والمتعارف عليه بين الناس .

- ومن التقدم بالطبع تقديم الغفور على الرحيم، فهو أولى بالطبع لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامةتطلب قبل الغنيمة، وفي الحديث أن النبي صلى الله عله وسلم قال لعمرو بن العاص (أبعثك وجهاً يسلمك الله فيه ويغنمك وأرغب لك رَغبةً من المال)فهذا من الترتيب البديع ،بدأ بالسلامة قبل الغنيمة وبالغنيمة قبل الكسب)[2].
- ومن المتقدم بالزمن والطبع قوله تعالى:(ألم تَرَ أنَّ اللهَ أنزلَ من السماءِ ماءً فسلَكَه ينابيعَ في الأرضِ ثم يخرجُ به زرعاً مختلفاً ألوانهُ ثم يهيجُ فتراه مصفراً ثم يجعلُه حطاماً)(الزمر ٢١) والآية تترتب بالطبع من الخاص إلى العام .
- وقال تعالى:ولقد خَلَقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طينٍ،ثم جعلناهُ نطفةً في قرارٍ مكين ثم خلقنا النطفةَ علقةً فخلقنا العلقةَمضغةً فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناهُ خلقاً آخر فتبارك اللهُ أحسنَ الخالقين) (المؤمنين١٢-١٤) فكل مرحلة من مراحل خلق الإنسان تعتمد على ما قبلها بالطبع .

١-الجرجاني- التعريفات، ص ٢١٢ .

٢-السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٧١ .

◆ " ومن التقدم بالطبع نحو(مثنى وثُلاث ورُباع) ونحو(ما يكون من نحوى ثلاثةٍ إلا هو رابِعُهُم وكذلك سائر مايتقدم من الأعداد بعضها على بعض إنما يتقدم بالطبع ، لأن كل رتبة منه إنما تتركب مما قبلها ، كتقدم الجسم على الحيوان والحيوان على الإنسان ومن هذا الباب تقدم العزيز على الحكيم ، لأنه عزَّ فلما عز حكم ، وربما كان من تقدم السبب على المسبب ومثله كثير في القرآن الكريم" [١] .

◆ ومن التقدم بالطبع (اركعوا واسجدوا)"التقدم فيه بالزمان والطبع ، لأنه انتقال من علو إلى انخفاض، والعلو بالطبع من حق القائم قبل الانخفاض" [٢] ومنه قوله تعالى (سيقولون ثلاثةٌ رابِعُهُم كَلْبُهم) .وكذلك جميع الأعداد،(كلُّ مرتَبَةٍ هي متقدمة على ما فوقها بالذات)[٣].

◆ كما قال تعالى:(ولقد آتيناكَ سبعاً من المثاني والقرآن الكريم)(الحجر٨٧).وهنا كذلك نجد أن المباني المتقدمة بالطبع تتقدم بالرتبة من الخاص إلى العام فالمتأخر يعتمد على المتقدم،فلوحللنا آيات سورةالمؤمنين(١٢-١٤)السابقة نجد أن عملية خلق الإنسان تتم على مراحل والمرحلة الأولى تسبق الثانية بالطبع والثانية تسبق الثالثة .

ومن ناحية نحوية فالفاعل يتقدم على المفعول بالطبع إذا كان الفعل متعدياً فلا مفعول بلا فاعل وقد يوجد الفاعل ولا يوجد المفعول.ومن التقدم بالطبع كذلك تقدم المتبوع على التابع. فقد يوجد المتبوع ولا تابع له.ومنه كذلك "تقدم الوسيلة على الغاية والسبب على المسبب في الترتيب الخارجي وإن كانت الغاية تتقدم على الوسيلة ذهناً"[٤].

والمباني المتقدمة بالطبع تتقدم كذلك بالرتبة (المنزلة) نحو المركز المبني عليه ، وذلك بحسب قوة العلاقة المعنوية مع المبني عليه ، وهو المعنى الأول المتقدم وتقدم المباني بالرتبة (المنزلة) يجعل هذه المباني متصلة بالتدريج من المبني عليه إلى المبني ، ورتبة الطبع أو العادة هي المتحكمة في قرب أو بعد المبني عن المبني عليه .

١-السهيلي- نتائج الفكر، ص ٢٦٨ ، العلائي- الفصول المفيدة ، ص ١١٣

٢-العلائي - الفصول المفيدة ، ص ١١٧

٣-المصدر نفسه، ص ١١٧

٤-ابن القيم - بدائع الفوائد ، ج١،ص٥٢ .

٣-**التقدم بالرتبة (المنزلة)** : "والمتقدم بالرتبة هو ما (كانت منزلته أقرب من غيرها) إلى مبدأ محدود لهما وتقدمه بالرتبة هو تلك الأقربية، وهو إما طبعي إن لم يكن المبدأ المحدود بحسب الوضع والجعل بل بحسب الطبع ، كتقدم الجنس على النوع ، وإما وضعي ، إن كان المبدأ بحسب الوضع والجعل كترتيب الصفوف في المسجد بالنسبة إلى المحراب ، أي كتقدم الصف الأول على الثاني على الثالث إلى آخر الصفوف" [١] والمراد بالرتبة هنا هو القُرب من مبدأ معين ، ويعتمد هذا القرب على قوة العلاقة المعنوية .

- ومن التقدم بالرتبة ،" تقدم السماء على الأرض بالرتبة والفضل الشرف " [٢] " وغالباً ما تذكر السماوات والأرض في سياق آيات الرب الدالة على وحدانيته ، وربوبيته ، ومعلوم أن الآيات في السماوات أعظم منها في الأرض ، لسعتها ، وعظمها ، وما فيها من كواكب وشمسها ، وقمرها وبروجها ، وعلوها ، واستغنائها عن عمد تقلها ، أو علاقة ترفعها ، إلى غير ذلك من عجائبها التي الأرض وما فيها كقطرة في سعتها ، ولهذا أمر سبحانه بأن يُرجع الناظر البصر فيها كرة بعد كرة ، ويتأمل استواءها ، واتساقها، وبراءتها من الخلل والفطور فالآية فيها أعظم من الأرض ، وفي كل شيء له آية سبحانه وبحمده "[٣] "والسماء منتظمة بقوله (عالم الغيب) في قوله تعالى:(وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعةُ ، قل بلى وربي لتأتينّكم عالمِ الغيبِ لا يعزبُ عنهُ مثقالُ ذرةٍ في السماواتِ ولا في الأرضِ ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ إلا في كتابٍ مبين)(سبأ ٣)[٤].
- "ومن التقدم بالرتبة،(يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر) (الحج ٢٧) لأن الذي يأتي راجلاً يأتي من المكان القريب والذي يأتي على الضامر يأتي من المكان البعيد على أنه قد روي عن ابن عباس أنه قال وددتُ أني حججت راجلاً لأن الله قدم الرجالة على الركبان في القرآن ، فجعله ابن عباس من باب تقدم الفاضل على المفضول والمعنيان موجودان وربما قدم الشيء لثلاثة معانٍ وأربعة وخمسة وربما لمعنى واحد من الخمسة "[٥] .

١-الجرجاني - التعريفات ، ص ٢١٢ .

٢-السهيلي - نتائج الفكر ، ص٢٧٠ .

٣-ابن القيم- بدائع الفوائد ،ج١،ص٧٤ .

٤-السهيلي - نتائج الفكر ،ص ٢٧٠.

٥-المصدر نفسه، ص٢٦٩ .

" وتقدم الرجال على الركبان فيه فائدة جليلة ، وهي أن الله شرط في الحج الاستطاعة ، ولا بد من السفر إليه لغالب الناس فذكر نوعي الحج لقطع توهم من يظن أنه لا يجب إلا على راكب ، وقدم الرجال اهتماماً بهذا المعنى وتأكيداً ، ومن الناس من يقول قدمهم جبراً لهم ، لأن نفوس الركبان تزدريهم وتوبخهم وتقول : إن الله لم يكتبه عليكم و لم يرده منكم وربما توهموا أنه غير نافع لهم ، فبدأ بهم جبراً لهم ورحمة" [١] .

♦ ومن المتقدم بالرتبة ، قوله تعالى :(لتجدنَّ أشدَ الناسِ عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا)(المائدة ٨٢) قدم عداوة اليهود على عداوة المشركين بالرتبة ، ((وقد وصف الله شدة عداوة اليهود ، وصعوبة إجابتهم إلى الحق ، ولين عريكة النصارى ، وسهولة ارعوائهم ، وميلهم إلى الإسلام ، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا ، وكذلك فعل في قوله :(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة من الذين أشركوا)(البقرة ٩٦)[٢] فإنه لما كان اليهود أدخل في وصف العداوة قدَّمهم القرآن وكذلك في الحرص على الحياة فالآية مبنية على شدة العداوة للمؤمنين ، واليهود يتقدمون بالرتبة (المنزلة) على غيرهم في هذا المجال .

• ومن المتقدم بالرتبة والزمن قوله تعالى : الرحمنُ *علم القرآن *خلقَ الإنسانَ *علمهُ البيانَ*الشمسُ والقمرُ بحسبان)(الرحمن ١-٥) (عدَّد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدماً من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين ، فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها ، وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه ، لأنه أعظم وحي الله رتبة ، وأعلاه منزلة ، وأحسنه في أبواب الدين أثراً ، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها، وأخَّر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علماً بوحيه وكتبه ، وما خلق الإنسان من أجله،وكأن الفرض في إنشائه كان مقدماً عليه وسابقاً له، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير) [٣]

---

١ - ابن القيم - بدائع الفوائد ، ج١ ، ص ٦٩ .

٢ - الزمخشري - الكشاف ، ج٢،ص٢٨٠ .

٣ - المصدر نفسه، ج٦،ص٥ .

- "ومن المتقدم بالرتبة قوله تعالى :(عُتُلٍّ بعدَ ذلكَ زنيم)(القلم ١٣) و العتل: الفظ الغليظ والزنيم له تعلق بالغير من جهة أنه الدعي وهو المنسوب إلى غير أبيه ، فله تعلق بالغير"[١] ومنه قوله تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها)(التوبة٢٤٠)"بدأ أولاً بذكر أصول العبد وهم آباؤه المتقدمون طبعاً وشرفاً ورتبة ثم ذكر الفروع وهم الأبناء لأنهم يتلونهم بالرتبة وهم أقرب أقاربهم إليهم ثم ذكر الإخوان وهم الكلالة وحواشي النسب ،فذكر الأصول أولاً ثم الفروع ثانياً ثم النظراء ثالثاً ثم الأزواج رابعاً لأن الزوجة أجنبية عنده ، يمكن أن يتعوض عنها بغيرها ثم القرابة البعيدة خامساً وهي العشيرة ، ثم انتقل إلى ذكر الأموال بعد الأقارب سادساً ، ثم ذكر التجارة سابعاً ، لأن محبة العبد للمال أعظم من محبته للتجارة التي يحصله بها ، فالتجارة عنده وسيلة إلى المال المقترف فقدم المال على التجارة تقديم الغايات على وسائلها ، ثم ذكر الأوطان ثامناً آخر المراتب لأن تعلُّق القلب بها دون سائر ما تقدم ، وهذا هو الواقع إلا لعارض يترجح عنده إيثار البعيد على القريب فذلك جزئي لا كلي فلا تناقض به ، وأما عند عدم العارض فهذا هو الترتيب المناسب والواقع "[٢]

- ومن التقدم بالرتبة قوله تعالى(يومَ يُحمى عليها في نارِ جهنمَ فتكوى بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورُهم) (التوبة ٣٥)" قدم الجباه ثم الجنوب لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولاً عن السائل ثم ينوء بجانبه ثم يتولى بظهره" [٣] .

- ومن التقدم بالرتبة قوله تعالى:(واللاتي تخافون نشوزَهُنَّ فعِظوهُن واهجروهُن في المضاجعِ و اضربوهُن) (النساء٣٤) وهذه الآية مبنية على كيفية التعامل مع المرأة الناشز ، وقد بدأت الآية بالخاص و انتهت بالعام ، فآلية التعامل معها تبدأ من الخاص وهو الأقرب في مثل هذه الحالة ، وهي الموعظة ، فإن لم تُجدِ لجأنا إلى الهجر ، وإلاّ فآخر العلاج الضرب .

---

١ - العلوي - الطراز ، ص ٢٣٢

٢ - ابن القيم - بدائع الفوائد ، ج١ ، ص ٧٥-٧٦

٣ - الزركشي - البرهان ، ج٣، ص ٢٦٨

◆ ومن التقدم بالرتبة"ما جاء في صحيح مسلم أن خطيباً قام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

(من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى) والدلالة من هذا ظاهرة ،فإنها لو كانت لمطلق الجمع لم يكن بين الكلامين فرق.و أجاب عنه جماعة من أئمة الأصول ، وغيرهم بأنه صلى الله عليه وسلم إنما أنكر عليه لإتيانه بالضمير المقتضي للتسوية وهو (هما) فأمره بالعطف ، وإفراد اسم الله تعالى تعظيماً له بتقديم اسمه ، بدليل أن معصية الله معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم،وكذلك العكس فلا ترتيب بينهما ،بل كل منهما مستلزمة للأخرى . وهذا الجواب يَرُدُّ عليه شيئان :-

أحدهما : قولهم : إن معصيتهما لا ترتيب فيها ، فإن كان المراد الترتيب الزمني فمسلم ، ولا يلزم منه عدم الترتيب مطلقاً ، فإن الترتيب تارة يكون بالزمان وتارة يكون بالرتبة . وإن كان المراد به عدم الترتيب مطلقاً فليس ذلك بصحيح لأن فيها الترتيب بالرتبة ، إذ لا شك أن معصية الرسول مرتبة على معصية الله تعالى ، وإن كان كل واحد منها يستلزم الأخرى " [1] .

◆ كما قال تعالى (السارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما)(المائدة ٣٨) "قدم السارق لإيجابية دوره كما أن الرجل هو المسؤول عن البيت من حيث جلب الرزق ، مما يجعله عرضه لهذا الجرم ،بينما دور المرأة يبتعد بها عن التعرض كالرجل للسرقة" [2]."ومما تقدم بالرتبة ذكر السمع والعلم حيث وقع فإنه خبر يتضمن التخويف والتهديد فبدأ بالسمع لتعلقه بما قرب كالأصوات وهمس الحركات فإنه من سمع حسك وخَفِيِّ صوتك أقرب إليك في العادة ممن يقال لك إنه يعلم وإن كان علمه تعالى متعلقاً بما ظهر وبطن وواقعاً على ما قرب وشطن ولكن ذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم فهو أولى بالتقديم)[3].

١-العلائي – الفصول المفيدة ، ص ٩٠ .

٢- مصطفى الدباغ – وجوه من الإعجاز القرآني ، ص ٥١ .

٣-السهيلي – نتائج الفكر ، ص ٢٧١ .

◆ كما قال تعالى:(ياأيها الذينَ آمنوا اركَعوا واسجُدوا واعبُدوا ربَّكم وافعلوا الخير)(الحج ٧٧)"فذكر أربعة أشياء منها الركوع، ثم السجود أعم منه،ثم العبادة أعم من السجود،ثم فعل الخير العام المتضمن لذلك كله، والذي يزيد هذا وضوحاً،الكلام على ما ذكره بعد هذه الآية من قوله (وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) فإنه ذكر أخص هذه الثلاثة وهو الطواف ، الذي لا يشرع إلا بالبيت خاصة ، ثم انتقل منه إلى الاعتكاف ، وهو القيام المذكور في الحج وهو أعم من الطواف ، لأنه يكون في كل مسجد ويختص بالمساجد لا يتعداها ، ثم ذكر الصلاة التي تعم سائر بقاع الأرض سوى ما منع منه مانع،أو استثني شرعاً وإن شئت قلت:ذكر الطواف الذي هو أقرب العبادات بالبيت،ثم الاعتكاف الذي يكون في سائر المساجد،ثم الصلاة التي تكون في البلد كله بل في كل بقعة.وقد بدأ بالطائفين للرتبة والقرب من البيت المأمور بتطهيره من أجل الطوافين و جمعهم جمع السلامة لأنه أدل على لفظ الفعل الذي هو علة تعلق بها حكم التطهير ، ثم يليه بالرتبة لفظ الراكع لأن المستقبلين البيت بالركوع لا يختصون بما قرب منه كالطائفين والعاكفين ولذلك لم يتعلق حكم التطهير بهذا الفعل الذي هو الركوع وأنه لا يلزم أن يكون في البيت ولاعنده ولذلك لم يجئ بلفظ السلامة لأنه لا يحتاج فيه إلى بيان لفظ الفعل كما احتيج فيما قبله)) [1] .

◆ ومن المتقدم بالرتبة قوله تعالى(وكذلك جعلناكُمْ أمةً وسطاً لتكونوا شهداءَ على الناس ويكون الرسول عليكُم شهيداً)(البقرة ١٤٣) والمبني عليه في هذه الآية هو الحديث عن الأمة ، ولذلك تقدمت شهادة الأمة على الناس على شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم .والألفاظ على هذا تتقدم بالرتبة"فإن قلت : لم أخرت صلة الشهادة أولاً وقدمت آخراً ؟ قلت : لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم [2] وقد تقدمت شهادة الرسول عليهم على شهادتهم على الأمم في (الحج ٧٨) وسيأتي هذا في العدول عن الأصل .

١-ابن القيم - بدائع الفوائد ،ج١ ، ص ٨١ ، السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٧٣ .

٢- الكشاف - ج١ ، ص ٣٣٩

◆ وقال تعالى :(يوصيكم اللهُ في أولادِكم للذكرِ مثلُ حظِ الأنثيين... وله عذابٌ مهين)(النساء١١-١٤)"وبدأ بالأولاد لأن تعلق الإنسان بهم أشد فقال (في أولادكم)أي إذا مات مورثهم ولما كان هذا مجملاً بحيث يطلب تفسيره فقال جواباً لذلك بادئاً بالأشرف بياناً لفضله بالتقدم وجَعَله أصلاً و التفضيل للذكر ، ولما قدم الإيصاء بالأولاد لضعفهم إذا كانوا صغاراً وكان الوالد أقرب الناس إلى الولد وأحقهم بصلته وأشدهم اتصالا به أتبعه حكمه فقال : "ولأبويه" أي الميت ثم فصَّل بعد أن أجمل ليكون الكلام آكد . ثم بين أن هذا كله بعد إخراج الوصية والدَّين لأن ذلك سبق فيه حق الميت الذي جمع المال . فقال:"من بعد وصية يوصي بها "وقدَّمها في الوضع على ما هو مقدم عليها في الشرع (عدولاً عن الأصل)بعثاً على أدائها لأن أنفس الورثة تشح بها لكونها مثل مشاركتهم في الإرث لأنها بلا عوض . (أو دين)أي إن كان عليه دين . وقد وضع الله لكم هذه الأحكام على غاية الإحكام في جلب المنافع لكم ودفع الضر عنكم ورتبها سبحانه وتعالى أحسن ترتيب ، فإن الوارث يتصل بالميت تارة بواسطة وهو الكلالة ، وأخرى بلا واسطة ، وهذا تارة يكون بنسب ، وتارة بصهر و نسب ، فقدم ما هو بلا واسطة لشدة قربه ، وبدأ منه بالنسب لقوته ، وبدأ منهم بالولد لمزيد الاعتناء به . ولما كان الإرث بالمصاهرة أضعف من الإرث بالقرابة ذكره بعده ، وقدمه على الإرث بقرابة الأخوة تعريفاً بالاهتمام به ولأنه بلا واسطة ، وقدم منه الرجل لأنه أفضل فقال(ولكم نصف ما ترك أزواجكم) ولما بين إرث الرجل أتبعه إرثها فقال معلما أنه على النصف مما ترك للزوج كما مضى في الأولاد . ولما فرغ من قسمي ما اتصل بالميت بلا واسطة أتبعه الثالث وهو ما اتصل بواسطة ، ولما كان قسمين ، لأنه تارة يصل من جهة الأم فقط وهم الأخياف وتارة من جهة الأب فقط وهم العِلاّت ، وتارة من جهة الأبوين وهم الأعيان وكانت قرابة الأخوة أضعف من قرابة البنوة أكدها بما يقتضيه حالها فجعلها في قصتين ذكر إحداهما هنا إدخالاً لها في حكم الوصية المفروضة وختم بالأخرى السورة لأن الختام من مظنات الاهتمام ولما كانت قرابة الأم أضعف من قرابة الأب قدمها هنا دلالة على الاهتمام بشأنها (عدولاً عن الأصل)،وأن ما كانوا يفعلونه من حرمان الإناث خطأ وجَوْرٌ عن منهاج العدل .

ولما كان اختصاصهم بالإرث عن النساء و الأطفال من الفوز عندهم بل لم يكن الفوز العظيم عندهم إلاّ الاحتواء على الأموال وبلوغ ما في البال منها من الآمال ، قال تعالى معظماً بأداة البعد (وذلك) أي الأمر العالي المرتبة من الطاعة المندوب إليها . (الفوز العظيم) أي لا غيره من الاحتواء على ما لم يأذن به الله وهذا أنسب شيء لتقدم الترغيب لتسمح نفوسهم بتُرك ما كانوا فيه ، مع ما فيه من التلطف بهذه الأمة والتبشير له صلى الله عليه وسلم بأنها

مطيعة راشدة . ولمـــّا أشربت القلوب الصافية ذوات الهمم العالية حب نيل هذا الفوز أتبعه الترهيب قطعاً لها عن تلك الفوائد بالكليّة فقال " ومن يعص الله .... وله عذاب مهين " لما كان منعهم للنساء والأطفال من الإرث استهانه بهم ختم الآية بقوله "وله عذاب مهين" [١] وهذه الآيات مبنية على الميراث واستحقاق الورثة له ، وقد رتبهم جل و علا بالمنزلة من الخاص إلى العام .

◆ وقال تعالى :(ولا تنكحوا ما نكحَ آباؤُكم .....كتابَ الله عليكم)(النساء٢٢-٢٤)"بدأ بتحريم زواج المرء مما له علاقة نسب به " ولما انقضى أمر النسب وهو سبعة أصناف أتبعه أمر السبب وهو ثمانية أوله أزواج الآباء أفردها وقدمها تعظيماً لحرمتها لما كانوا استهانوا من ذلك وآخره المحصنات ، وبدأ من هذا القسم بالأم من الرضاع كما بدأ النسب بالأم فقال : " وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم تنزيلاً له منزلة النسب ، ولما انتهى ما هو كَلُحمَةِ النسب أتبعه أمر ما (كان) بالمصاهرة . ولما انقضى التحريم المؤبد أتبعه المؤقت . ثم قال والمحصنات ، أي الحرائر المزوجات لأنهن مُنعت فروجهن بالنكاح من غير الأزواج (من النساء إلا ما ملكت أيمانكم)أي من أزواج أهل الحرب ، فإن الملك بالأسر يقطع النكاح .ولما أتم ذلك قال مؤكداً له ومبيناً عظمته (كتاب الله) أي خذوا فرض الملك الأعظم الذي أوجبه عليكم إيجاب ما هو موصول في الشيء بقطعه منه ، والزموه غير ملتفتين إلى غيره ،وزاد في تأكيده بأداة الوجوب (عليكم)[٢]والآيات مبنية على بيان الأصناف التي يحرم الزواج منها ،وقد ترتبت من الخاص إلى العام .

◆ قال تعالى :(واللاتي يأتينَ الفاحشةَ من نسائِكُم .....كان تواباً رحيماً)(النساء١٥-١٦)تقدم ذكر النساء على ذكر الرجال "لما كان الفساد في النساء أكثر و الفتنة بهن أكبر و الضرر منهن أخطر وقد يدخلن على الرجال من يرث منهم من غير أولادهم ، قدمَّهن فيه اهتماماً بزجرهن" فقال (واللاتي) وهو جمع التي ، ولعله عبر فيهن بالجمع إشارة إلى كثرتهن وإلى كثرة الفساد منهن"[٣] .

◆ ومن التقدم بالرتبة قوله تعالى(ليس على الأعمى حَرَجٌ ولا على الأعرجِ حَرَجٌ)(الفتح ١٧)"قدم الأعمى على الأعرج لأن عذر الأعمى يستمر ولو حضر القتال ، والأعرج عذره لا يستمر لو حضر القتال ،لأنه مع الحضور

---

(١) البقاعي – نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، ج٥، ص ٢٠٣-٢١٥ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٨ – ٢٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٦

راكباً أو محمولاً يقدر على القتال بالرمي وغيره)[١] فالرخصة أخص بالأعمى من الأعرج.

♦ وقال تعالى:(يومَ تشهدُ عليهِم ألسنَتُهم وأيديهِم وأرجُلُهُم بما كانوا يعملون)(النور ٢٤)والآية مبنية على الشهادة ولذلك تقدمت شهادة الألسن لأنها الأقدر على الشهادة من غيرها ، أو لأنَّ سيئات الإنسان أكثرها يأتي من اللسان،وذلك كما في حديث معاذ رضي الله عنه.ومن التقدم بالرتبة قوله تعالى :(قال ربِّ أنى يكونُ لي غلامٌ وقد بلغني الكبرُ وامرأتي عاقرٌ قال كذلك اللهُ يفعل ما يشاء)(آل عمران ٤٠) تقدمت الألفاظ بالرتبة (المكانة)،فكبر زكريا عليه السلام أقرب إليه من عقر امرأته ، والآية تترتب من الخاص إلى العام .

♦ ومن المتقدم بالزمن والرتبة قوله تعالى (الملكُ القدوسُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبرُ)وقوله تعالى(الخالق البارئ المصور)(الحشر ٢٣-٢٤)"وقد تقدمت الصفات الأولى لأنها صفات أزلية أبدية وافقت الذات الإلهية في القِدَم)[٢]وهي كذلك صفات أقرب إليه من غيرها وأخص لأنها تتعلق بالذات أما الصفات الثانية فهي تتعلق بالغير .

♦ كما قال تعالى:وسخرنا مع داودَ الجبالَ يسبِّحنَ والطيرَ)(الأنبياء٧٩)"فإن قلت لم قدمت الجبال على الطير؟قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان إلا أنه غير ناطق)[٣] فالتقدم بالرتبة لأن الكلام مبني على التسخير ، وتسخير الجبال أقرب في الدلالة على القدرة الإلهية .

♦ كما قال تعالى:(والله خلقَ كلَّ دابةٍ من ماءٍ فمنهُم من يمشي على بطنِه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربعٍ)(النور ٤٥)"فإن قلت لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت:قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من الأرجل أو القوائم ، ثم الماشي على الرجلين ، ثم الماشي على أربع)[٤] والذي يمشي على بطنه أدل على القدرة الإلهية من غيره .

♦ ومن المتقدم بالرتبة قوله تعالى:(يعلمُ ما بينَ أيديهِم وما خلفَهُم)(البقرة ٥٥)"بدأ بما هو أقرب إليهم وهو ما بين أيديهم،ثم بما هو أعم وأكثر،وهو ما خلفهم ، وقد جاء بالكلام على نسق واحدٍ)[٥] أي أنه تدَّرج من الخاص إلى العام .

١- خليل ياسين - أضواء على متشابهات القرآن ، ج٢،ص٢١٣ .

٢- العلاتي - الفصول المفيدة،ص ٨١ .

٣- الزمخشري - الكشاف ، ج٤ ، ص ١٦٨ .

٤-المصدر نفسه،ص٢٦٧ .

٥-فاضل السامرائي - معاني النحو،ج٣،ص ٢٢٠ .

بماله وهذه إحدى الروايتين عن الإمام أحمد والأدلة عليها أكثر من أن تذكر هنا ومن تأمل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته في أصحابه وأمْرهم بإخراج أموالهم في الجهاد قطع بصحة هذا القول والمقصود تقديم المال في الذكر وأن ذلك مشعر بإنكار وَهْم من يتوهم أن العاجز بنفسه إذا كان قادراً على أن يُغزي بماله لا يجب عليه شيء ، فحيث ذكر الجهاد قدم ذكر المال فكيف يقال لا يجب به ولو قيل أن وجوبه بالمال أعظم وأقوى من وجوبه بالنفس لكان هذا القول أصح من قول من قال لا يجب بالمال ،وهذا بيِّن ،وعلى هذا فتظهر الفائدة في تقديمه في الذكر وفائدة ثانية على تقدير عدم الوجوب وهي أن المال محبوب النفس ومعشوقها التي تبذل ذاتها في تحصيله،فندب الله تعالى محبيه المجاهدين في سبيله إلى بذل معشوقهم ومحبوبهم في مرضاته ، فإن المقصود أن يكون الله هوأحب شيء إليهم،فإذا بذلوا محبوبهم في حبه نقلهم إلى مرتبة أخرى وأكمل منها وهي بذل نفوسهم له فكان تقديم المال على النفس في الجهاد مطابقاً للواقع [1] .

◆ ومن المتقدم بالرتبة قوله تعالى (واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا تنفعها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون)(البقرة ٤٨) وهذه الآية تترتب بالرتبة من الخاص إلى العام "والوجه في تقديم الشفاعة على العدل أنه لما قال لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئاً ، بمعنى لا يغني أحد عن أحد شيئاً فيما يلزمه من العقاب ولا يكفر سيئاته من الثواب وهو كقوله عزّ من قائل (واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً)(لقمان ٣٣) فهذه الأشياء التي ذكر في هذه الآية، امتناع وقوعها في الآخرة أربعة أنواع يتلقى بها المكارد ويداوى بها الشدائد . ألا ترى العرب إذا دُفع أحدهم إلى كريهة وارتهنت نفسه بعظيمة وحاولت أعزته دفاع ذلك عنه وتخليصه منه ، بذلت ما في نفوسها الأبية من مقتضى الحمية فذبت عنه كما يذب الوالد عن والده بغاية قوته وجلده،فإن رأى من لا قبل له بممانعته ولا يد له بمدافعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسألة و الشفاعة،فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فإن لم تغن عنه الحالتان و لم تنجه من الخشونة والليان لم يبق بعدهما إلا فداء الشيء بمثله وفكه من الأسر بعدله إما بمال وإما بغيره ، فإن لم تغنِ هذه الثلاثة في العاجلة ، تعلل بما

---

١ – ابن القيم – بدائع الفوائد ، ج١ ، ص ٧٨ .

يرجوه من النصر في الآجلة ، وإدالة في الخاتمة كما قال تعالى (ثم بُغِي عليهِ لَيَنْصُرَه الله)

وقال تعالى(فلا يُسرِف في القتلِ إنَّه كان منصوراً)(الإسراء ٣٣) على أحد وجوه التفسير،فأخبر الله تعالى أن ما يغني في هذه الدنيا عن المجرمين وترتب هذه المراتب بين العالمين لا يغني شيء منه في الآخرة عن الظالمين)[١] فالآية ترتب من الأهم إلى الأقل أهمية والمعاني متصلة بالرتبة من الخاص إلى العام .

◆ "ومن المتقدم بالرتبة تقدم همز على مشاء بنميم ، لأن المشي مرتب على القعود في المكان ، والهماز هو العياب وذلك لا يفتقر إلى حركة وانتقال من موضعه بخلاف النميمة)[٢] ."كما أن همزه عيب للمهموز وإزراء به وإظهار لفساد حاله في نفسه فإنَّ قاله يختص بالمهموز لا يتعداه إلى غيره والمشي بالنميمة يتعداه إلى من ينم عنده فهو ضرر متعدٍ)[٣] "وكذلك تقدم مناع للخير على معتدٍ أثيم"لأن المانع يمنع خير نفسه والمعتدي يعتدي على غيره ، ونفسه بالرتبة قبل غيره)[٤].

ومن المتقدم بالرتبة قوله تعالى:(يودُّ المجرمُ لو يفتدي من عذابِ يومئذٍ ببنيه *وصاحبَتِهِ وأخيه * وفصيلَتِهِ التي تؤويه * ومن في الأرضِ جميعاً ثم يُنجيه)(المعارج ١١-١٤)." بدأ بالأبناء فالصاحبة فالأخ فالفصيلة ثم انتهى بأهل الأرض جميعاً ، (وقد جاء هذا الترتيب) لأن السياق مشهد من مشاهد العذاب الذي لا يطاق ، فقد جيء بالمجرم ليقذف به في هذا الجحيم المستعر ، وهذا المجرم يود النجاة بكل سبيل ولو أدى ذلك إلى أن يبدأ بابنه فيضعه في دركات لظى، فرتب المذكورين ترتيباً يقتضيه السياق وهو البدء بالأقرب إلى القلب والأعلق بالنفس فيفتدي به فضلاً عن الآخرين ، ولقد وردت في السياق جملة أمورتقتضي هذا الترتيب منها ١- أنه ذكر أن هذا المفتدي (مجرم) وليس امرءاً عادياً والمجرم مستعد لفعل أي شيء ولو أن يبدأ بأقرب المقربين إليه وأحبهم إلى قلبه فيضعه في السعير ، وهو لا يهمه أن يفتدي بالناس أجمعين فيضعهم مكانه ، في أطباق النيران بذنبٍ لم يرتكبوه إنما ارتكبه هو .

---

١ - الخطيب الإسكافي - درة التنزيل ، ص ٦ .

٢ - السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٦٩

٣ - ابن القيم - بدائع الفوائد ، ج١ ، ص ٧٨ .

٤ - السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٦٩ .

٢- جرى ذكر القرابات قبل هذا المشهد فقال ((ولا يسأل حميم حميماً)) (المعارج ١٠) والحميم القريب ، فبدأ بأقرب القرابة وهم الأبناء ثم انتهى إلى الأبا عد وهم من في الأرض عموماً .

٣- ذكر بعد هذه الآيات أن الإنسان خلق هلوعا إذا مسَّه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا ، فلما أدرك المجرم العقاب وأيقن أنه مواقعه لا محالة أدركه الهلع والجزع ، ومن أظهر مظاهر هذا الهلع والجزع أن يبدأ بأقرب الناس وأحبهم إليه فيفتدي به .

٤-أن البدء بأقرب الناس وأحبهم إليه وألصقهم بقلبه ليفتدي به يدل على أن العذاب فوق التصور وهَوْلُه أبعد من الخيال بحيث جعله يبدأ بأقرب الناس وأحبهم إليه وأن يتخلى عن كل مساومة"،"والموقف هنا موقف البحث عن المنقذ و الإنسان يلجأ أولاً إلى أقرب الناس إليه وهو ابنه فإن لم يجد فصاحبته فأخوه فعشيرته ثم كل من في الأرض إذا كان في ذلك سبب لنجاته وترتيب المتعاطفات على هذا النسق بالإضافة إلى أنه تعبير يناسب من حيث تدرجه حركة الكافر النفسية في ذلك اليوم ، فإنه أيضاً تعبير عن اشتعال الحيرة واتساعها بقلب الكافر وتفاقم التشتت الذي يعتريه وهذا ما يرمز إليه الانتقال من الأدنى إلى الأبعد عاطفياً ومكانياً في ترتيب المتعاطفات ، كما يدل عليه أيضا العجز عن طلب المعين و الاضطراب في التماسه اضطراباً شديداً باتساع دائرة البحث عنه درجة بعد درجة حتى تشمل كل الموجودات في هذا اليوم العظيم"[1] .فترتيب المباني في هذه الآية من الخاص إلى العام ، حيث بدأ بالأقرب وانتهى بالأبعد . والمبني عليه هنا افتداء المجرم نفسه بأقاربه ، وابتدأ بالخاص لبيان شدة العذاب .

♦ ومن التقدم بالرتبة قوله صلى الله عليه وسلم (أشد الناس بلاءً الأنبياء ،ثم الأمثل فالأمثل)[2] والحديث مبني على شدة البلاء ، والأنبياء يتقدمون بالمنزلة على غيرهم في هذا المجال ، والترتيب فيه من الخاص إلى العام .

♦ وترتيب الكلام من حيث القوة من الخاص إلى العام بالرتبة (المنزلة) على الشكل التالي (٣) :-

المبني عليه	الخاص	عام١	عام٢
(قوة الكلام)	(الجملة الاسمية)	(المصدر المنصوب)	(الجملة الفعلية)
	منزلة١	منزلة٢	منزلة٣
	الحمدُ لله	حمداً لله	أحمدُ الله

١- فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٤٦-٤٨ ،عفت الشرقاوي - بلاغة العطف في القرآن الكريم ، ص ١١٠ .

٢- فاضل السامرائي - معاني النحو ، ج٣ ، ص ٢٤٢ .

٣- فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ١٦٥ وما بعدها بتصرف يسير .

والمنزلة الأولى ((أقوى من المنزلة الثانية وأدوم لأن الفعل ليس له أثر لفظي ولا تقديري وإنما هي جملة اسمية خالصة ، (والمنزلة الثانية) أقوى من الثالثة وأدوم لعدم ارتباطها بزمن معين ولا بفاعل معين ثم إنك حذفت اللفظ الذي يدل على الحدوث وهو الفعل وجئت بمصدره الذي يدل على الحدث ،من دون دلالة على زمن معين بخلاف الفعل فإنه مرتبط بزمن ، وهو غير مرتبط بفاعل معين بخلاف الفعل فإنه مقيد بفاعلٍ معين) ، وترتيبها من العام إلى الخاص كالتالي :

عام٢	عام١	خاص	مبني عليه
(الجملة الفعلية)	(المصدر المنصوب)	(الجملة الاسمية)	(قوة الكلام)
منزله٣	منزله٢	منزله١	
أحمدُ الله	حمداً لله	الحمد لله	
بعيد	أقرب	قريب	

◆ ومن التقدم بالرتبة قوله تعالى (انفروا خفافاً وثقالاً)(التوبة٤١)وقول ابن الرومي [١]:

انفروا أيها الكرام خفافاً وثقالاً إلى العبيد الطغام

فيه تضمين للآية الكريمة والترتيب فيه من الخاص إلى العام .

◆ والأصل في اللف والنشر أن يترتب من الخاص إلى العام ، وذلك كقول امرئ القيس [٢]:

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابِساً لدى وكرِها العنابُ والحشفُ البالي

واللف وهو قلوب الطير في حالتي الرَّطب واليبس ،والنشر وهو العناب والحشف البالي.والمقصود باللف و النشر (أن تلف شيئين(أو أكثر)ثم ترى بتفسيرها جملة ، ثقة بأن السامع يردُّ إلى كل واحدٍ منها ما لَهُ)[٣]والنشر في بيت امرئ القيس يترتب من الخاص إلى العام فقد أعطى الأول من الأشياء المنشورة للأول من الأشياء الملفوفة،كما أعطى الثاني للثاني . أوأعطى الخاص للخاص والعام للعام وذلك على أساس الرتبة (المنزلة) ((واعلم أن ما كان من التركيب في صورة بيت امرئ القيس ، فإنما يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه))[٤] .

١- ابن الرومي - ديوان ابن الرومي ، ج٦ ، ص ١٣٥

٢- امرؤ القيس - ديوان امريء القيس ، ص ١٦٦ .

٣- عبد القاهر الجرجاني - التعريفات ، ص ٢٠٣ .

٤- عبد القاهر الجرجاني - أسرار البلاغة ، ص ١٩٤ .

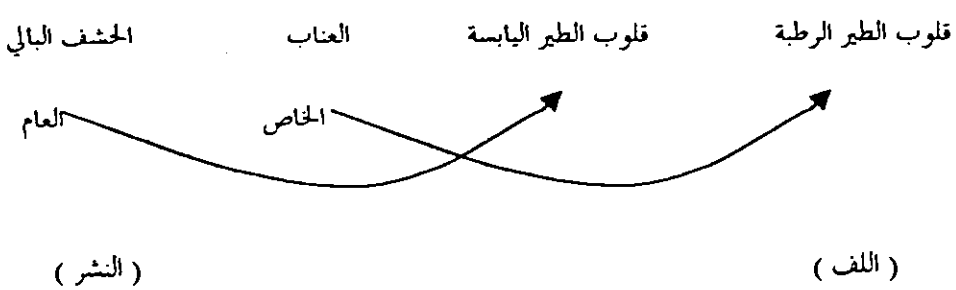

ويسمى هذا أيضاً بالتشبيه الملفوف . واللف والنشر المرتب . ومثل ذلك قوله تعالى :(ومن رحمَتِه جعلَ لكم الليلَ والنهارَ لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضلِه) (القصص ٦٣) وكذلك قال تعالى:(كَذَّبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة فأما ثمودُ فأهلكوا بالطاغيةوأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية)(الحاقة ٤-٦)وقد ترتب اللف و النشر من الخاص إلى العام ، حيث أُعطيت العاقبة الأولى للفئة الأولى ، وأعطيت العاقبة الثانية للفئة الثانية. ومثل ذلك قوله تعالى(اللهُ يتوفى الأنفسَ حين موتِها ، و التي لم تَمُت في منامِها فيمسِك التي قضى عليها الموتَ ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى)(الزمر٤٢)ترتب اللف و النشر من الخاص إلى العام .

- و المقابلة مثل اللف والنشر المرتب وهي:"أن يؤتى بمعنيين أوأكثر. ثم يُؤتى بما يُقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى:فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)(الليل ٦)وكقوله صلى الله عليه وسلم (إنكم لتكثرون عندَ الفَزعِ وتقلُّون عندَ الطمع ، وكقول الشاعر خالد بن صفوان :-

ما أحسنَ الدينَ والدُّنيا إذا اجتمعا ... وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجُل ."[1]

والآية الكريمة ترتب فيها المقابلة من الخاص إلى العام كالتالي :

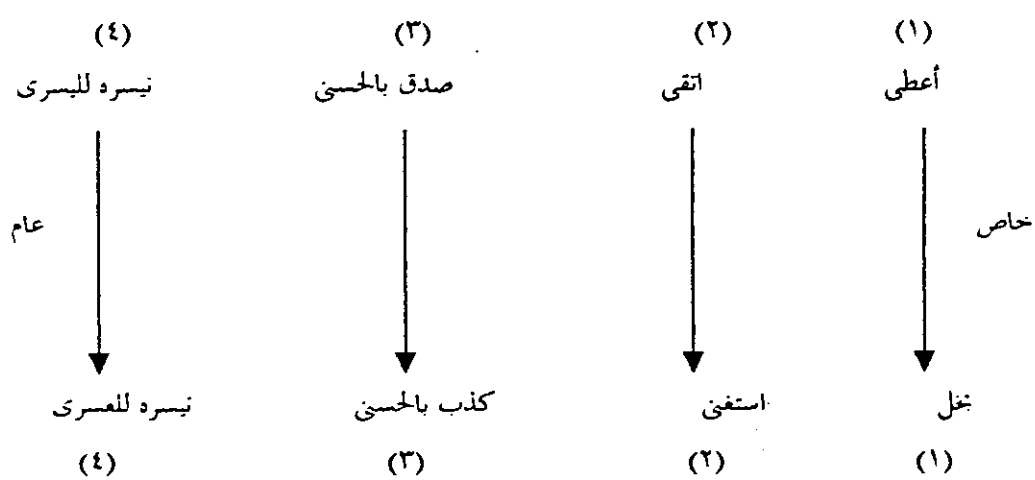

١-أحمد الهاشمي - جواهر الأدب ، ص ٢٩٢- ٢٩٣ .

فقد قابل بين العطاء والبخل ، والصدق والكذب والحسنى واليسرى ، وقد تم ذلك بواسطة الواو وعلى الترتيب

ومثل ذلك قول الشاعر:

ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجُل

فقد قابل بين الدين والكفر ، وبين الدنيا والإفلاس ، وقد تم ذلك بواسطة الواو على الترتيب . أفلا يدل ذلك على أن الواو تفيد الترتيب ؟ وكذلك كلُّ ما مرَّ معنا خلال هذا الفصل من الرتبة المعنوية ، ألا يدل على أن الواو تدل على أن الكلام منازل وأن العطف قد تم في كل ذلك بواسطة الواو ؟ وإذا ما رفضنا هذا الترتيب ، فإن معنى قوله تعالى : لتجدن أشدَّ الناسِ عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)(المائدة ٨٢) مساوٍ لتقدم الذين أشركوا على اليهود . كما أن المعنى في قوله تعالى(واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن)(النساء ٣٤) مشابه لتقدم الضرب على الهجر على الموعظة .

ومثل ذلك قوله تعالى :(ليس على الأعمى حَرَجٌ ولا على الأعرجِ حَرَجٌ)(الفتح ١٧) فالمعنى مع تقدم أحدهما يختلف عنه مع تأخيره لأن الرخصة أخص بالأعمى من الأعرج.وتقدم الجبال على الطير في قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير)(الأنبياء ٧٩) يختلف عن تأخيرها . إن هذا لا يتناق بطبيعة الحال بين قول النحاة إن الواو لمطلق الجمع أو المعية كما في : اختصم زيد وعمرو واستوى الماءُ والخشبة . وحل ذلك بسيط وهو أن الرتبة النحوية خلاف المعنوية فالواو مع الرتبة النحوية قد تدل على مطلق الجمع فالواو تفيد مطلق الجمع من ناحية نحوية وقد يكون فيها رتبة معنوية ،كما في جاء زيدٌ وعمروٌ ،لأن العرب تقدم الأهم على المهم ،وذلك بحسب المتكلم .أو المعية . أما مع الرتبة المعنوية فهي للترتيب والعدول عن هذا الأصل طارئ ولغرض معين . ففي قوله تعالى (وسَخَّرْنا معَ داودَ الجبالَ يسبِّحن والطيرَ) فعل التسخير واقع على المفعولين ، ويمكن تغيير رتبة المتعاطفين من ناحية نحوية ، ولكن تم تقديم ذكر الجبال للأهمية لأن تسخيرها أدل على القدرة الإلهية من تسخير الطير لأن الجبال جامدة والطير كائن حي ،وكما هو معروف " أن العطف يقتضي المغايرة "[1]فيلزم من ذلك أن يكون هناك ترتيب لبيان المغايرة ،و إلا

١-العلاتي - الفصول المفيدة ،ص ١٤٠، محمد عبدالخالق عضيمة – دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج٣،ص ص ٥٦١-٥٦٥

فلا مغايرة. ومن ناحية نحوية قد تدل الواو على المعية كما في استوى الماء والخشبة ، وقد تصلح للمعية ولمطلق الجمع كما في جاء زيد وخالدٌ أو وخالداً ،وقد تدل على رتبة معنوية وكل ذلك بحسب المعنى الذي يقصده المتكلم والله أعلم .

والمباني المتقدمة بالرتبة تتقدم نحو المبدأ بالتدريج ، وذلك بحسب القرب والأهمية المعنوية لذلك المبدأ ،وهذا المبدأ هو المبني عليه ، الذي تترتب نحوه المباني بحسب الأهمية المعنوية بالتدريج ، وتكون المعاني متصلة بالتدريج من القريب إلى البعيد ، وقوة العلاقة المعنوية هي التي تتحكم في قرب أو بعد هذا المبني أو ذاك من المركز (المبني عليه) ، أما بالنسبة للكلام المتراتب نحوياً ، فكله تقريباً في الأصل يتقدم بالرتبة (المنزلة) من الخاص إلى العام .

وخير مثالٍ على ذلك هو ترتيب المفاعيل كما مرّ معنا حيث تترتب المفاعيل بالقرب من المبني عليه . ورتبة المفعول (الموقع أو ترتيبه)تعتمد على رتبته (قربه) من المبني عليه ، فالرتبة (المنزلة) تؤثر على (الرتبة) (الموقع) أو الترتيب .

فإذا افترضنا أن المبني عليه يحمل الرقم صفراً ، فالمباني بعده تترتب من نقطة البداية بالرتبة أو القرب هكذا :

٠	١	٢	٣	٤	٥
(المبني عليه) الأساس	الخاص	عام ١	عام٢	عام٣	عام٤

فالرقم (١) أقرب إلى الصفر (المبني عليه) من الرقم (٢) وهذا أقرب من الرقم (٣) وهكذا وهذا الترتيب نتيجة للعلاقة القائمة بين المباني والمبني عليه . ومثل ترتيب الجملة الفعلية (بالمنزلة) تترتب الجملة الاسمية ، ففي قولنا

زيدٌ	الظريف	حاضرٌ	(هو)	(في الحفل)
مبني عليه		عام١	خاص	عام١

فزيد هو المبني عليه وما بعده المباني وهما الخبر والظرف ، والوصف يتقدم على الخبر بالرتبة (المنزلة) لكونه مع الموصوف كالكلمة الواحدة ثم يتلوه الخبر (العام) ثم يأتي العام (الظرف) لأن الخبر أخص بالمبتدأ من الجار والمجرور و بما أن المباني تترتب بحسب الرتبة أو (المنزلة) من المبني عليه ، فمن الطبيعي أن يكون بينها هي الأخرى ترتيب معينٍ ، فهذه المباني إما أن تترتب تنازلياً أو تصاعدياً كمحصلة لعلاقة الرتبة (المنزلة) .

ومثل ذلك"إن تعددت المضافات إلى المضاف إليه الواحد،جئنا بالمضاف الأول وأتبعناه بالمضاف إليه وعطفنا عليه المضاف الثاني وأتبعناهُ بضمير المضاف إليه هكذا : شهد الاحتفالَ عميد الكلية و أساتذتها وطلابها.وهذا هو الوجه

الأفصح من شهد الاحتفال عميد وأساتذة وطلاب الكلّية "[١] وذلك لأن حاجة المضاف إلى المضاف إليه أقوى من حاجته إلى المعطوف.وذلك لأن المباني تترتب بالقرب من المبني عليه وبحسب قوة العلاقة المعنوية القائمة بينهما "و الأصل أن يتقدم المفضَّل عليه على التمييز كقوله تعالى:(قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله)(المائدة ٦٠) "مثوبة "مييز ، وجاء على التركيب الأكثر الأفصح من تقدم المفضّل عليه على التمييز ، كقوله تعالى :(ومن أصدق من الله حديثاً)[٢] .

وكذلك تترتب ألفاظ التوكيد المعنوي بالرتبة أو (المترلة)" فإن قيل : فلم وجب تقدم نفسه وعينه على كلهم وأجمعين ؟ قيل لأن النفس والعين يدلان على حقيقة الشيء وكلهم وأجمعون يدلان على الإحاطة والعموم ، والإحاطة والعموم يدلان على محاطٍ بهما فكان فيهما معنى التبع والنفس والعين ليس فيهما معنى التبع فكان تقديمها أولى ، وقدم كلهم على أجمعين لأن معنى الإحاطة في أجمعين أظهر منه في كلهم لأن أجمعين من الاجتماع وكل لا اشتقاق له وأما ما بعد أجمعين فتبع لأجمعين" .[٣]

وهذا نفسه كذلك رأي الرضي مع التعليل : – " اعلم أنك لو أردت الجمع بين ألفاظ التوكيد المعنوي ، قدمت النفس ثم العين ثم الكل ثم أجمعين ثم أخواته من أكتعين إلى أبتعين .أما تقدم النفس والعين على الكل ، فلأن الإحاطةَ صفةٌ للنفس ومعنى فيها فتقدمُ النفس على صفتها أولى ، وأما تقدم النفس على العين فلأن النفس لفظ موضوعٌ لماهيتها حقيقةً ولفظُ العين مستعارٌ لها مجازاً من الجارحة المخصوصة كالوجه في قوله تعالى :(كل شيء هالك إلا وجهه)أي ذاته وأما تقدم الكلّ على أجمع فلكونه جامداً ، وإتباعُ المشتق للجامد أولى ولا سيما إذا كان المشتق على وزن الصفة وهو أفعل ، وأيضاً أن كُلاًّ قد يقع مبتدأ دون أجمع فإنه لا يقع إلاّ تأكيداً، وأما تقدم أجمع على أخواته فلكونه أدلَّ على معنى الجمعية المرادة من جميعها وأما تقدم أكتع في الصحيح على أخويه فلكونه أظهر في إفادة معنى الجمع منهما لأنه من قولهم : حول كتيع أي تام ، وهذا المعنى خافٍ فيهما "[٤] فهذه المباني

---

(١) محمود السمرة و نهاد الموسى – كتاب العربية ، ص ٢١٠ .

(٢) محمد عبدالخالق عضيمة – دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، ج٣،ص ٢٢٧ –٢٢٨

(٣) الأنباري – أسرار العربية ، ص ١٥٢ وكذلك السهيلي ، نتائج الفكر ، ص ٢٨٧.

(٤) الرضي – شرح الكافية ، ج٢ ، ص ٣٧٥

التوكيدية تتقدم نحو المبني عليه (المؤكَّد) بالرتبة ، (المنزلة) وذلك بحسب القوة التأكيدية لهذه المباني من الخاص إلى العام كما في الشكل التالي :

قرأ	تُ	الكتابَ	(نفسَهُ	عينَه	كلَّه	أجمعَهُ)	في الحديقة	مستلقيا
المبني عليه	خاص	عام١	(خاص	عام١	عام٢	عام٣)	عام٢	عام٣

ومن ذلك ترتيب التوابع،" واعلم أن التوابع إذا اجتمعت بدئ بالنعت ثم بالتأكيد ثم بالبدل ثم بالمنسوق ، أما الابتداء بالنعت قبل التأكيد فلأن النكرة لا تؤكد ، ويقدم التأكيد على البدل لأن مدلول البدل غير مدلول متبوعه في الحقيقة ومدلول التأكيد مدلول متبوعه ، وأما تقديم البدل على المنسوق فلأن البدل له نسبة معنوية إلى المبدل منه إما بالكلّية أو بالبعضية أو الاشتمال والمنسوق أجنبي من متبوعه "[1]مثال ذلك :

قرأ ت الكتابَ المفيدَ نفسَه نصفَه والقصةَ الشائقةَ

والتابع صاحب الدلالة الأقوى على المتبوع يتقدم على غيره .

ومن ذلك ترتيب الأحوال والصفات والأخبار المتعددة ، حيث" يتقدم المفرد على شبه الجملة على الجملة وقد جاء هذا الأصل كثيراً في القرآن[2]لأن دلالة المفرد على ما قبله أقوى من دلالة شبه الجملة أو الجملة مثال ذلك:

قال تعالى:(وجيهاً في الدنيا و الآخرةِ ومن المقربين ويكلّمُ الناسَ في المهدِ وكهلاً)من المقربين معطوف على وجيهاً ويكلم : حال أيضاً ،وجاءت الحال الثانية جاراً ومجروراً لأنه يُقدر بالاسم ، وجاءت الحال الثالثة جملة لأنها في الرتبة الثالثة ألا ترى أن الحال وصف في المعنى ،فكما أن الأصل والأكثر في لسان العرب إذا اجتمع أوصاف متعددة بدئ بالاسم ثم بالجار و المجرور ثم بالجملة كقوله تعالى (وقال رجل مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانه .....)

"فكذلك الحال "وقال تعالى :كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِربوةٍ أصابها وابلٌ : بُدئ بالوصف بالمجرور ثم بالوصف بالجملة ، وهو

---

(١)الغاشمي - شرح عيون الإعراب ، ص ٧٧، وكذلك الرضي - شرح الكافية ، ص ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) ابن السراج - الأصول ، ج٢،ص٦٢-٦٣ وكذلك دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،ج٣،ص٤٦٤ .

الأكثر في لسان العرب ، وبدئ بالوصف الثابت وهو كونها بربوة ثم بالوصف العارض ،"وهو أصابها وابل "[١]

والأصل أن تتقدم الجملة الاسمية على الفعلية كقوله تعالى:(سابقوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ أعدت للمتقين)تقدم وصف الجملة الاسمية لأنه أدل على الموصوف من الجملة الفعلية ، وقال تعالى :(وما يستوي البحرانِ هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابه وهذا ملحٌ أجاج) (فاطر ١٢) فالأخبار عذب فرات سائغ شرابه وهي مفرد ومفرد ثم وصف و فاعله .

وقد أفاض تمام في الحديث عن ترتيب الأشباه "ولقد اختار الأسلوب القرآني أن يبني التقدم و التأخير على مبدأ القصر و الطول ،فما كان من أفراد الطائفة (طائفة الأشباه)قصيراً كان أولى بالتقدم مما هو أطول منه ، وحافظ الأسلوب القرآني على هذا المبدأ ، فجعل الكلمة المفردة أولى بالتقدم من المركب،وجعل المركب أولى بذلك من شبه الجملة ، وشبه الجملة مقدماً على الجملة التامة التكوين ، لا يصرفه عن ذلك إلاّ أمن لبس ، أو تمام معنى ، كقوله تعالى :(وقلنا اهبطوا بعضُكم لبعضٍ عَدُوٌّ ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاع إلى حين)(البقرة٣٦)جعل المبتدأ المؤخر (مستقرٌ) مفرداً وجعل الثاني في حيزه شبه جملة [٢].

٤- **التقديم بالسبب** : "والمتقدم بالسبب هو المتقدم بالعلة الفاعلة الموجبة بالنسبة إلى معلولها وتقدمه بالعلّية كونه علة فاعلة، كحركة اليد فإنها متقدمة بالعلّية على حركة القلم وإن كانا معاً بحركة الزمان "[٣] .

- ومن التقدم بالسبب في الكلام المتراتب معنوياًقوله تعالى " وأنزلنا من السماءِ ماءً طهوراً لنحيي به بلدةً ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسيَّ كثيراً " (الفرقان ٤٨) ، فقدم إحياء الأرض لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي ، وقدم إحياء الأنعام لأنه مما يحيى به الناس بأكل لحومها وشرب ألبانها [٤] .

- "ومنه تقديم العزيز على الحكيم ، لأنه عزَّ فلما عزَّ حكَم ، [٥] والحكمة هي كمال العلم والإرادة المتضمنين

---

(١) محمد عبد الخالق عضيمة - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،ج٣،ص١٠١+٤٦٤+٥٢٣،٥٢٢،٥٢١،٥١٩،٥١٧،٥١٤،٥

(٢) تمام حسان –البيان في روائع القرآن ، ص٩٨-١٠٣

(٣) الجرجاني - التعريفات ، ص٢١٢ .

(٤) الزركشي - البرهان ، ج٣ ، ص ٢٤٧.

(٥) السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٦٨ وكذلك البرهان ص ٢٤٧.

اتساق صنعه وجريانه على أحسن الوجوه وأكملها ووضعه الأشياء مواضعها وهو الظاهر من هذا الاسم فيكون وجه التقديم أن العزة كمال القدرة ، والحكمة كمال العلم ، وهو سبحانه الموصوف من كل صفة كمال بأكملها وأعظمها وغايتها فتقدم وصف القدرة لأن متعلقه أقرب إلى مشاهدة الخلق وهو مفعولاته تعالى وآياته وأما الحكمة فمتعلقها النظر والفكر والاعتبار غالباً ، وكانت متأخرة عن متعلق القدرة ، ووجه ثان أن النظر في الحكمة بعد النظر في المفعول والعلم به فينتقل منه إلى النظر فيما أودعه من الحكم والمعاني ووجه ثالث أن الحكمة غاية الفعل فهي متأخرة عنه تأخر الغايات عن وسائلها ، فالقدرة تتعلق بإيجاده ، والحكمة تتعلق بغايته فقدم الوسيلة على الغاية لأنها أسبق في الترتيب الخارجي " [١] .

- ومنه قوله تعالى :(يحبُّ التَّوابين ويحبُّ المُتَطَهِرين) (البقرة ٢٢٢) "لأن التوبة سبب الطهارة " [٢]" وكذلك لأن الطهر طهران ، طهر بالماء من الأحداث والنجاسات وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي ، وهذا الطهور أصل لطهور الماء وطهور الماء لا ينفع بدونه بل هو مكمل له معد مهيئ بحصوله فكان أولى بالتقديم لأن العبد أول ما يدخل في الإسلام فقد تطهر بالتوبة من الشرك ثم يتطهر بالماء من الحدث" [٣].

- ومن التقدم بالسبب قوله تعالى :(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارِهم ويَحْفظوا فروجَهُم ذلك أزكى لهم إن الله خبيرٌ بما يصنعون*وقل للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ مِن أبصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُروجَهُن)(النور ٣٠-٣١) "وما أحسن ما رتب هذا الأمر حيث أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ، ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ، لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر " [٤]"والبصر داعية إلى الفرج ، لقوله صلى الله عليه وسلم " العينان تزنيان والفرج يصدّق ذلك أو يكذّبه " [٥] .

- ومن التقدم بالسبب قوله تعالى :(أو لم يروا أنا نسوقُ الماءَ إلى الأرضِ الجُرُزِ فنخرِجُ به زرعاً تأكلُ منه أنعامُهم

---

(١) ابن القيم - بدائع الفوائد ، ج١، ص ٦٧-٦٨ .

(٢) السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٦٩.

(٣) ابن القيم - بدائع الفوائد ،ج١، ص ٦٨ .

(٤) الكشاف ج٤ ، ص ٢٨٩.

(٥) الزركشي - البرهان ، ج٣،ص ٢٥١.

وأنفسهم)(السجدة ٢٧) تقدمت الأنعام على الأنفس لأنه سبق ذكر الزرع وبحياة الأنعام حياة للبشر ، فتقدمت الأنعام بالسبب. ومن التقدم بالسبب قوله تعالى (كلّ أفاكٍ أثيم) (الجاثية ٧) لأن الإفك سبب الإثم [١]" فالإفك هو الكذب ، وهو في القول،والاثم هو الفجور وهو في الفعل ، والكذب يدعو إلى الفجور كما في الحديث الصحيح أن الكذب يدعو إلى الفجور وأن الفجور يدعو إلى النار . [٢]

◆ ومن التقدم بالسبب قوله تعالى : (كلّ معتدٍ أثيم) (المطففين ١٢) [٣]"وفيه معنى وهو أن العدوان بمجاوزة الحد الذي حُدَّ للعبد ، فهو ظلم في القدر والوصف ، وأما الإثم فهو محرم الجنس ومن تعاطى تعدي الحدود تخطى إلى الجنس الآخر وهو الإثم ، ومعنى ثالث وهو أن المعتدي الظالم لعباد الله عدواناً عليهم ، والأثيم الظالم لنفسه بالفجور ، فكان تقديمه هنا على الأثيم أولى لأنه في سياق ذمه والنهي عن طاعته ، فمن كان معتدياً على العباد ظالماً لهم فهذا أحرى بأن لا تطيعه وتوافقه، وفيه معنى رابع وهو أنه قدمه على الأثيم ليقترن بما قبله وهو وصف المنع للخير فوصفه بأنه لا خير فيه للناس ، وأنه مع ذلك معتد عليهم فهو متأخر عن المناع لأنه يمنع خيره أولاً ثم يعتدي عليهم ثانيا ، ولهذا يحمد الناس من يوجد لهم الراحة ويكف عنهم الأذى ، وهذا هو حقيقة التصوف وهذا لاراحة ولا أذى يكفه"[٤].

والمبني المتقـــدم بالسبب يتقدم على المسبب بالزمن والطبـــع والرتبة وذلك بحكم اعتماد المسبب على السبب معنوياً ، فلا وجود للمسبب إلا مع السبب ، فلا بد من تقدمه عليه والمبني الأول هو السبب والمبني الثاني هو المسبب ،والمبني الأول يتقدم على المبني الثاني تقدم الخاص على العام .

ومن التقدم بالسبب في الكلام المتراتب نحوياً تقدم فعل الشرط على الجزاء وتقدم ما قبل فاء السببية على ما بعدها وكذلك تقدم ما قبل لام التعليل على ما بعدها فهو من تقدم السبب على المسبب .

مثال الأول:من يدرسْ ينجحْ،فالدراسة سبب للنجاح وهي متقدمة عليه بالزمن والسبب،والمباني متصلة من السبب

---

(١) السهيلي – نتائج الفكر ، ص ٢٦٩.

(٢) ابن القيم – بدائع الفوائد ، ج١،ص ٦٨.

(٣) السهيلي – نتائج الفكر ، ص ٢٦٩.

(٤) ابن القيم – بدائع الفوائد ،ج٢ ، ص ٦٩.

إلى المسبب،ومثله قوله تعالى(ومن يتقِ اللهَ يَجعلْ لَهُ مَخْرَجاً)(الطلاق٢) فالتقوى (سبب) للمخرج(المسبب)

والسبب متقدم على المسبب بالزمن والسبب والمباني متصلة من السبب إلى المسبب بالتدريج ولذلك لا نقول:من ينجح يدرُس. ومثال فاء السببية " لا تعصِ الله فتندم " فالعصيان مقدم على الندم بالسبب والزمن ، والمعاني مترابطة من السبب إلى المسبب ، ومتقدمة بالرتبة (المكانة) ولذلك لا نقول : لا تندم فتعصِ الله .

ومثال لام التعليل : قرأت الكتابَ لأستفيدَ " فالقراءة متقدمة على الاستفادة بالزمن والسبب ، والمباني متدرجة بالرتبة (المكانة) من الخاص إلى العام ولذلك لا نقول : قرأتُ لأستفيد الكتاب .

وكل هذا من قبيل الرتبة (المنزلة) لأن فعل الشرط أقرب إلى الأداة (المبني عليه) من فعل الجزاء .

(٥) **التقدم بالفضل والشرف** " والمتقدم بالشرف هو الراجح بالشرف على غيره ، وتقدمه بالشرف هو كونه كذلك كتقدم أبي بكر على عمر رضي الله عنهما"[١] .

- وكذلك قوله تعالى :(مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)(النساء ٦٩) "فالتقدم بالفضل والشرف "[٢]

"ولكون الصديق تابعاً للنبي فإنما استحق اسم الصِّديق بكمال تصديقه للنبي ، فهو تابع محض وتأمل تقدم الصديقين على الشهداء ، لفضل الصديقين عليهم وتقدم الشهداء على الصالحين لفضلهم عليهم " [٣] .

- "ومنه أيضاً قوله تعالى :(من كان عدواً للهِ وملائكتِه ورُسُلِه وجبريلَ وميكال).(البقرة ٩٨)

لأن جبريل صاحب العلم والوحي،وميكائيل صاحب الأرزاق ، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية ، ومنه قوله تعالى:(والسابقون الأَولُون من المهاجرين والأنصار)ويدل على فضيلة الهجرة قوله صلى الله عليه وسلم" (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار) وبالآية احتج الصديق على تفضيلهم وتعيين الإمامة فيهم" [٤]

---

(١) الجرجاني –التعريفات ، ص ٢١٢ .

(٢) السهيلي- نتائج الفكر ، ص ٢٦٩.

(٣) ابن القيم - بدائع الفوائد ، ج١ ، ص ٧٠.

(٤) الزركشي - البرهان ،ج٣، ص ٢٥٢.

♦ ومما قدم للفضل والشرف قوله تعالى :(فاغسلوا وجوهَكُم وأيدِيَكُم إلى المرافق وامسحوا برؤوسِكُم وأرجُلَكُم إلى الكعبين)(المائدة٦).

"وأما تقديم غسل الوجه ثم اليد ثم مسح الرأس ثم الرجلين في الوضوء فمن يقول أن هذا الترتيب واجب وهو الشافعي وأحمد ومن وافقهما فالآية عندهم اقتضت الترتيب وجوباً لقرائن عديدة أحدها أنه أدخل ممسوحاً بين مغسولين وقطع النظير عن نظيره ، ولو أريد الجمع المطلق لكان المناسب أن يذكر المغسولات متسقة في النظم والممسوح بعدها فلما عدل عن ذلك دل على وجوب ترتيبها على الوجه الذي ذكره الله .

الثاني : أن هذه الأفعال هي أجزاء فعل واحدٍ مأمور به وهو الوضوء فدخلت الواو عاطفة لأجزائه بعضها على بعض ، والفعل الواحد يحصل من ارتباط أجزائه بعضها ببعض فدخلت الواو بين الأجزاء للربط ، فأفادت الترتيب إذ هو الربط المذكور في الآية ولا يلزمه من كونها لا تفيد الترتيب بين أفعال لا ارتباط بينهما نحو(أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أن لا تفيده بين أجزاء فعل مرتبطة بعضها ببعض ، وهذا أرجح الأقوال .

الثالث : أن لبداءة الرب تعالى بالوجه دون سائر الأعضاء خاصة فيجب مراعاتها وأن لا تلغى وتهدر فيهدر ما اعتبره الله ، ويؤخر ما قدمه الله وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن ما قدمه الله فإنه ينبغي تقديمه ولا يؤخر ، بل يقدم ما قدمه الله ويؤخرما أخره الله ، فلما طاف بين الصفا والمروة بدأ بالصفا وقال نبدأ بما بدأ به الله وفي رواية للنسائي ابدأوا بما بدأ الله به فتأمل بداءته بالصفا معللا ذلك بكون الله بدأ به فلا ينبغي تأخيره وهكذا يقول المرتبون للوضوء سواء ، نحن نبدأ بما بدأ الله به ولا يجوز تأخير ما قدمه الله ويتعين البداءة بما بدأ الله به وهذا هو الصواب لمواظبة المبين عن الله مراده صلى الله عليه وسلم على الوضوء المرتب فاتفق جميع من نقل عنه وضوءه

كلهم على إيقاعه مرتباً ، و لم ينقل عنه أحد قط أنه أخل بالترتيب مرة واحدة فلو كان الوضوء المنكوس مشروعاً لفعله ولو في عمره مرة واحدة لتبيين جوازه لأمته وهذا بحمد الله أوضح " [١]

- ومن التقدم بالفضل والشرف قوله صلى الله عليه وسلم:(اثبت أُحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) وذلك عندما صعد أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان [٢] وترتيب المباني بالفضل و الشرف من الخاص إلى العام .
- "ومنه قوله تعالى :(صلوا عليه وسلّموا تسليما)(الأحزاب ٥٦)، فإن الصلاة أفضل من السلام ومنه كذلك (محلقين رؤوسكم ومقصرين)(الفتح ٢٧) فإن الحلق أفضل من التقصير . ومنه قوله تعالى :(والخيل والبغال والحمير لتركبوها) (النحل ٨) وقوله تعالى (ومن أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها) (النحل ٨٠) "[٣] .
- "ومنه تقدم الذهب على الفضة في قوله تعالى :(والقناطيرِ المقنطرةِ من الذهبِ والفضةِ)(آل عمران ١٤) [٤]
- ومن التقدم بالفضل والشرف : تقديم الخيل فإنها حصون القوم ومعاقلهم وعزهم وشرفهم فقدمها على الأنعام التي هي الإبل والبقر والغنم ، ثم ذكر الأنعام وقدمها على الحرث لأن الجمال بها والانتفاع أظهر وأكثر من الحرث كما قال تعالى :(ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) والانتفاع بها أكثر من الحرث ، فإنما ينتفع بها ركوباً ، وأكلاً ، وشرباً ، ولباساً ، وأمتعة ، وأسلحة ، ودواء ، وقنية ، إلى غير ذلك من وجوه الانتفاع وأيضاً فصاحبها أعز من صاحب الحرث وأشرف وهذا هو الواقع " [٥].
- "ومن التقدم بالفضـــل والشرف قوله تعالى :(وهو الذي مرجَ البحرينِ هـــذا عذبٌ فراتٌ وهذا ملحٌ أجاج) (الفرقان ٥٣) وكذلك (وهو الذي خلقَ مِنَ الماءِ بشراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وصِهْراً)(الفرقان ٥٤) فقدم خلطة النسب على خلطة السبب وهي المصاهرة" [٦] .

---

(١) ابن القيم – بدائع الفوائد ، ج١ ، ص ٦٥-٦٦، وكذلك السهيلي – نتائج الفكر،ص٢٦٩ .

(٢) عودة أبو خليل – بناء الجملة في الحديث النبوي ، ص ٢٢٢

(٣) الزركشي – البرهان ، ج٢، ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) ابن القيم – بدائع الفوائد ، ج١ ص ٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٧

(٦) الخطيب الإسكافي – درة التنزيل ، ص ١٨٢

◆ ومن التقدم بالفضل والشرف " أن يقال : يتقدم الأقرأ فالأسَن ، فالأقرأ أفضل من الأسن " [١].

والمباني المتقدمة بالفضل والكمال تتقدم كذلك بالرتبة ، من الأشرف والأفضل إلى الأقل فضلاً وكمالاً والمعاني متصلة بالتدريج ، وهي تترتب بعد المبني عليه وهو المعنى الأول المتقدم بالفضل والشرف ، بحسب فضلها كمالها ، فيتقدم الأفضل على الأقل فضلاً ، نحو المبني عليه وهو المعنى الأول المتقدم فالمباني المتقدمة بالفضل والشرف تتقدم بالرتبة من الخاص إلى العام .

وبناءً على ما تقدم فالذي يبدو لي أن المباني تترتب بالرتبة (المنزلة) بغض النظر عن سبب التقدم .

ثانياً : التقدم بالسبب اللفظي

"وربما كان ترتب الألفاظ بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى " [٢] ومن الأسباب اللفظية التي تترتب بموجبها الألفاظ : الخفة والثقل ، الصدارة ، تناسب الفواصل ، المشاكلة اللفظية ... الخ .

وفي رأيي أن اللغة من ناحية صوتية تسير أو تترتب من الأثقل إلى الأخف،كما يقول السهيلي " إن الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف بسبب نشاط المتكلّم وجمامه"[٣]وقد بدأوا كلامهم بالمرفوع لثقله ثم بالمنصوب لخفته . أما التقدم بالسبب اللفظي من الكلام المتراتب نحوياً،فكتقدم المبتدأ إذا كان من ألفاظ الصدارة والخبر نكرة كقولنا " مَن ناجحٌ ".وبعد فالذي يبدو لي أن المباني في الأصل تترتب بعد المبني عليه بالرتبة،من الخاص إلى العام،فالمبني عليه يتقدم بالرتبة ، لأنه الأقرب إلى النفس ثم تترتب المباني بعده كذلك بالرتبة وبحسب قوة العلاقة المعنوية مع المبني عليه من القريب إلى البعيد أو كما يقول الجرجاني الكلام يتلاحق ويأخذ بعضه بحجز بعض [٤] ودلالاته متناسقة ومتكاملة وبينها نوع من التضام المعنوي المبني على قوة العلاقة المعنوية.كما أن الأصل أن تترتب المباني إما بالزمن ، وإما بالطبع ، وإما بالرتبة ، وإما بالسبب ، وإما بالفضل ،وإمّا بالسبب اللفظي فإذا تقدم المتأخر على المتقدم حصل الخروج عن الأصل كأن تتقدم المباني بالفضل وكان الأصل تقدمها بالزمن أو أن تتقدم بالرتبة عدولاً والأصل

---

(١) فاضل السامرائي - معاني النحو ، ج٣ ، ص ٢٣٧.

(٢) السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٦٨.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٧

(٤) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص٨٨ .

تقدمها بالرتبة أصلاً ،ولكن بغض النظر عن سبب التقدم فإن المباني بشكل عام تترتب بالرتبة (المنزلة) أصلاً وعدولاً و الخروج عن الأصل يكون من العام إلى الخاص عدولاً . وهذا يؤدي إلى أن تترتب المباني بالرتبة إما من المبني عليه إلى المبني أصلاً وعدولاً أو من المبني إلى المبني عليه (عدولاً) وهذا بالطبع يقتضي أن تكون هناك رتبة أو (منزلة) بين المباني نفسها بشكل عام في الأصل والعدول .

ولذلك فعندما نقول إن المباني تترتب بالرتبة ، فهذا يعني أن الكلمات تترتب بالقرب من مبدأ معين وهذا بالتالي يؤدي إلى وجود ترتيب معين للمباني نفسها من الخاص إلى العام أو من العام إلى الخاص أو بالجمع بينهما من العام إلى الخاص ومن الخاص إلى العام .

وخلاصة الأمر هو أن رتبة المباني (مواقعها أو ترتيبها) تترتب بفعل الرتبة (المنزلة) من الخاص إلى العام أصلاً ومن العام إلى الخاص عدولاً .

وإذا كان النظم عند الجرجاني " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت "[1] وبما أن النظم يعتمد على الرتبة فمعنى ذلك أن النحو العربي يقوم على الرتبة كذلك وأن قانون الرتبة يستحق أن يُسمى " **قانون تأليف الجُمل أصلاً وعدولاً** ".

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الاعجاز ، ص ٥٠

الفصل الثاني

العـــدول عن الأصـــــــل

أولاً : دراسة نظرية

١) العدول عن أصل الرتبة بالضابط المعنوي :-

أ- للهدف المعنوي.

ب- للهدف البلاغي.

ج- أمن اللبس .

٢) العدول عن أصل الرتبة بالضابط اللفظي : -

ثانياً : دراسة تطبيقية (أمثلة وشواهد تطبيقية) : -

١) العدول عن أصل الرتبة بالضابط المعنوي :-

أ- للهدف المعنوي

ب- للغرض البلاغي .

ج- أمن اللبس .

٢) العدول عن أصل الرتبة بالضابط اللفظي .

المبحث الأول

العدول عن الأصل

أولاً :- دراسة نظرية

الكـــلام يعبر عن المعاني ، ولا بـــد من أن ينتظم على صـــورة مخصوصـــة ، للوصـــول إلى المعنى المفيد ، والأصل أن يكون هناك رتبة بين الألفاظ ، وهذه الرتبة قد تكون محفوظة أو غير محفوظة ، قابلة للتقديم والتأخير ، وذلك بحسب المعنى المراد إيصاله ، وعدم حفظها يعني أن المعنى معها لا يدخله الغموض أو اللبس ، بل على العكس ، فقد يستغل المتكلم حرية الرتبة من أجل التعبير عن معانٍ لا تعبر عنها الرتبة المحفوظة ، وقد يعرض لهذه الرتبة ما يقيدها من أجل المعنى ، " ولهذا نجد النحاة أحياناً ينصون على ضرورة حفظ الرتبة إذا دعت لذلك ضرورة تركيبية مثلاً ويؤدي عدم حفظها إلى الغموض والالتباس " [١].

وقد تكون الرتبة محفوظة ، وحفظها يعني أن الخروج عنها يهدد بضياع المعنى ، " وقد يخرج عن هذه الرتبة بشرط وضوح المعنى ، وهو ما يسميه تمام حسان الترخص " [٢].

"وقد جعل النحاة للكلام رتباً بعضها أسبق من بعض ،فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير ، وإن وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت في باب التقديم والتأخير . وهذا هو الأصل في الكلام العربي ، فالتقديم إما أن يكون بحسب الأصل أو بالعدول عن الأصل للعناية والاهتمام [٣] . وفي ذلك يقول الجرجاني

" واعلم أن تقديم الشيء على وجهين: تقديم يُقال له إنه على نية التأخير ، وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كـــان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ،والمفعول إذا قدمته على الفاعل ، وتقديم لا على نية التأخير كقولنا : ضربت زيداً و زيدٌ ضربتُه : لم تقدم زيداً على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان ولكن على أن ترفعه بالابتداء ،وتشغل الفعل بضمـــيره ،وتجعـــله في موضـــع الخبر لـــه " [٤].

---

(١) تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ص ٢٧٧ وكذلك ، محمد حماسه – بناء الجملة العربية، ص٧٩.

(٢) تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٣٦

(٣) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ، ٣٧ .

(٤) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١٠٦-١٠٧.

" والعدول عن الرتبة، عدم مراعاتها ، بتقدم ما رتبتـــه التأخير أو العكس ، وتسمى الرتبـــة في هذه الحالـــة مشوشة " [١] (متداخلة) . وذلك كقولنا :"زيداً رأيتُ" فالأصل تقدم الفعل، فالفاعل، فالمفعول ، ولكن عُـــدل عن الأصل من أجل الأهمية، حيث تعلق الاهتمام بالعام " فالترتيب (التقدم والتأخير) يُعَدُّ من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحاً ، لأن المتكلم يعمـــد إلى مورفيم حقه التأخير فيما جاء عن العرب ، فيقدمـــه ، أو إلى ما حقـــه التقدم فيؤخره، طلباً لإظهار ترتيب المعاني في النفس " [٢] . " كما أن تقدم الأركان اللغوية سواءٌ أكان ذلك التقدم على نية التأخير، أو لا على نية التأخير، يعكس الافتراضات المسبقة في ذهن المتكلم ، ذلك لأن الركن اللغوي المقدم في كلتا الحالتين سيكون من أجل الاهتمـــام والعناية والقصد ، كما أن هدف الوظيفة الدلالية المهمة للأركان اللغوية المقدمة هي نقل معلومات دلالية مركزة ومهمة جداً للعملية الاتصاليـــة بين المتكلم وبين المستمـــع " [٣].

وعميلة تقدم عنصر لغوي مضبوطة بالمنزلة، من أجل هدف معين، فالأســـاس الذي تتم عملية التقدم والتأخير بناءً عليه هو المنزلة (قـــوة العلاقـــة المعنويـــة) من أجل هدف قد يكون معنوياً، أو بلاغياً، أو أمناً للبس .... إلخ .

ولذلك ينبغي التفرقة بين الأهمية كأساس وبين الأهمية كهدف نسعى إليه وبين التقديم بالأهمية وللأهمية .

"وبناء الجملة وهو التنفيذ الحي للبنية الأساسية، يعرض له من العوارض ما يجعلـــه مطابقـــاً أو غير مطابق للبنية الأساســـة " [٤] فإذا قلنا : "ضرب زيـــدٌ عمراً " فهـــذه الجملـــة قـــد جاءت بحسب البنية الأساسية لنظام الجملة ، ولكن قـــد يعدل عن هذه الجملة فنقول : عمراً ضرب زيـــدٌ ففي هذه الحالة نجـــد أن اللغـــة لم تتطابـــق مع البنية الأساسية ، ولا بد من وجود سبب يدعو للعدول عن الأصل كالغرض المعنوي، أو أمن اللبس، أو القصر .... إلخ " وهل نجد أحـــداً يقول : هذه اللفظة فصيحة ، إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها " [٥] .

---

(١) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٣٧٨

(٢) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٨٨.

(٣) مازن الوعر – نحو نظرية لسانية عربية حديثة ، ص ٤٥ .

(٤) محمد حماسة – بناء الجملة ، ص ١٢.

(٥) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الاعجاز ، ص ٤٤.

"ويمكن العدول عن أصل الرتبة بالتقديم والتأخير ، وهذا العدول إما أن يكون مطرداً أو غير مطرد ، فإن كان غير مطرد فالنحاة يسمونه شاذاً أو ضرورة أو خطأ " [١] . وذلك كقول الشاعر : عليكِ ورحمةُ اللهِ السَّلام .

فالقاعدة العامة تنص على حفظ الرتبة بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولكن عُدل عن الأصل للضرورة .

" أما إذا كان العدول مطرداً فإنه عندئذٍ يخضع للاعتبارات الآتية : الفائدة، والخضوع للقاعدة التي يتم العدول في ضوئها، والاحتكام العام لصناعة النحو، كما يبدو من خلال قواعد التوجيه " [٢] .

وذلك كتقديم المفعول على الفاعل ، فعملية التقديم والتأخير تتم من أجل الفائدة ، أو من أجل هدف معين ، بناء على قاعدة فرعية عن الأصل، على أن لا يتعارض العدول مع قواعد التوجيه التي تحكم النحو العربي ، كأن يقال مثلاً " لا عبرة بالتقديم إذا كان في نية التأخير " [٣] . ٥٨٠٦٥٠

" والاتساع في استخدام اللغة يدل على ميزة في اللغة، وفي العقل البشري الذي يستخدمها بكفاءة تسمح له التحديد في التراكيب المعبرة عن معانيه المتغيرة، مما أدى إلى تنوع الأساليب " [٤] لأن كل معنى بحاجة إلى أسلوب معين يعبر عنه ، ولأن الألفاظ خدم للمعاني . فالمعنى أولاً واللفظ ثانياً ،ولأن اللفظ هو الوعاء الحامل للمعنى .

والاتساع في استخدام اللغة نابع من القدرة على تطبيق قانوني الاستبدال ، والتعاقب القائمين على تنفيذ قانون الرتبة، أصلاً وعدولاً بما يخدم المعنى المراد إيصاله بدقة " واعلم أنه إذا كان بيِّنًا في الشيء أنه لا يحتمل إلاّ الوجه الذي هو عليه ، حتى لا يُشْكل ، وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حَقُه وأنه الصواب إلى فكر وروية ، فلا مزيَّة ، وإنما تكون المزيَّة ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر ، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر ، ورأيت للذي جاء عليه حُسناً وقبولاً تعدمهما إذا أنت تركته إلى الثاني " [٥]"ومدلول الفكر والروية في عبارة عبد القاهر السابقة يجب التنبه إليه، إذ يبدو أنه يؤكد بطريقة واضحة، امتداد جذور الصياغة إلى ذات المبدع الخالق، كما يشكل بعداً إدراكياً لوعي هذا المبدع ، بالمكونات المتشابكة لجزئيات صياغته، وهو ليس إدراكاً

---

(١) تمام حسان – الأصول ، ص ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٤٨.

(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٢٦.

(٤) ممدوح الرمالي – العربية والوظائف النحوية ، ص ٦٦ .

(٥) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الاعجاز ، ص ٢٨٦.

آلياً ذهنياً، وإنما هو إدراكٌ خلاق، يكشف المستوى الجمالي للتعبير عن طريق خلق بنية تتداخل فيها العلاقات، وتتبادل فيها التفاعلات بفنية تستمد قيمها من النحو الإبداعي "[١]

ولكن لِمَ يكون التقديم والتأخير ؟

يجيب الجرجاني ذاكراً كلام سيبويه عن التقديم والتأخير وتفسير النحويين له فيقول : واعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ، ، ومعنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في فعلٍ ما ، أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه ، (فإذا حدث الفعل) وأراد مُريد الإخبار بذلك قَدَّم المفعول على الفاعل ، لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا شخص الفاعل جدوى وفائدة . فإذا وقع الفعل من شخص ليس من عادته فعل هذا الفعل ، وأراد المخبر أن يخبر بذلك فإنه يقدم ذكر الفاعل، ذاك لأن الذي يعنيه ويعني الناس طرافته وندرته ، ومعلوم أنه لم يكن نادراً وبعيداً من حيث كان واقعاً بالذي وقع به، ولكن من حيث كان واقعاً من الذي وقع منه . [٢]

وهذا يدل على أن المباني تترتب بالمنزلة والأهمية أصلاً وعدولاً من أجل الهدف المعنوي ،ولكن الجرجاني يرفض اقتصار التعليل على العناية والاهتمام ، من دون ذكر مصدر هذه العناية ، ولم كان أهم " [٣] وأظنه قد أصاب عندما رفض هذه المفردة العامة والموجزة ،فلا بد من تفسير وتوضيح للعناية والاهتمام وإن كان التقديم لا يقتصر على الهدف المعنوي .

والذي أود إضافته هنا هو أن الرتبة غير المحفوظة قد تكون من"المزايا المضللة"[٤]في اللغة ، بمعنى أن ممارسة الحق في التقديم والتأخير لا بد أن يفي بمتطلبات المقام أولاً وبمتطلبات الانسجام بين المباني ثانياً ، وبمعنى آخر ، إن حرية الرتبة قد تكون أصعب وأدق من تقييدها ، لأن الرتبة المحفوظة علم والرتبة غير المحفوظة فن ، وفرق بين العلم والفن وإن كانت الرتبتان خاضعتين لقانون المنزلة . فالمفعول به في قوله تعالى : " أما اليتيم فلا تقهر " لا بد أن يقع في هذا الموقع بسبب الارتباط المعنوي شئنا أم أبينا ، أما المفعول به في قولنا :ضرب زيدٌ عمراً أو ضرب عمراً زيدٌ

---

(١) محمد عبد المطلب – البلاغة و الأسلوبية ، ص٣٢٩ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ١٠٧-١٠٨ ، بتصرف يسير .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٨.

(٤) نازك الملائكة – قضايا الشعر المعاصر ، ص ٤٠

أو عمراً ضرب زيدٌ ، فأظن أن موقعه غير محدد ، كما أن تغيير المواقع يعكس التغيير في المعنى ولذلك ينبغي للمتكلم أن يختار الشكل اللغوي المناسب للمعنى .

ولكن ، ما الأساس الذي يتم العدول بناءً عليه ، وما أهدافه ؟

يقـــول العلائي في تفسير كـــلام سيبويه " كأنهم إنما يقدمـــون الذي بيانه أهـــم وهم ببيانـــه أعنى وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم " هذا وإن كان سجيتهم ، فذلك في الغالب وليس بضربة لازب ، وأيضاً فقـــد يكون ما قدم من ذلك أهم عندهـــم في ذلك المقام وإن لم يكـــن أهـــم مطلقاً " .

كمـــا يقـــول معلقاً على كلام السهيلي " وهذا كله على وجـــه الأولويـــة وبيان المناسبة ، لا على وجـــه اللـــزوم وأنـــه لا يجـــوز غيره، بل وقـــع خـــلاف ذلك مع عدم المناسبة ، وقد يكـــون في اللفظ معنيان من هذه الخمســـة، فيقدم بسبب أحدهما في موضـــع ، ويؤخـــر بسبب الآخر في موضـــع آخر لتقـــدم ما يكون أهم منه في ذلك الموضع بالنسبة إلى ذلك المعنى " [١]

ومواطـــن العـــنـــاية والاهـــتمام تختلف بحسب المقـــام،ولذلك قـــد تقدم كلمة في موطن وتؤخرها في موطن آخرحسبما يقتضيه المقام[٢] .

وهذا ما يراه تمام حسان ، فهذا الترتيب على سبيل الأولوية وليس على سبيل الإلزام " [٣]،والذي يبدو لي أن أسباب تقـــدم المعـــنى التي ذكرها السهيلي تؤثر في التقديم بحسب الأصـــل، كما تؤثر في العدول عن الأصل ، وذلك بتقدم المتأخر على المتقـــدم كأن يتقـــدم المعنى بالفضل والشرف، والأصـــل تقـــدم المعنى بالزمان فيتقدم العام على الخاص ، ونحكـــم على ذلك من خـــلال المعنى، كما يقول العلائي : فالنطق الواقع في الزمـــان الأول متقدم بالطبـــع على النطق الواقـــع في الزمـــان الذي بعـــده ، فكل ما قـــدم بالزمـــان دل على أن المتكلم قصـــد الاهتمام به أكثر مما بعـــــده وذلـــك يقتضي تفضيلاً ، وهو السِّر فيما حكاهُ سيبويه عن العرب أنهم يبدأون بما هو الأهم عندهم وكانت العنايـــة بـــه أشـــد [٤] .

---

(١) العلائي – الفصول المفيدة ، ص ٧٨،ص١١٢

(٢) فاضل السامرائي – الجملة العربية ، ص ٣٧

(٣) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٩٦.

(٤) العلائي – الفصول المفيدة ، ص ٩٣-٩٤.

١- العدول عن أصل الرتبة بالضابط المعنوي

أ-الهدف المعنوي :- ويظهر هذا من خلال الأمثلة التالية :-

◆ فمن ذلك قوله تعالى :(أئفكا آلهةً دونَ اللهِ تريدون)(الصافات ٨٦) وهذه الآية تترتب من العام إلى الخاص عدولاً، والأصل فيها أتريدون آلهة دون الله إفكاً " ثم انظر إلى حسن عكس الرتبة بإيراد المفعول لأجله أولاً، ثم المفعول به الموصوف بشبه الجملة، ثم الفعل وفاعله ، فالآية كما تعلم استفهام إنكاري، وما دام معناها الإنكار فإن ترتيب ألفاظها ينبغي أن يكون بحسب الأولوية في استحقاق الإنكار ، وأول الألفاظ بالإنكار لفظ " إفكا" لأن الكفر قد يكون ميراثاً عن الآباء، ولكنه قد يكون انحرافاً عن الحق متعمداً لا ينفع معه الدليل على فساده، فذلك هو الإفك، ثم يلي في الإنكار أن يذهب الإفك عن إشراك آلهة مع الله، فإذا كانت الآلهة دون الله لا معه فهذا أوغل في الشرك ، ويضاعف من سوء ذلك كله أن يكون ذلك بإرادتهم واختيارهم ، ولو أن سياق الكلام كان على صورة أخرى مثل " أتريدون آلهة دون الله إفكاً " لانطفأ كل ما في الكلام من حرارة الإنكار، ولبدا الكلام وكأنه سؤال لهم عما يفضلونه من أنواع الشرك " [١] "وقد وجدنا أن المفعول لأجله وهو آخر الأبواب النحوية ترتيباً قد تصدر هذا الشاهد يتلوه المفعول به ونعته ، وذلك لأن أول ما تعلق به الاهتمام هو السببية التي عبر عنها المفعول لأجله ، لأن الكفر عن ضلال قد ترجى له الهداية، أما الكفر عن إفك فذلك انحراف مع تدبير وكيد وإصرار " [٢] .

فالأصل تقدم الفعل فالفاعل فالمفعول فالصفة فالمفعول لأجله بالأهمية ، ولكن عُدِل عن الأصل وتقدم المفعول لأجله .بالمنزلة ليَلي همزة الاستفهام الإنكاري لأن الاهتمام قد تعلق به ، ثم تبعه المفعول به في شدة الاستنكار ثم وصف المفعول .... والمباني مترتبة بالمنزلة من العام إلى الخاص ، وقد تمت إعادة توزيع الرتبة من أجل الهدف المعنوي ومعنى المعنى ، يقول الجرجاني : " ومن الصفات التي تجدهم يجرونها في اللفظ ثم لا تعترض شبهة ولا يكون منك توقف ، في أنها ليست له ولكن لمعناه قولهم : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناهُ لفظه ولفظه معناه ، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناهُ إلى قلبك " وقولهم : يدخل في الأذن بلا إذن ، فهذا مما لا يشكُّ

---

[١] تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ص ٩٥.

[٢] المصدر نفسه ، ص ٣٧٩.

العـــاقل في أنـــه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى، وأنه لا يُتصور أن يراد به دلالة اللفظ على معناهُ الذي وضع له في اللغة "[١] .ويلاحظ التناغم الدلالي بين المباني بحفظ رتبة الموصوف وصفته في الأصل والعدول .

◆ وجمهور النحاة على أن ما قبل "إلاّ" يعمل فيما بعدها إذا كان ما بعدها واحداً من ثلاثة: مستثنى، مستثنى منه، تابعاً للمستثنى منه"ولكن لأبي حيان مواقف أخرى مال فيها إلى رأي الكسائي و الأخفش تمثل لما يأتي : قال تعالى: (كلُّ الطعامِ كان حلاً لبني إسرائيلَ إلاّ ما حرَّم إسرائيلُ على نفسِه من قبلِ أن تنزلَ التوراةُ)(آل عمران ٩٣).

قال أبو حيان في البحر "من قبل" يظهر أنه متعلق بقوله " كان حلاً لبني إسرائيل "وفصل بالاستثناء إذ هو فصل جائز و ذلك على مذهب الكسائي وأبي الحسن في جواز أن يعمل ما قبل إلا فيما بعدها إذا كان ظرفاً أو مجروراً أو حالاً ، نحو:ما حُبس إلاّ زيدٌ عندك، وما أوى إلاّ عمرو إليك وما جاء إلا زيد ضاحكاً ، وأجاز ذلك الكسائي في منصوب مطلقاً نحو : ما ضرب إلا زيدٌ عمراً ، وأجاز هو والأنباري في مرفوع نحو ما ضرب إلا زيداً عمرو . وأما تخريجه على مذهب غير الكسائي وأبي الحسن فيقدر له عامل من جنس ما قبله،تقديره هنا:حل من قبل أن تنزل التوراة"[٢]وقد تقدم الفاصل بالمنزلة فالمعنيان متقاربان .

◆ ومن العدول عن الأصل للغرض المعنوي قوله تعالى :"كَبُرَ مقتاً عندَ اللهِ أن تقولوا ما لا تفعلون "(الصف ٣) فالأصل كبر أن تقولوا ما لا تفعلون مقتاً عند الله .ولكن عدل عن الأصل للهدف المعنوي لبيان شدة مقت الله سبحانه و تعالى للنفاق وقد كان في ذلك رعاية للفاصلة أيضاً .وفي تفسير الفراء لهذه الآية يقول : "فأن تقولوا " في موضع رفع لأن كبر بمنزلة قولك: بئس رجلاً أخوك ، وقوله :كبر مقتاً عند الله :أضمر في كبر اسماً يكون مرفوعاً "[٣] ولا أدري ما الفائدة من التقدير مع أن الفاعل موجود ،والمعنى أن الذي كبر عند الله هو النفاق فالآية لا تحتمل التقدير .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ٢٦٧.

(٢) محمد عبدالخالق عضيمة – دراسات لأسلوب القرآن الكريم،ج٣،ص١٧ ،٢٣٣ .

(٣) الفراء – معاني القرآن، ج٣،ص ١٥٣ .

كما يذكر ابن هشام رأي الفراء و الكسائي في باب المواضع التي يعود الضمير فيها على متأخر لفظاً ورتبة فيقول في : نعم رجلاً عمرو ، وساء مثلاً القوم "فيقول: وعن الفراء و الكسائي أن المخصوص هو الفاعل وأنه قد يحذف نحو " بئس للظالمين بدلاً "[١] .

وفي رأيي أن كل الجمل السابقة فيها عدولٌ عن الأصل بالرتبة ، وأنه لا ضمير في الجمل السابقة يعود على متأخر لفظاً ورتبة . وأن الفاعل في ساء مثلاً القوم هو المخصوص بالذم (القوم،وفي كبر مقتاً ،هو المصدر المؤول . أما في نعم و بئس فهو محذوف يفسره المذكور بعده . لأن المفسرَّ و المفسرٌ لا يجتمعان .

أما اعتراض ابن هشام على فاعلية زيد في " نعم رجلاً كان زيدٌ " فهو صحيح لأن زيداً ليس الفاعل وإنما هو المبتدأ المؤخر (او اسم كان) وماقبله الخبر المتقدم بالصدارة . وقد حذف المفسَّر في قوله تعالى "بئس للظالمين بدلاً "والتقدير بئس البدلُ بدلاً للظالمين .

◆ كمـــا قال تعالى : (ولولا إذ سَمِعتُموه قُلتُم ما يكونُ لنا أن نتكلمَ بهذا)(النور ١٦) " فإن قلت : فأي فائدة في تقـــدم الظروف حتى أوقع فصلاً ؟ قلت الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكـــلم بـــه فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم " [٢] فالكلام مبني على حديث الإفك ، وسماعه أقرب إليه من القول . وقد تقدم العام على الخاص بالرتبة من أجل الغرض المعنوي .

◆ كما قال تعالى:(واعلموا أن فيكم رسولَ اللهِ)(الحجرات ٧) قدم خبر إن على اسمها " فإن قلت ما فائدة التقديم ؟ قلـــت : القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهـــم فوجـــب تقديمه لانصباب الغرض إليه " [٣] فالخطاب للمؤمنين ولذلك قدّمهم وقد تقدم العام على الخاص بالمنزلة خروجاً عن الأصل من أجل الغرض المعنوي .

◆ كمـــا قال تعالى :(أغيرَ اللهِ أتخذُ وليا)(الانعام ١٤) " أولى"غير الله " همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو " أتخذ " لأن الإنكـــار في اتخـــاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي فكان أولى بالتقديم [٤]" ونحوه (أفغير الله تأمروني أعبد أيها

---

(١) ابن هشام – المغني ، ص ٤٨٩ .

(٢) الزمخشري – الكشاف ج٢، ص ١٧٣،ج٤ ، ٢٧٦.

(٣) المصدر نفسه ،ج٤ ، ص ٢٨٧ ، ج٥، ص ٥٩٨.

(٤) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٧ ، ٣٢٩.

الجاهلون) (الزمر ٦٤) وقد تقدم المفعول بالرتبة خروجاً عن الأصل من أجل الهدف المعنوي . " وقد حصل بالتقديم معنى قولك : أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليا ؟ وأيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك ؟ ولا يكون شيء من ذلك مع التقديم " [١] .

◆ كما قال تعالى:(وما أدراكَ ما العقبةُ * فكُ رقبةٍ * أو إطعامٌ في يومٍ ذي مسغبةٍ *يتيماً .....) (البلد ١٢-١٦) والأصـــل تأخير الجار والمجرور وتقديم المفعول بالمنزلة ولكن عُدل عن الأصل للغرض المعنوي وقد تم تقديم العام٢ على العـــام ١ . لأن إطعام الطعام يوم المجاعة يختلف عن إطعامه يوم الرفاهية ، وتقديم شبه الجملة أشعر بمدى كرم المنفق ، وأنه ينفق المال وهو بحاجة إليه ، وهذا المعنى لا نصل إليه مع تأخير شبه الجملة ، وبذلك نقل لنا التقديم شحنة عاطفية مؤثرة نفتقدها مع التأخير .

ومعنى المعنى هذا يتناسب مع اقتحام العقبة ، وقد تقدم فك الرقبة بالمنزلة ثم تلاه إطعام اليتيم في يوم ذي مسغبة ، ولو لم يكن الإطعام في يوم ذي مسغبة لما تناسب مع اقتحام العقبة ولا مع فك الرقبة .

◆ ومن العدول عن الأصل للهدف المعنوي قوله تعالى :(وهذا كتابٌ أنزلناهُ مباركٌ فاتَّبعوه)(الأنعام ٩٢-١٥٥)"كان الوصف بالإنزال آكد من الوصف بالبركة ، فقدم لأن الكلام مع من ينكر رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وكان الوصف بالفعل المسند إلى نون العظمة أولى من الوصف بالاسم ، لما يدل الإسناد إلى الله تعالى من التعظيم و التشريف "[٢] .

◆ ومن العدول عن الأصل قوله تعالى :(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم)(البقرة٨٩)قدم الوصف بشبه الجملة على الوصف بالمفرد لأن الوصف بكينونته من عند الله آكد "، والأصل تقديم الوصف بالمفرد على الوصف بالظرف "[٣] .

◆ كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى) (يوسف ١٠٩) والأصل أن يتقدم الوصف " من أهل القرى " لأنه أدل على المتبوع من الجملة ، ولكن عُدِل عن الأصل وتقدم العام على الخاص " لـــمّا كـــان وصف الرجال بنزول الوحي أهم من كونهم من أهل القرى ، فقدم الوصف الأهم ليكون ألصق بالرجال وأدل

---

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١٢١-١٢٢.

(٢) محمد عبد الخالق عضيمة - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، ج٣ ، ص ٥١٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥١٩ .

عليهم " [١]،فالكلام مبني على إرسال الرسل والوحي ، ولذلك تمت إعادة توزيع الرتبة من أجل الهدف المعنوي ، ولترتب المباني بالمنزلة من الأهم إلى غير الأهم . وتقديم العام يتناسب مع المبني عليه .

♦ وقال تعالى :(وجعلوا لله شركاء الجن)(الأنعام ١٠٠) " ليس بخافٍ أن لتقديم الشركاء حسناً وروعةً ومأخذاً من القلوب ، أنت لا تجد شيئاً منه إن أنت أخرت فقلت وجعلوا الجن شركاء لله ، وأنك ترى حالك حال مَنْ نُقِلَ عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر ، إلى الشيء الغُفْل الذي لا تحلى منه بكثير طائل ، ولا تصير النفسُ به إلى حاصل والسبب في أنْ كان ذلك كذلك ، هو أن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً لا سبيل إليه مع التأخير . بيانُه ، أنا وإن كنا نرى جملةَ المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى ، وكان هذا المعنى يحصُل مع التأخير ، حصوله مع التقديم ، فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيره وإذا أُخِّر فقيل " جعلوا الجن شركاء لله " لم يُفِدْ ذلك و لم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى ، فأما إنكار أن يُعبد مع الله غيره وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير " الشركاء "دليل عليه فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدّم الشركاء ، واعتَبِرهُ ، فإنه ينبهك لكثير من الأمور ويدلك على عِظَمِ شأن النظم ، وتعلم به كيف يكون الإيجازُ به وما صورته ؟ وكيف يزاد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ ، إذ قد ترى أن ليس إلاّ تقديم وتأخير وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى (وهو ما يسمى معنى المعنى) ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك، واحتجتَ إلى أن تستأنف له كلاماً نحو أن تقول : وجعلوا الجن شركاء لله ، وما ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم " ثم لا يكون له إذا عُقِلَ من كلامين ، مِنَ الشرف والفخامة ومن كرم الموقع في النفس ما تجده له الآن ، وقد عقل من هذا الكلام الواحد " [٢].

فالأصل تقدم المفعول الأول " الجن " ثم الثاني " شركاء " ثم شبه الجملة " لله " بالمنزلة من الخاص إلى العام ، ولكن تقدم " لله " بالرتبة والفضل تلاه شركاء بالمنزلة ثم المفعول الأول " وذلك لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله ، لا إلى مطلق الجعل ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصول التبويخ المقصود " [٣] ولذلك كان لا بد من إعادة توزيع الرتبة

---

(١) تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ص ١٠٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١٨٦-٢٨٨.

(٣) الزركشي - البرهان في علوم القرآن ، ج٣، ص ٢٣٦.

وتقـــدم العام٣ على العام٢ على العام١ من أجل الغرض المعنوي . كما جاءت تكملة الآية " وخلقهم " فناسب ذلك تأخير الجن للاتصال مع ما بعدها ، وهو خلق الله لها ، فقد حصل التبويخ من تقديم العام ٣وتأخير العام ١ .

◆ " وإذا قـــرأنا (أغـــيرَ اللـــه أبغيكُم إلهاً وهو فضَّلكُم على العالمين)(الأعراف ١٤٠) عرفنا أن تقديم المفعول ــ (وهذا على أحد الوجوه الإعرابية) : وإلها : تمييز ، والوجه الآخر : أنّ، إلها مفعول أبغيكم وغير الله صفة له قدمت عليه فصارت حالاً .[١] – إنما جاء للتنبيه على أن الفطرة السليمة لا ترى الألوهية إلاّ لله وأن من شأن الطبع السليم أن يقـــر بالنعمة للمنعم فإذا كان الله فضلهم على العالمين فأولى بهم ألا يشركوا به أو يعدلوا به غيره " [٢] وقد تقدم العام على الخاص من أجل الغرض المعنوي .

◆ وقـــال تعالى : (أفغيرَ دينِ اللهِ يبغون)(آل عمران ٨٣) " وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل " [٣] .

فهـــناك اســـتنكار أن يكون غير الله مستحقاً للعبادة . ولذلك تقدم العام على الخاص من أجل الغرض المعنوي وتقديم المفعول (المضاف)أدى إلى تقديم المضاف إليه بسبب التلازم .

◆ ومـــن العـــــدول عن الأصـــل بالرتبـــة للغرض المعنوي قوله تعالى : (ولا تَقتُـــلوا أولادَكُم خشية إملاق نحن نـــرزُقُهُم وإياكُم) (الاسراء ٣١) والأصل تقدم ضمير المخاطب ثم الغائب من الأخص إلى غير الأخص ، بالرتبة كما في قولـــه تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم)وسبب ذلك أنّ قوله تعالى في سورة الأنعام " نحن نرزقكم وإياهم " فلأن قبله ولا تقتلوا أولادكم من إملاق " أي من أجل إملاق وانقطاع مال وزاد وهذا نهي عن قتـــلهم مـــع فقـــرهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مؤونة غيرهم ، فكأنه قال الذي يدعوكم إليه من حالكم في أنفسكم ثم في غيركم لا يجب أن تشفقوا منه فإني أرزقكم وإياهم " [٤] .

فالفقر هنا حال واقع بهم وهم فقراء ، " وأما في آية الإسراء فإنه قال فيها " خشية إملاق " والإملاق غير واقع بهـــم وهـــم أغنياء فكأنه قال خوف الفقر على الأولاد، وكان عقيب هذا إزالة الخوف عنهم ، ثم عن القاتلين أي لا

---

(١) العكبري – التبيان في إعراب القرآن ، ج١،ص ٤٥٩.

(٢) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٣) الزمخشري – الكشاف ج١،ص٥٧٥.

(٤)الخطيب الإسكافي – درة التنزيل ، ص ٧٤ وكذلك عبد العظيم المطعني – خصائص التعبير القرآني ، ج٢ ، ص ١٨٣.

تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر فالله يرزقهم وإياكم ، فقدم في كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه وأخر ما اقتضى الموضع تأخيره " [١] .

وعـــلى هذا فالمجيء على الأصل كان بالرتبة حيث اتصلت المباني بعضها مع بعض ، و تمت إعادة توزيع الرتبة للألفاظ من أجل اتصال المباني بعضها مع بعض فصارت تترتب بالرتبة في الأصل وفي العدول عن الأصل" لأن التقدير في سورة الأنعام ، من إملاق بكم نحن نرزقكم وإياهم : والتقدير في " الإسراء " خشية إملاق يقع بهم نحن نرزقهم وإيـــاكم"[٢] فـــتقدم الضمير بالرتبة في الحالتين لأن اختلاف المعنى يؤدي إلى اختلاف الرتبة ، والمبني عليه في الآيتين مختلف حيث كان المبني عليه في الآية التي جاءت على الأصل هو الإملاق الواقع والفقر موجود ،بينما بنيت الثانية على الإمـــلاق القادم وهم أغنياء ، ولذلك اختلف ترتيب المباني وقد تم العدول عن الأصل من أجل الهدف المعنوي وهو تبديد خوفهم على أولادهم .

♦ كما قال تعالى:(ووصى بها إبراهيمُ بنيهِ ويعقوبُ يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ اصطفى لَكُم الدينَ ،فلا تموتُنَّ إلاّ وأنتم مُسلِمون) (البقرة ١٣٢) فقدم الجار والمجرور (بها) على الفاعل إبراهيم للدلالة على عظم الوصية وأنها أعظم من الموصّي وأنها لا يختلف أمرها سواء كان الموصي إبراهيم أم غيره " [٣] فتقديم الجار والمجرور كان بالمنزلة عدولاً عن الأصل من أجل الغرض المعنوي حيث تقدم البعيد على القريب .

♦ كما قال الله تعالى : (وإذا حضَرَ القسمَةَ أولو القُربى واليتامى والمساكينَ فارزُقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً) (النساء ٨)والمقصود بالقسمة قسمة أموال المواريث فقدم القسمة (المفعول) على الفاعل لأنها هي الأهم وهي المقصودة بالكلام و لم يكن الحضور إلا بسببها ، والسياق إنما هو في الأموال والتصرف فيها فناسب تقدم المفعول به على الفاعل هنا " [٤] .

فالأصـــل أن يتقدم الفاعل على المفعول تقدم الخاص على العام ، ولكن عدل عن الأصل وتقدم العام على الخاص من أجل الغرض المعنوي .

---

(١) الخطيب الإسكافي - درة التنزيل، ص ٧٤.

(٢) الكرماني - البرهان في متشابه القرآن،ص ١٧٨.

(٣) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٤١

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٢

◆ كمـــا قـــال تعالى : " ومـــا جَعَلَـــهُ اللهُ إلا بُشرى لَكُم ولتطمئنَ قلوبُكم به) (آل عمران ١٢٦) وقال تعالى : (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) (الأنفال ١٠) وقد جاءت الآية الأولى على الأصل من تقدم الفاعل عـــلى الجـــار والمجـــرور بالرتبة ، أما في الثانية فقد تقدم الجار والمجرور في الكلام بالرتبة " وأما تأخير "به" بعد قوله "قلوبكم" فلأنه لما أخر الجار والمجرور في الكلام الأول وهو قوله " وما جعله الله إلا بشرى لكم" وعطف الكلام الثاني علـــيه وقد وقع فيه جار ومجرور وجب تأخيرها في اختيار الكلام ليكون الثاني كالأول في تقدم ما الكلام أحوج إليه وتـــأخير ما قد يستغني عنه وأما تقدم "به" في الآية الثانية فلأن الأصل في كل خبر يُصدَّر بفعل أن يكون الفاعل بعده ثم المفعول والجار والمجرور وقد يقدم المفعول على الفاعل إذا كان اللبس واقعاً فيه وأريد إزالته عنه، وفي هذا الموضع إذ لم يعرض في اللفظ من التوفقة ما يوجب إجراء الكلام على الأصل كما كان في سورة آل عمران فإن المعتمد بتحقيقه عند المخاطبين إنما هو الإمداد بالملائكة وهو الذي أخبر الله تعالى عنه أنه لم يجعله إلا بشرى فوجب أن يقدم في الكلام الثاني وهو المضمر بعد الباء في قوله تعالى " به " على الفاعل فقال تعالى " ولتطمئن به قلوبكم " [1]ولذلك تقدم العام١ على الخاص للهدف المعنوي .

◆ "وعـــــن أنـــس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلُ بيتَ أمِّ سُلَيم فينام على فراشِها وليست فـــيه،قال : فجـــــاء ذات يـــوم فنامَ في فراشِها فَأُتِيَت فقيل لها : هذا النبيُّ صلى الله عليه وسلم نام في بيتك ، على فراشِـــك ، قال : فجاءت وقد عرقَ واستنقعَ عرقه على قطعةٍ أدمٍ على الفراش ففتحت عتيدَتَها فجعلت تنشِّف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما تصنعين يا أم سليم ؟ فقالت يا رسول الله نرجو بركـــته لصبياننا فقال : أصبتِ " ،" وفي هـــذا التركيب (ما تصنعين يا أم سليم)دليل واضـــح على أهمية المتقـــدم في التركيـــب اللغـــوي . ما تصنعين ؟ سألها النبي صلى الله عليه وسلم عما تصنـــع قبل أن يناديهـــا على الرغم من أن سيـــاق الكلام العـــادي يقتضي تقدم المنادى ثم سؤاله عما يريده المتكلم منـــه " [2] .

◆ والسؤال مـــا تصنعين مرتبط معنوياً بما قبـــله من العمل.أو تقدّم بالمنزلة على المنادى من أجل بيان شدة استغراب الرسول صلى الله عليه وسلم للعمل . والنبي صلى الله عليه وسلم يعرف ما تفعل ، ولكن أبدى تعجبه مما يحصل .

---

(١) الخطيب الإسكافي - درة التنزيل ، ص ٣٨.

(٢) عودة أبو خليل - بناء الجملة في الحديث النبوي ، ص ٦٤٩ .

" وسمة التقديم والتأخير في لغة الحديث النبوي الشريف تستطيع أن تميز بها الحديث الشريف بسهولة ووضوح مما يمكن أن يُدس فيها من الأحاديث المكذوبة، لأن واضع الحديث يستغرق جهده في تأليف عبارة يجتهد أن تكون صحيحة من اللحن غالباً على حين تتداعى الأفكار والمواقف والأحداث في ذهن المتكلم الصادق ترتب تلقائياً حسب أهميتها وارتباطها بغيرها من القضايا التي يشملها سياق الحديث " [١] .

وكل ذلك عن طريق رتبة المعنى وارتباط أو تعليق المعاني بعضها ببعض .

◆ وقال أبو ذؤيب [٢]

أمِنَ المَنونِ وريبِها تتوجعُ ؟ والدهرُ ليسَ بمعتبٍ مَنْ يجزَعُ

والأصل : أتتوجع من المنون وريبها ، ولكن تقدم العام على الخاص من أجل إبراز قوة الفاجعة التي حلت به ، وقد أدى هذا إلى رعاية التصريع في البيت ، والاستفهام هنا تقريري ، والأهمية لإقرار أن ما حل به من التوجع بسبب من المنون وريبها .

◆ وقال الشنفرى [٣]

ولي دونَكُم أهلونَ سيدٌ عَمَلَّس وأرقطُ زُهلول وَعَرْفاءُ جَيْأَلُ

والأصل : أهلون دونكم لي ، ولكن تقدم العام على الخاص لبيان عزمه على القطيعة مع بني قومه ، كما أن في تأخير المبتدأ (أهلون) اتصالاً له مع أهله من حيوانات الصحراء .

◆ وقال أيضاً :

وأطوى على الخمصِ الحوايا كما انطوت خُيوطةُ ماريٍّ تُغار وتُفتَلِ

" وتقديم الجار والمجرور أو الحال على المفعول ينشر جواً من معاناة الجوع السابق على عملية الطي " [٤] .

---

(١) عودة أبو خليل – بناء الجملة في الحديث النبوي ، ص ٦٥٠ .

(٢) السكري – شرح أشعار الهذليين ، ج١،ص٤ .

(٣) محمد أبو حمدة ، لامية العرب ، ص ٧٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٦.

◆ وقال أيضاً :

وليلةِ نحسٍ يصطلي القوسَ ربُّها وأقطعُهُ اللاتي بها يتنبَّلُ

والصدر يترتب من العام إلى الخاص ، لبيان شدة برد الليلة ولذلك وصفها بليلة النحس ، " كما أن تقدم المفعول على الفاعل ، يعكس حرارة الارتباط الشعوري بهذه القوس والتعلق بها " [١] ويعكس مدى البرد الذي لحقه مما جعله يفرط بأغلى شيء عنده وهي قوسه ونباله .

ب) الهـــدف البـــلاغـــي : –

وقد يعُدل عن الأصل من أجل الهدف البلاغي " وإنه يبدو أن التقدم والتأخير وفوائده هو أوضح ما جذب انتباه البلاغيين من الأساليب العدولية إذ جعلوا ذلك مبحثاً خاصاً من مباحث علمهم ، وربطوا بين التقدم والاهتمام بالمتقدم حتى لقد قاربوا في المعنى بين التقدم والقصر في الأكثر الأعم من الحالات " [٢] ويظهر العدول عن الأصل من أجل الغرض البلاغي في الأمثلة التالية :

◆ ومن ذلك قوله تعالى : (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ) (فاطر ٢٨) والأصل تقدم الفاعل على المفعول بالمنزلة ولكن تقدم المفعول بالرتبة من أجل الغرض البلاغي وهو الحصر وقد تقدمت إنما بالصدارة ثم تبعها الفعل بالرتبة لأنها دخـــلت لمعنى فيه وهو قصر الخشية على العلماء ، ثم تقدم لفظ الجلالة ، فصارت الآية تترتب من العام إلى الخاص ، وإعادة توزيع الرتبـــة جـــاءت من أجل الغرض البلاغي وللاتصال المعنوي من العام إلى الخاص والمباني متقدمة بالرتبة من أجل قصر خشيـــة الله على العلمـــاء،والعـــدول هنا واجب وذلك" لأنه لا يُعَرف متعلق الحصر إلاّ بتأخيره"[٣] .

◆ وقال تعالى : (إن إلينا إيابَهُم * ثم إنَّ علينا حسابَهُم) (الغاشية ٢٥-٢٦) " فإن قلت : ما معنى تقديم الظرف ؟ قلت : معناه التشديد في الوعيد وأن إيابهم ليس إلاّ إلى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجبٍ إلاّ عليه وهو الذي يحاسب على النقير و القطمير . ومعنى الوجوب : الوجوب في الحكمة " [٤] ولذلك تقدم العام على الخاص للغرض البلاغي وهو حصر الإياب والحساب على الله سبحانه وتعالى .

---

(١) محمد أبو حمده ، لامية العرب ، ص٤٦ .

(٢) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٣٨٧.

(٣) ابن مالك – شرح التسهيل ، ج ٢ ، ص٦٦.

(٤) الزمخشري – الكشاف ، ج٦، ص ٣٦٥.

◆ ومن العدول عن الأصل من العام إلى الخاص بالرتبة قوله تعالى :(إلى ربِّكَ يومَئذٍ المساقُ)(القيامة ٣٠) " فالمساق إلى الله وحده لا إلى ذاتٍ أخرى ، وهذا ليس من التقديم من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي ، بل هو لقصد الاختصاص " [١] .

والذي يبدو لي أن التقديم للمعنى أولاً وللفاصلة ثانية ، وقد تعلق الاهتمام بالعام من أجل الغرض البلاغي وهو القصر هكذا :

إلى ربك	يومئذٍ	كائن	المساق
عام٣	عام٢	عام١	خاص
مكان	زمان	خبر مقدم	(مبتدأ مؤخر)

ويبدو لي أن هذه الآية انعكاس لـــ

المساق	كائن	(هو)	يومئذ	إلى ربك
(مبني عليه)	مبني عليه	(خاص)	عام١	عام٢
خاص	(عام)			

والاهتمـــام بالعـــام جـــاء من أجل المعنى أولاً وللفاصلة ثانياً "لأن القرآن الكريم لا يراعي الفاصلة على حساب المعنى " [٢] .

◆ كماقال تعالى :(فَبِظلمٍ من الذين هادوا حَرَّمنا عليهِم طيباتٍ أُحِلَّت لَهُم)(النساء ١٦٠)

" أي لم يفعل ذلك إلا بسبب ظلمهم " [٣] والاهتمام تعلق هنا بالسبب من أجل القصر وترتيب الآية هكذا

فبظلمٍ من الذين هادوا (حرّم)	(نا)	عليهم	طيبات	أحلت لهم
عام٣	مبني عليه (خاص)	عام٢	عام١	(صفة)

---

(١) فاضل السامرائي – الجملة العربية ، ص ٥٠-٥١

(٢) فاضل السامرائي – التعبير القرآني ، ص ٢١٨

(٣) فاضل السامرائي- الجملة العربية ، ص ٤٤

ويبدو لي أن تقدم (عليهم) مناسب لتقدم (فبظلم من الذين هادوا) حيث يحدث التناغم الدلالي بين المباني نفسها . كما يلاحظ حفظ رتبة الموصوف وصفته حفاظاً على المعنى " فقد اتضح أن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك ، مما لا تعلق له بصريح اللفظ " [١].

◆ كما قال تعالى (إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعين) (الفاتحة ٥) " فإذا قرأنا (الآية السابقة) عرفنا أن ذلك إعادة ترتيب لأبواب جملة هي نعبدك ونستعينك ، وأن هذا التقدم إنما جاء ليدل على أن العبادة والاستعانة لا تكونان إلا لله وحده ، وذلك يقرب المعنى من قولنا : " لا نعبد ولا نستعين إلا إياك ، وتقريب المعنى على هذا النحو وظيفة تقدم المفعول على الفعل وفاعله المقدر " [٢] .

والآية تترتب من العام إلى الخاص ، لأن الاهتمام تعلق بالعام ، ولذلك تمت إعادة توزيع الرتبة فتقدم العام على الخاص من أجل الغرض البلاغي .

" فإن قدم المعمول على عامله أفاد القصر غالباً أو أفاد زيادة في الاهتمام " وربما كان التقدم على العامل لزيادة الاهتمام لا للاختصاص " [٣] ومدار الأمر كله على المعنى ، فقد يقصر والعاملُ متقدماً كما قال تعالى : (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)(فاطر ٢٨) وقد لا يُقصر والعامل متأخراً كقوله تعالى:(كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل)(الأنعام١٨٤)ومن الآيات الدالة على القصر كذلك قوله تعالى:(بل إياهُ تدعون فيكشف ما تدعون إليه) (الأنعام ٤١) " "بتقدم المفعول على فعله أي تخصونه بالدعاء ولا تدعون أحداً سواه بدليل قوله : (وتنسون ما تشركون)(الأنعام ٤١) "[٤] .

◆ كما قال تعالى:(يُسقَوْنَ من رحيقٍ مختوم*ختامُه مسكٌ وفي ذلك فليتنافسِ المتنافسون) (المطففين) (٢٦-٢٧) " أي ينبغي أن يختص التنافس في هذا لا فيما سواه " [٥]وكل الآيات السابقة تحمل من الانفعال والعاطفة مع العدول أكثر بكثير مما تحمله مع الأصل .

---

(١) عبد القادر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص٤٦.

(٢) تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص ٣٧٨.

(٣) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٤٤-٤٥.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٥. .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٤-٤٥.

◆ كما قال تعالى : (فأما اليتيمَ فلا تقهر)(الضحى ٩)،وقد تقدم المفعول وجوباً لأنه معمول لجواب أما ، وأما تتقدم بالصدارة وتبعها المفعول لأنه يرتبط بها معنوياً لإفادة معنى التخصيص والتفصيل ، والمباني متصلة ومترابطة من العام إلى الخاص هكذا :

أمـــــا	اليتيم	فلا	تقهر	أنت .
(متقدمة بالصدارة)	عام١			خاص .

ومثلها الآيات التي بعدها (وأما السائلَ فلا تقهر * وأما بنعمةِ ربِّك فحدِّث)وقد تم العدول للهدف البلاغي.

◆ ومن العدول عن الأصل في الحديث النبوي الشريف : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى،والقسم الثاني من الحديث الشريف يترتب من العام إلى الخاص من أجل قصر الخبر على المبتدأ".

◆ "ومن العدول عن الأصل للغرض البلاغي ،قول العرب :أنا زيداً غيرُ ضارب .والأصل أن معمول المضاف إليه لا يتقدم على المضاف،ولكن عُدل عن الأصل في غير(خاصة)حملاً لها على"لا"[1] وتقدم المفعول هنا يفيد التخصيص .

◆ " وجملة نعم القائدُ خالدٌ" جملة تحويلية اسمية ، وأصلها التوليدي كما يرى د. عمايرة هو القائد خالد ، ثم دخلت نعم عليها ، (والذي يبدو لي أن هذه الجملة فيها عدول عن الأصل من العام إلى الخاص للغرض البلاغي ، وأصلها خالد نعم القائد والذي حصل هو تقدم نعم بالصدارة ثم تبعها ما يرتبط بها معنوياً وهو (القائد) فصارت " نعم القائدُ خالدٌ " ، من العام إلى الخاص)" وقد التصقت نعم بالخبر الذي هو موضوع التعظيم ، فتبقى كلمة خالد هي المبتدأ أو المسند إليه " [2] في حين تصبح الجملة قبله خبراً ، وهذا على أحد الوجوه الإعرابية .

فعملية تقدم (الخبر) القائد حصلت بعد تقدم نعم وليس العكس . بدليل أننا لا نقول : نعم خالدٌ القائد فعندما يبدأ المتكلم بنعم تنتقل كلمة (القائد) تلقائياً لتتعلق بـــ نِعْمَ لأنها الأقرب إليها معنوياً (بالمنزلة) . وهذا تترتب المباني من العام إلى الخاص .

◆ والأصل في ترتيب نوائب الفاعل في أبواب أعطى وعلم أن يكون من الخاص إلى العام إذا أُمن اللبس ،حيث إن إقامة الأول أولى ، لأنه فاعل في المعنى . فتقول :كُسِيَ زيدٌ ثوباً ، أُعطِي زيدٌ درهماً "ويجوز عند أمن اللبس أن تقول :

---

(١) محمد عبد الخالق عضيمة – دراسات لأسلوب القرآن الكريم،ج٣ ، ص ٢٣٣

(٢) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ١١١-١١٤.

كُسِيَ الثوبُ زيداً ، وأعطِيَ الدرهمُ زيداً ، ظُنِنت بازغةٌ الشمسَ ، عُلِمَ بدرٌ قمرَ الليلة . اتُخذَ موضعُ صلاةٍ مقامَ إبراهيم ،وأعلِمَ كَبْشُك سميناً زيدا " [١]

◆ ويـــــرى د. الفهـــري أن التبئير(Focalisation) كما يسميه البعض أو الموضعة (Topicalisation) كما يقول بعض آخر ، عملية صورية يتم بمقتضاها نقل مقوله كبرى (major category) كالمركبات الاسميـــة أو الحرفـــيـــة ، أو الوصـــفية من مكان داخلي (أي داخل ج) إلى مكان خارجي (خارج ج) أي مكان البؤرة ، وذلك كما في : إياك نعبد ، الله أدعو ، في الدار وجدته ، غداً سنلتقي ، أميتاً كان ؟ ، أمّا عن زيد فحدث ولا حرج " [٢] .

والباحث يتفق مع د. الفهري في أن عملية التبئير قد ركزت الضوء على المقولة المبأرة ، ولكنه لا يتفق معه حول انتقال المقولـــة إلى خارج الجملة ، لأن المقولة المنقولة ما زالت مرتبطة مع المبني عليه (الفعل) معنوياً وأنها ما زالت داخل الجملـــة بالرغم من عملية التبئير ومما يدل على ذلك المثال الذي ذكره " أميتاً كان ؟ فقد حصل التبئير للمقولة " ميتاً " وقـــد انتقلـــت هذه المقولة لتتصل مع همزة الاستفهام بالمنزلة ، وهو خبر كان فصارت الأهمية للسؤال عن الخبر .وقد يحصل أن نجعل المقولة المبأرة خارج الجملة إذا انشغل محلها بالضمير فلم تعد مبنية على الفعل اللاحق ، وإنما مبنية على فعل سابق محذوف وجوباً قبل الفعل المذكور كأن نقول : زيـــــداً رأيتُـــــهُ .

و (زيداً) مقولة مبأرة وتابعـــة لفعل قبلها محذوف . وقد تمت عملية توزيع الرتبة في الأمثلة السابقة من أجل الغرض البلاغي (التخصيص) .

◆ و"أكـــرم خالد عليّاً هي جملة توليـــدية فعلـــية ، لا تركيز فيها على أي جزء من أجزاء المعنى ، وهدفها نقل الخبر مـــن صورتـــه الذهنية في ذهـــن المتكلّـــم إلى صـــورة (فنولوجية) منطوقة تقع على سمع السامع فيدرك المطلوب منـــها وهـــو الإخبـــار لا غير ، ولكن إذا قصـــد المتكلم نقـــل الخبر بتركيـــز على جزء من أجزائه ولإظهار عنايته واهـــتمامه به ، فإنه يقـــدم ذلك الجـــزء فيـــدرك السامع المعنى الجديـــد ، (كأن يقـــول مثلاً) عليا أكرم خالدٌ ،

---

(١) الشاطبي – المقاصد الشافية ،ج١،ص ٥٢ .

(٢) الفهري – اللسانيات واللغة العربية ، ص ١١٤.

فهـــذه الجملـــة تحويلية ،كان التحويل فيها باستخدام عنصر الترتيب للتركيز على من وقع عليه الحدث ، و " عليا " مفعول به مقدم لغرض التوكيد " [١].

" ويـــبقى ارتباط المورفيم المتقـــدم بالبؤرة هـــو ارتباطه السابق ، وتبقى حركتـــه هـــي حركته التي كانت له أول مرة ، فهي جملة تحويلية أو منتَجَه من الجملة التوليدية أكرم خالدٌ علياً (VSO) "[٢] أو بمعنى آخر " إنه يرث إعراب المفعول ولا يمكن أن يأخذ إعراباً آخر " [٣] .

◆ ومثل ذلك قـــول العرب : في بيته يُؤتى الحكم ، في أكفانه لُفَّ الميت ، والتقديم فيها من أجل الهدف البلاغي، فالحكم يُؤتى ولا يأتي ، والميت لُف في أكفانه وليس بغيرها .

◆ كما يتقدم الخبر وجوباً إذا كان محصوراً في المبتدأ بإلاّ أو إنما نحو

ما لنا إلا اتباعُ أحمدا [٤]

وشطر البيت يترتب من العام إلى الخاص ، و"ما" نافية وتتقدم بالصدارة ، والخبر يتقدم بالأهمية ، ثم تأتي " إلا " لأنها مرتبطة مع"ما"ثم يأتي المبتدأ الخاص .

وقد تمت إعادة توزيع الرتبة من أجل الغرض البلاغي وهو الحصر ، والمباني مترتبة من العام إلى الخاص والرتبـــة هنا محفوظـــة حتى لا يضيع معنى الحصر ، ولو لم يتقدم الخبر ، لما استطعنا أداء معنى الحصر ، فالعدول هنا واجب . كما يلاحظ حفظ الرتبة المحفوظة بين المضاف والمضاف إليه في الأصل والعدول ، لأن تداخلها يؤدي إلى اللبس وضياع المعنى .

---

(١) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٩٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٤

(٣) الفهري – اللسانيات واللغة العربية ، ص ١١٢.

(٤) ابن مالك – شرح التسهيل – ج١ ، ص ٣٠٢ وكذلك ابن أبي الربيع – شرح البسيط ، ج١، ص ٥٨٨.

جـ) أمن اللبس :-

وقد يعُدل عن الأصل من أجل أمن اللبس لأن " اللغة العربية – وكل لغة أخرى في الوجود تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها،لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم "[١] وقد يطرأ على الرتبة غير المحفوظة من دواعي أمن اللبس ما يدعـو إلى حفظها،كما في ضرب موسى عيسى،وأخي صديقي وقد يطرأ عليها من ذلك ما يحتم عكسها كالذي نراه من لزوم تقـدم الخبر على المبتدأ أحياناً وفي ذلك يقول ابن مالك :

وخو عندي درهمٌ ولي وطرْ ... ملتزم فيه تقدم الخبر

كـذا إذا عـاد عليه مضمرُ ... مما به عنه مبيناً يخبر [٢]

وقال أيضاً"وإن بشكل خيف لبس يجتنب"[٣]ويمكن أن يظهر العدول عن الأصل من أجل أمن اللبس في الأمثلة التالية:-

♦ ومـن العـدول عن الأصل من أجل أمن اللبس قولـه تعالى : (يؤتى الحكمة من يشاء) إذ المعـروف في أخوات أعطـى أن الآخـذ هو المفعول الأول وأن المأخـوذ هو المفعـول الثاني ، وبهذا يكون الأصل في التركيب " يؤتى من يشاء الحكمة " ولكن هـذا التركيب ملبس لصلاح الحكمة أن تكون مفعول " يشـاء " لا مفعول " يؤتي " فعكست الرتبة لأمن اللبس [٤] ولذلك تقدم العام على الخـاص بالمنزلـة، والملاحـظ أن النحـاة كانوا يلمحون قرينة الإسناد بين طرفي الجملة كما كانوا يلمحونه أيضاً بين المعاني النحوية في داخل الجملة الواحدة ، وهذا هو المعنى الذي نلاحظه في إعراب جملة مثل " يؤتي الحكمة من يشاء " حين نعرب " مَن " مفعولاً أولاً على رغم تأخرها والحكمة مفعولاً ثانياً على رغم تقدمها ويكون ذلك بإدراك ما بينهما من علاقة شبيهة بفكرة الإسناد إذا نقول إن " من " هي الآخذ " والحكمة " هي المأخوذ . والخلاصة أن مراعاة الآخذية والمأخوذية هنا هي الاعتبار الذي تم إعراب

---

(١) تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها ، ٢٣٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٩

(٤) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٢٢٨

المفعولين طبقاً له وهو اعتبار من قبيل قرينة الإسناد " [١] ومراعاة معنى الآخذية والمأخوذية ما هي إلاّ المنزلة . ومثل الآية السابقة قوله تعالى : (والله يؤتي ملكه من يشاء)(البقرة ٢٤٧) فقد تعلقت"ملكه"يؤتي عدولاً عن الأصل من أجل أمن اللبس،لأن كونها مفعولاً ليؤتي أقرب من كونها مفعولاً ليشاء .

◆ كما قال تعالى : (واجعل لي وزيراً من أهلي * هارونَ أخي)(طه ٢٩-٣٠) " وأصل التركيب واجعل هارون أخي وزيراً لي من أهلي . و لكن وضع التركيب على هذا النحو يجعل " مِن " بمعنى دون ، أي اجعله معيناً لي على أهلي وهـــو غير المعنى المقصود " [٢] كما جاء بعد قوله تعالى " هارون أخي " قوله " اشدد به أزري وأشركه في أمري " فتأخير " المفعول الأول " من أجل اتصال الوسيلة بالغاية . ولذلك تمت إعادة توزيع الرتبة وتقدم العام٣ على العام٢ على العام ١ من أجل أمن اللبس .

◆ وقال تعالى : (إن نشأ ننزل عليهِم من السماءِ آيةً فظلّت أعناقُهُم لها خاضِعين)(الشعراء ٤) . والأصل : ننزل آية من السماء عليهم " ولكن بمجيء الأصل يجعل الضمير في " لها " عائداً على السماء وليس على " آية " فَعُدِلَ عن الأصل لأمن اللبس .

◆ كما قـــال تعالى : (وكذلك جعلنا لِكُلِ نبيٍّ عدواً شياطيَن الإنسِ والجنِ يوحي بعضُهم إلى بعضٍ زخرفَ القولِ غُرورا) (الأنعام ١١٢) ،والأصل أن يتقدم المفعول الأول (شياطين الإنس) على المفعول الثاني وشبه الجملة ولكن عكست الرتبة من أجل أمن اللبس ، لأن مجيء الأصل يجعل النبي هو الذي يوحي زخرف القول وليس شياطين الإنس والجن .

◆ وقال تعالى : (ألا يـــومَ يأتيهِم ليسَ مصروفـــاً عنهـــم)(هود ٨) والآية تشتمل على مسألة من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، حول جواز تقدم خبر ليس عليها ، [٣] وفي رأيي أن يوم يأتيهم تقدم بالرتبة عدولاً عن الأصل من العـــام إلى الخاص ، من أجل أمن اللبس ، كما سبق ذكر الحديث عن تأخر يوم العذاب عن الكفار واستعجالهم له ، كما أن قوله تعالى : " ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم " متقاربان في المعنى ، ولو تأخر المعمول لانفصلت المباني عن بعضها وحصل اللبس ولعل الصواب كان في جانب الكوفيين .

---

(١) تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ص ١٩٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨

(٣) الأنباري- الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج١،ص ١٦٠ ومابعدها.

◆ ومن العدول عن الأصل أمناً للبس قوله تعالى:(ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم مُحْدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون* لاهية قلوبهم)(الأنبياء٣)."استمعوه ، وهم يلعبون ، لاهية. أحوال و الأول جملة فعلية و الثاني اسمية والثالث مفرد"[١] وهذه الأحوال تترتب من العام إلى الخاص .

وقد تم العدول عن الأصل من أجل أمن اللبس لأن مجيء الأصل يجعل الآية هكذا :ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلاّ لاهيةً قلوبهم وهم يلعبون*استمعوه .

◆ ومن العدول عن الأصل أمناً للبس "تقدم الوصف بالجملة على الوصف بالمفرد في قوله تعالى:(فسوف يأتي الله بقومٍ يحبّهُم ويحبونَه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين)(المائدة٥٤)[٢] ومجيء الأصل يُحَوِّلُ حب الله للمؤمنين إلى الكافرين،تنزه الله تعالى عن ذلك،وقد تقدم الوصف بالفعل الذي يقتضي التجدد ،وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من قال إن الوصف بالفعل لا يتقدم على الوصف بالاسم إلا في ضرورة شعر "[٣] .

◆ وقال تعالى:(قالت رسُلُهم أفي اللهِ شكٌ فاطرِ السمواتِ و الأرضِ يدعوكم ليغفرَ لكم ذنوبَكم)(ابراهيم١٠) فصل بين الخبر المقدم وصفته بالمبتدأ المؤخر ،حتى لا يطول الفاصل بين الخبر المقدم و المبتدأ المؤخر ،وبذلك تضعف الرابطة و يصبح التعبير قلقاً "[٤] "والفصل بين الصفة و الموصوف بالمبتدأ جائز [٥] كما أن في عملية الفصل اتصالاً للصفة بتكملة الآية " يدعوكم ليغفر لكم ذنوبكم ".

وقد تم الفصل بين المتلازمين في كثير من الآيات ، وتم تقديم الفاصل بالمنزلة على الرغم من الفصل بين المتلازمين (الصفة و الموصوف)" [٦] .

ومن العدول عن الأصل أمنا للبس " تقديم التمييز على المفضل عليه (وهو) فصيح أيضاً كقوله تعالى:(ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله)(فصلت ٣٣) وقد استخرج عضيمة الكثير من الآيات التي تقدم فيها التمييز على المفضل

---

(١) محمد عبد الخالق عضيمة – دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، ج٣ ، ص ٩٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٦٦.

(٣) المصدر نفسه ،ص ٥١٧.

(٤) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ١٧٩، ٣٩١ .

(٥) محمد عبد الخالق عضيمة – دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،ج٣ ، ص ٤٦٧ .

(٦) محمد عبد الخالق عضيمة – دراسات لأسلوب القرآن الكريم،ج٣،ص ٤٦٦-٥٢٧، ٥٢٦، ٤٦٧ .

عليه ومن ذلك قوله تعالى:"وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك"(محمد ١٣) وقوله تعالى:(أولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بعد "(الحديد ١٠) وقوله تعالى"لأنتم أشدَّ رهبةً في صدورِهم من الله)(الحشر ١٣) [١] .

ففي آية فُصِّلت تقدم التمييز على المفضل عليه أمنا للبس لأنّ تأخيره إما أن يفصل بين المعطوف و المعطوف عليه وإما أن يتأخر إلى نهاية الآية محدثاً اللبس وتكملة الآية " وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين " وتأخير التمييز يعني أنه قال بلسانه أنه من المسلمين قولاً وليس عملاً ، بينما المعنى مع التقديم أن قول الذي يدعو إلى الله ويعمل صالحاً وأسلم وجهه إلى الله أحسن من قول غيره .

وفي (آية الحديد) يقول تعالى :(أولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بعد و قاتلوا وكلاً وعدَ اللهُ الحسنى) فتأخير التمييز يحول بين المتعاطفين ويثير اللبس فكأنهم أنفقوا درجة أو قاتلوا درجة ، ولا يعني أنهم أرفع درجة ومنزلة من غيرهم .

كما قال تعالى :(وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به و المسجد الحرام وإخراجُ أهلِه منهُ أكبرُ)(البقرة ٢١٧) " فقد عطف "المسجد الحرام" على " سبيل الله" إذ المعنى وصدٌّ عن سبيل الله و المسجد الحرام ، وهو رأي الزمخشري وجماعةٍ ، ورُدَّ هذا بأنه فصل بين الصلة والموصول بأجنبي و الموصول هو " صدّ " و "المسجد الحرام" من تمام صلته لأنه معطوف على صلته وهو سبيل الله ، وقد فصل بينهما بقوله "وكفر به " وهو لا يصح عندهم ولذا قدروا المعنى : وكفرٌ به وبالمسجد الحرام ، والأول أولى لأنه أوفق للمعنى إذ المسجد الحرام لا يكفر به وإنما يُصَدُّ عنه وقد صدهم عنه كفار قريش " [٢].

والذي أراه أن الصواب ما رآه فاضل السامرائي،و"المسجد الحرام معطوف على سبيل الله " ولكن تقدم الفاصل بالمنزلة كما تأخر المعطوف ليتصل مع ما بعده بسبب قوة العلاقة المعنوية . و الأصل :

وقد تقدم "وكفر به " أي كفرٌ بالله ، وتأخر المسجد الحرام ليتصل مع إخراج أهله و المعاني متناسبة بعضها مع بعض .

ولو جاءت الآية على الأصل لحصل اللبس ، إذ عندها سيكون الكفر بالمسجد الحرام .

---

(١) محمد عبد الخالق عضيمة - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،ج٣،ص٢٢٨.

(٢) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٦٨ — ٦٩ .

◆ كما قال تعالى : (كفى بالله شهيـــداً بيني وبينكم ، إنه كان بعبادهِ خبيراً بصيراً)(الإسراء ٦٩) وقال تعالى: (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السمواتِ والأرض) (العنكبوت ٥٢) وقد جاءت الآية الأولى على الأصل حيث ترتبت من الخاص إلى العـــام ، والمبـــاني متناسبة. أما في الآية الثانية فقد تقدم(العام ٢) على (العام ١) من أجل أن يتصل العام ٢ بما بعده لأنه مناسب له ، فتناسبت المباني بعضها مع بعض " وتأخير الظرف (على الأصل) ليتصل مع ما بعده وهو قوله تعالى : (إنه كان بعباده خبيراً بصيراً) [١].

◆ كما قال تعالى : (ولله على الناس حج البيتِ من استطاع إليه سبيلاً)(آل عمران ٩٧) والآية ترتب من العام إلى الخاص بالمنزلة والفضل والشرف والأصل فيها : " حج البيت على الناس لله " ، ولكن تقدم لله بالفضل والشرف وتبعه ما هو أخص منه ثم جاء المبتدأ (الخاص) وبهذا العدول تمّ اتصال المبتدأ بما بعده وهو قوله تعالى : (من استطاع إليه سبيلاً) ليرتبط حج البيت بالإنسان المستطيع ،ومن أجل أن يعود الضمير في إليه " إلى بيت الله " وليس إلى الله .

والترتيب قبل العدول :	حج البيت	على الناس	لله
	خاص	عام١	عام٢
والترتيب بعد العدول :	لله	على الناس	حج البيت
	عام٢	عام١	خاص

◆ وقال تعالى :(الحمـــدُ للهِ الذي أنـــزلَ على عبدِهِ الكتابَ و لم يجعـــلْ له عِوَجـــاً * قيماً لينذرَ بأساً شديداً من لَدُنْهُ ويبشرُ المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهـــم أجراً حسناً * ماكثـــين فيه أبـــداً * وينـــذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً)(الكهف ١-٤).

والأصل تقدم الحال " قيما " بالرتبة (المنزلة) لأن الحال المفرد أدل على صاحبه من الحال الجملة ولكن تقدم الحال الجملة بالرتبة تقدم العام على الخاص " ليتصل (الخاص) بما يفسِّر معنى قيمًا من إنذار البأس وتبشير المومنين بالأجر الحسن وإنذار من ادعوا له تعالى ولداً ، ولو تقدمت الحال الثانية "قيما" (بحسب الأصل) لبدا أن الكتاب قد أنيطت به هذه المهام لأنه لا عوج فيه عندئذٍ لا يبدو هناك علاقة بين السبب والمسبب ،لأن مجرد كونه غير ذي عوج لا يؤهله

---

(١) عبد العظيم المطعني – خصائص التعبير القرآني ، ج٢، ص ١٧٣

لهذه الوظائف ، فلا بد أن تكون له القوامة ليقوم بها أو تقوم به ، فالسبب سبب للقوامة لا للاستقامة " [١] ولذلك تمت إعادة توزيع الرتبة وتقدم العام على الخاص من أجل أمن اللبس ، وتناسبت المباني بعضها مع بعض " وليس الغرض بنظم الكلم أن توالت في النطق ، بل أن تناسقت دلالاتُها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاهُ العقل " [٢]

◆ كما قال تعالى:(يُخيَّلُ إليهِ من سحرِهم أنها تسعى) (طه ٦٦) والأصل في هذه الآية يُخيلُ أنها تسعى من سحرهم إليه وقد عُدل عن الأصل لأمن اللبس لأن مجيء الأصل يجعل"من" بمعنى الابتداء وليست بمعنى (بسبب) وأظن أن السبب هو المقصود . وقد ترتبت الآية من العام إلى الخاص عدولاً من أجل أمن اللبس ، وقد أسهم هذا في رعاية الفاصلة القرآنية ، ومن هنا فالعدول غالباً ما يكون لسبب يقتضيه المعنى . والمعنى مع العدول " يخيل إلى موسى بسبب سحرهم أنها تسعى ، والمعنى مع الأصل : يخيل (سعيها) من سحرهم إلى موسى : فالجار والمجرور إليه متعلق بـ يخيل وليس بـ تسعى وترتيب الآية كالتالي :

يُخيَّل	إليه	من سحرهم	أنها تسعى
(مبني عليه)	عام٢	عام١	خاص

◆ ومن العدول عن الأصل أمنا للبس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأي شيخاً يهادي بين ابنيه قال : ما بالُ هذا ؟ قالوا : نذرَ أن يمشي . قال : إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني ، وأمره أن يركب " [٣] والأصل : إن الله لغني عن تعذيب هذا نفسه . ولكن مجيء الأصل يجعل التعذيب واقعاً من الله تعالى على هذا الرجل ، وعندها كذلك سيكون إعراب " نفسه " توكيداً " لِـ هذا ، فعدل عن الأصل لأمن اللبس وليكون التعذيب واقعاً من الرجل على نفسه ، وسيكون إعراب نفسه مفعولاً به .

◆ وعن أبي هريرة قال : كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ، فأغلظ له ، فهمَّ به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم " إن لصاحب الحق مقالاً " وهنا تقدم خبر إنّ على اسمها لأن صاحب الحق هو موضع الاهتمام في الحديث وليس المقال ، ولذا تقدم الأهم على المهم " [٤] وقد

---

[١] تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ١٠٤

(٢) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ٤٩-٥٠

(٣) عودة أبو خليل – بناء الجملة في الحديث النبوي ، ص ٢١٦

(٤) المصدر نفسه،ص٦٥٠

ترتب الحديث بالمنزلة عدولاً عن الأصل ، من أجل أمن اللبس ، لأن تقديم الاسم النكرة يجعل ما بعده وصفاً له .

◆ كما أن " الاختيار تقديم المجرور في باب اخترت وتأخير المفعول المجرد من حرف الجر فنقول : اخترت من الرجال زيداً ، ويجوز فيه التأخير : اخترتُ زيداً من الرجال فإذا سقط الحرف لم يحسن تأخير ما كان مجروراً به في الأصل ، فيقبح أن تقول : اخترت زيداً الرجال واخترت عشرة الرجال أي من الرجال لما يوهم من كون المجرور في موضع النعت للعشرة وأنه ليس في موضع المفعول الثاني ، وأيضاً فإن الرجال (في المثال الثاني) معرفة فهو أحق بالتقديم للاهتمام به كما لزم في تقديم المجرور الذي هو خبر عن النكرة من قولك " في الدار رجل " لكون المجرور معرفة وكأنه المخبر عنه ، فإذا حذفت حرف الجر لم يكن بد من التقديم للاسم الذي كان مجروراً نحو : اخترت الرجال عشرة ، والحكمـــة في ذلك أن المعنى الداعي الذي من أجله حذف حرف الجر هو معنى غير لفظ فلم يقو على حذف حرف الجر إلا مع اتصاله وقربه منه ووجه ثانٍ وهو أن القليل الذي اختير من الكثير ، إذا كان مما يتبعض ثم ولي الفعل الذي هـــو اخترتُ ، تُوهم أنه مختار منه أيضاً ، لأن كل ما يتبعض يجوز فيه أن يُختار وأن يُختار منه فألزموه التأخير وقدموا الاسم المختار منه وكان أولى بذلك لما سبق من القول [١].

"وهـــذا يعني أن المفهوم النظري الرئيسي يكمن في أن النحويين العرب القدامى قد حلّلوا التركيب العربي ، من وجهة نظر علائقية ، وذلك لطبيعة العامل والمعمول " [٢]ومثل ذلك قوله تعالى :"واختار موسى قومه سبعين رجلاً " . والأصل " اختار موسى سبعين رجلاً من قومه " ويلاحظ فيها أيضاً حفظ الرتبة بين التمييز والمميَّز .

◆ "كما قال الشاعر [٣]:

تجوبُ له الظلماءَ عينٌ كأنها زُجاجَةُ شَربٍ غَيرُ ملأى ولا صِفْرِ

يصف جملاً ، ويريد أنه يهتدي بنور عينه في الظلماء ، ويمكنه بهـــا أن يخرقهـــا ويمضي فيهـــا، ولولاهـــا لكانت لظلماءُ كالسُّد والحاجز الذي لا يجد شيئاً يفرجُهُ به ويجعل لنفسه فيه سبيلاً . فأنت الآن تعلم أنه لولا أنه قال " تجوبُ لَهُ "فعلق له بتجوب لما صَلُحت العين لأن يُسنَدَ "تجوب"إليها ، ولكان لاتتبيّن جهة التحوز في جعل" تجوب "

---

(١) ابن القيم - بدائع الفوائد ، ج٢ ، ص (٥٧) وكذلك السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٢) مازن الوعر - نحو نظرية لسانية عربية حديثة ، ص ٤٣.

(٣) لم أعثر على صاحب هذا البيت ، وقد يكون لحاجز بن عوف ،والجرجاني لم يشر مباشرةً إليه ، وإنما قال (وكقوله) فقد تكون الهاء عائدةً إليه ، لأنه ذكره قبل ذلك ، وإن كان الجرجاني يستخدم هذه المفردة كثيراً ، والله أعلم .

فعلاً للعين كما ينبغي . وكذلك تعلم أنه لو قال مثلاً " تجوب له الظلماءَ عينُه " لم يكن له هذا الموقع ، ولاضطرب عليه معناهُ وانقطع السلك من حيث كان يُعْيِيه حينئذٍ أن يصف العين بما وصفها به الآن " [١] .

◆ وقال المتنبي : تولَوا بغتةً ، فكأن بينا تَبَيَّني ،ففاجَأني اغتيالا .

فكانَ مَسيرعيسِهِم ذميلاً وسيرُ الدمعِ إثرَهُم الهما لا .

"قوله"فكان مسير عيسهِم" معطوف على تولَوا بغتة دون ما يليه من قوله / ففاجأني / لأنا إن عطفناهُ على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى ، من حيث إنه يدخل في معنى "كأن"وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقةً ويكون متوهماً ، كما كان تَبَيُّن البين كذلك . و السبب في ذلك أن الجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة أخيراً ، وبين المعطوف عليها الأولى ، ترتبط في معناها بتلك الأولى ،كالذي ترى أن قوله "فكأن بيناً تَبيني"مرتبط بقوله "تولوا بغتةً "وذلك أن الثانية مُسبَب و الأولى السبب ، ألا ترى أن المعنى : تولوا بغتةً فتوهمتُ أن بيناً تَبيني ؟"ولا شك أن هذا التوهم كان بسبب أن كان التولي بغتةً . وإذا كان كذلك ، كانت مع الأولى كالشيء الواحد ،وكان مَنزلتها منها منزلة المفعول و الظرف وسائر ما يجيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل مما لا يمكن إفرادُه عن الجملة ،وأن يُعتَدَ كلاماً على حِدَتِه " [٢] .

إذن فالأصل أن يتصل المعطوف بالمعطوف عليه ، وأن يتقدم المعطوف على ما بعده تقدم الخاص على العام ، ولكن لأن مجيء الأصل يؤدي إلى اللبس فقد تقدم العام على الخاص،أو تقدم ما بعد المعطوف على المعطوف وبذلك تمت إعادة توزيع الرتب للجمل وتقدم العام على الخاص على الرغم من الفصل بين المتعاطفين . كما كان العطف لسبب آخر وهو معنوي ،وذلك من أجل اتصال السبب مع المسبَّب ولذلك تقدم المسبب بالأهمية ، لأن اللغة نظام في الأصل و العدول ، و النظام يعني التقارب و الانسجام و ليس الفوضى .

و العدول عن الأصل من أجل أمن اللبس عدولٌ واجب ، لأن أمن اللبس غاية كل لغة في العالم [٣] بعكس العدول عن الأصل من أجل الغرض البلاغي أو المعنوي فهو عدولٌ جائز ، وقد يكون أجمل من الأصل .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الاعجاز ، ص٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٤.

(٣) تمام حسان - اللغة العربية معناها و مبناها ، ص ٢٣٣ .

◆ وقال عبيد بن الأبرص : [١]

أقفر من أهله ملحوب　　فالقطبياتُ فالذنوبُ

وتقدم العام (من أهله) يشعر بمدى تفجعه على المحبوبة ، وفي تأخير الفاعل اتصال ببقية الآثار ، ولو تقدم الفاعل لانفصلت المباني وحصل اللبس وصارت المعطوفات معطوفة على شبه الجملة .

◆ وقال طرفة بن العبد : [٢]

لخولةَ أطلالٌ ببرقةَ ثهمدِ　　تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فالأطلال هي التي ببرقة ثهمد وليست خولة وقد جاء العدول أمنا للبس .

◆ وقال زهير بن أبي سلمى : [٣]

أمن أم أوفى دمنةٌ لم تَكلَّم　　بحومانة الدَّراج فالمتثلّم

والدمنة هي التي لا تتكلم وليست أم أوفى وهي التي بحومانة الدراج وليست أم أوفى كذلك لأنها رحلت عنها .

◆ كما قال الأعشى :

وخَرَّت لميمُ لأذقانها سجوداً　　لذي التاجِ في المعمعة [٤]

وقد تقـــدم العام ٢ (لأذقانها) على العام١ (سجوداً) وهو نائب عن المصدر و أخص من السابق ، من أجل أمـــن اللبس ، لأن تأخير لأذقانها يجعـــل السجود من أجـــل أذقانهـــا أو يجعـــل اللام بمعنى من أجل ، ولكن التقدم يجعلها بمعنى إلى أو على أذقانها ، وفيها أيضاً غرضٌ معنوي للايحاء بشدة الذل والإهانة التي لحقتهم (معنى المعنى) .

◆ وقال الشنفرى :

تنام إذا ما نام يقظى عيونها　　حثاثاً إلى مكروهه تتغلغل [٥]

والأصل : تنـــام عيونها يقظى إذا ما نام　　حثاثاً إلى مكروهـــه تتغلغل

---

(١) القرشي - جمهرة أشعار العرب ، ص ١٠٠

(٢) محمد أبو حمدة - لامية العرب ، ص ٤٦

(٣) الزوزني - شرح المعلقات السبع، ص ٦١

(٤) القرشي - جمهرة أشعار العرب ، ص ٧

(٥) محمد أبو حمدة - لامية العرب ، ص ٦٥

وجاء تقـــدم " إذا ما نام " للتنبيه على قلـــة نومـــه ، وتقـــدم الحال " يقظى " فيـــه دليل على تيقظ الجنايات الدائـــم ، كما أن في تقـــدم " إذا ما نام " أمناً للبس ، وذلك حتى لا تصبـــح حثاثا حالاً من الفعل نـــام ، وهي حـــال من الفعل تتغلغل ، كما أن تأخيرها يقلب المعنى فالصعلوك لا ينـــام سريعـــاً ، كما يتناقض مع قولـــه إذا مـــا نـــام . والعجز يترتب من العام إلى الخاص من أجل القافية .

٢) العدول عن أصل الرتبة بالضابط اللفظي : -

" وربما كان ترتب الألفاظ بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى " [١] وكما ترتبت الألفاظ بالضابط المعنوي ، فإنها كذلك تترتب بناءً على الضابط اللفظي .

ولكن تقدم الألفاظ بالسبب اللفظي قليل جداً إذا ما قورن بتقدمها بالسبب المعنوي كما أن التقدم باللفظ لا يتم على حساب المعنى ، ولكن عندما لا يكون هناك اختلافٌ في المعنى نتيجة التقديم والتأخير ، فعندها قد يلجأ المتكلم إليه من أجل الفائدة والتأثير والمتعة .

ومن بين الأسباب اللفظية التي تترتب الألفاظ بموجبها الخفة والثقل ، والصدارة ، وتناسب الفواصل ، والانسجام الموسيقي ، والمجانسة اللفظية .... إلخ .

١-الخفة و الثقل :-

والخفة والثقل تابعة من الصوت ، " وهما من العلل التي يعتمد عليهما النظام النحوي العربي " [٢] في تفسير الخروج عن الأصل ، " فالعرب يفرون من الثقل إلى الخفة " [٣] .

فالخفة مطلب أساسي في العملية الاتصالية بشكل عام ، على أن لا يعني هذا أنهم لا يبدأون كلامهم باللفظ الثقيل ، بل على العكس فهم يفضلون النطق بالثقيل والانتهاء بالخفيف ، وهو نجد ذاته يسبب الخفة في النهاية ، فالعربي يقدم الأثقل على الأخف من أجل الخفة " والقاعدة التي تحكم ما يسنده النحاة إلى الخفة من تأثير هي أن المراد من اللفظ الدلالة على المعنى فإذا ظهر المعنى بقرينة حالية أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق .[٤]

فإذا كان المعنى بالتقدم لا يختلف عنه بالتأخير ، قدمنا وأخرنا حتى لو كان في ذلك خروج عن الأصل ، فالمهم هو المعنى مع تقليل الجهد المبذول في عملية الاتصال حيث " يحاول المتكلم أن يقلل من التعقيد البنيوي السطحي

---

(١) السهيلي - نتائج الفكر ، ص ٢٦٧

(٢) تمام حسان - الأصول ، ص ٢٠٤

(٣) لطيفة النجار - دور البنية الصرفية ، ص١١٢

(٤) السيوطي- الأشباه و النظائر، ج١،ص ٥٧٢ ، وانظر علي أبو المكارم - أصول التفكير النحوي ،ص ١٧٦

للمنطوق ، بينما يحاول رفع مقدار المعلومات التي يوصلها إلى المستمع للحد الأقصى ، فالاتصال بفعالية أمر يشغل بال المتكلم على نحو واضح ، بينما لا يرهق نفسه من دون ضرورة في العملية فالجهد المطلوب يُفترض أن يبذل وفقاً لمبدأ الحدين الأدنى والأقصى " minimax principle " [١] .

كلام ⟵ معنى

(حد أدنى) (جهد أقل) (حد أقصى)

ويمكن أن أمثـــل لذلك بتقديم همزة الاستفهام على حرف العطف ، مع أن أخواتها تتأخر عن حرف العطف ، وقد علل النحاةُ ذلك بأصالتها في التصدير [٢] ولكن الذي يبدو لي أن تقديمها أخف من تأخيرها وذلك كقوله تعالى : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)(الغاشية ١٧) وقوله: (أثم إذا ما وقع آمنتم به)(يونس٥١) .

٢-الصدارة :-

أما الصدارة فهي كذلك من العلل التي تستخدم لتفسير التغير الحاصل في سلوك الظاهرة النحوية ،والذي يبدو لي أن الصدارة نابعة من الجمود،والجامد يتقدم على المشتق لأنه أثقل منه،ولذلك يبدأ العربي دائماً كلامه بالأثقل وينتهي بالأخف ومعنى أن للكلمـــة صدر الكلام " أنها تقع في صدر الجملة فلا يتقدم عليها ركن من أركانها ولا هو من تمامها ، مثال ذلك : كيف جاء أخوك ، ولا يشترط أن تقع في أول الكلام ولكن لا بد أن تقع في أول الجملة سواء كانت أول الكلام أو وسطه مثال ذلك :" لمحمد أخوه خير منه"فوقعت لام الابتداء هنا في صدر الكلام ، ونقول : لمحمد لأخوه خير منه فوقعت في صدر جملة الخبر " [٣] .

وصدارة الكلمة نابعة من تغييرها وتأثيرها في معنى الكلام الذي تدخل عليه ومن هنا فلا يدخل على ما له حكم الصدارة إلا حرف الجر لتنزله مما دخل عليه منزلة الجزء من الاسم [٤] أو المضاف "وإنما وجب تصدير متضمن معنى الإنشاء لأنه مؤثر في الكلام مخرجٌ له من الخبريه وكل ما أثر في معنى الجملة الاسمية في العرض و التمني و التشبيه و نحو

---

(١) اللغة والاقتصاد ، فلوريان كولماس ، ترجمة د .أحمد عوض ،مجلة عالم المعرفة،٣٦٢،المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٠م، ص (٢٩٠).

(٢) ابن هشام - المغني ، ج١ ، ص ١٦ .

(٣) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٧٠.

(٤) السيوطي -الأشباه والنظائر ، ج١، ص ٢٢٣ وما بعدها وكذلك الرضى-شرح الكافية ، ج ١ ، ص ٢٦٠وكذلك ج٣،ص ١٥٧.

ذلك فحقه صدر تلك الجملة خوفاً من أن يحمل السامع تلك الجمله على معناها قبل التغيير ، فإذا جاء المغير في آخرها تشوش خاطره لأنه يجوز رجوع معناها إلى ما قبله من الجملة مؤثراً فيها ويجوز بقاء الجملة على حالها فيترقب جملة أخرى يؤثر ذلك المؤثر فيها [١] .

◆ فمن العـــدول عن الأصل بالصـــدارة ، تقدم الخبر إذا كان من الألفاظ التي لها حق الصـــدارة في الكلام نحو (أين زيد) أو إذا كان مضافاً إلى ما له صـــدر الكلام مثل : " صبيحة أي يـــوم سفرُك ؟ "[٢] فهذه الجمل تترتب من العام إلى الخاص : زيدٌ أين أين زيدٌ

خاص عام عام خاص

و(سفرُكَ صبيحةَ أيِّ يـــوم) (خاص عام) ⟵ صبيحةَ أيِّ يومٍ سَفَرُك ؟ (عام ⟵ خاص) ومثل ذلك تقدم المفعـــول في قوله تعالى : (فأي آيـــات الله تنكرون) فقد تقدم المفعول بالصدارة وتقديمه أدى إلى تقـــديم المضاف إليه لأنه مرتـــبط به معنويـــاً ، وأصلهـــا : تنكـــرون أي آيات الله والآية تترتب من العام إلى الخاص لإفادة كثـــرة آيات الله الدالة التي يصعب على ذي عقـــل حَكيم أن ينكره .

---

(١) الرضي - شرح الكافية ،ج١ ، ص ٢٦٠ وكذلك ج٣،ص ١٥٧ وكذلك شرح المفصل ،ج٧،ص١١٣ - ١١٤ . ج٨،ص ١٥٥ .

(٢) ابن هشام - أوضح المسالك، ج١،ص ٢١٥ .

٥-المجانسة اللفظية :-

وقد يعدل عن الأصل من أجل المشاكلة أو ا لمجانسة اللفظية بحيث يتجاور المنصوب مع المنصوب مثلاً .

◆ ومن العـــدول عن الأصل من أجل المجانسة اللفظية قولهم " ضربتُ زيداً وعمراً كلمتُه" " فإذا عطفت جملة على جملـــة فكانت الجمـــلة الأولى فيهـــا الاسم مبني على الفعل ، كان الأحسن في الجملة الثانية أن تشاكل الأولى (كالمثال السابق) والتقـــدير ضربتُ زيداً وكلمت عمراً " فأضمرت فعلاً يفسره " كلمتُه " وكذلك إن اتصل الفعلُ بشيء من سبب الأول ، تقول : لقيت زيداً وعمراً ضربتُ أباهُ كأنك قلت : لقيتُ زيداً وأهنتُ عمراً وضربتُ أباهُ ، فتضمر ما يليق بما ظهر ، فإن كان في الكلام الأول المعطوفِ عليه جملتان متداخلتان كنت بالخيار ، وذلك نحو قولك : زيد ضربته وعمرٌ كلمته ، إن عطفت على الجملة الأولى التي هي الابتداء والخبر رفعت ، وإن عطفت على الثانية التي هي فعل وفاعل وذلك قولك ضربتُه ، نصبت " [١].

" وأرى أن النبر في الجملة الأولى يقع على العنصر المفعول المتأخر :

×

رأيتُ زيـــــداً

يُقابله نبر واقع على العنصر المفعول المتقدم في الجملة الثانية :

×

و عمراً كلمته

وينسحب ذلك على صور الاشتغال حيث يعمل الفعل الأول في اسم ظاهر ويعمل الثاني في ضمير (ه) عملاً مباشراً أو غير مباشر ويربط الضمير إحالياً الاسم المتقدم (البؤرة) [٢].

---

(١) ابن السراج - الأصول ، ج٢،ص ٢٥٣

(٢) سعيد بحيري - عناصر النظرية النحوية ، ص ٢٠٧

المبحث الثاني

العدول عن الأصل

دراسة تطبيقية : (أمثلة وشواهد تطبيقية)

١- العدول عن أصل الرتبة بالضابط المعنوي:-

أ-الهدف المعنوي : -

♦ قال تعالى : (خشعاً أبصـــارُهُم يخرجون)(القمر ٧) " وتقدم الحـــال على العامل فيه وعلى صاحب الحال لبيان هيئة الأبصار وذلها وخشوعها ولو كان الحـــال متأخراً لعدمنا ذلك التصوير الفني لهيئة الأبصار ، ومناسبة خشوع الأبصار كناية عن الذِّلة التي غالباً ما تظهر في العيون أكثر منها في بقية الجوارح ، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما "[١] .

وقد تمت إعادة توزيع الرتبة وتقدم العام على الخاص من أجل الهدف المعنوي .

♦ كما قال تعالى:(إنما حرَّم عليكُم الميتـــةَ والدمَ ولحمَ الخنزيرِ وما أُهِلَّ به لغيرِ الله)(البقرة ١٧٣) وقال تعالى :(وما أهل لغير الله به " (المائدة ٣) ، (الأنعام ١٤٥) (النحل ١١٤-١١٥) ، وفي الأولى جاء تقديم الجار والمجرور على الأصل ، بينما تأخر الجار والمجرور " به " في الثانية على خلاف الأصل وذلك لأن الخطاب في الآية الأولى للمؤمنين أهل المدينة وهم ليسوا عباد أصنام حتى يسارع إلى نفي الشرك وإبطال الأصنـــام ، فهـــو يهـــدف إلى تحريم ما حرّم أولاً ثم الثبات على ما هم عليه من الإيمان ثانياً ، وما قدم فيه " لغير الله " فهـــو خطـــاب لأهل مكة مسارعة إلى نفي الشرك ، فهو يهدف إلى نفي الشرك أولاً ثم تحريم ما حرم ثانياً " [٢] فتقدم العام على الخاص بالرتبة من أجل الغرض المعنوي .

♦ كما قال تعالى : (و لم يَكُنْ لَهُ كفواً أحد) (الإخلاص ٤) وهذه الآية تترتب من العام إلى الخاص وسبب ذلك " أن هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك

---

(١) حميد العامري - التقديم و التأخير في القرآن الكريم ،ص ١٢٧

(٢) عبد العظيم المطعني - خصائص التعبير القرآني ، ج٢، ص ١٦٣

أهم شيء وأحقه بالتقديم وأحراه " [١] كما تقدم قبل هذه الآية " قوله تعالى :(قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد و لم يولد)فتقدم ذكره سبحانه في الآية التي بعدها وهو قوله :(و لم يكن له كفواً أحد) من أجل اتصال المعنى مع المعنى السابق ، وتقديم " له " بالرتبة والفضل ، وتقدم كفواً بالرتبة لأنها الأقرب إلى ذكر الله ، والمعاني تترتب بحسب قوة العلاقة المعنوية من أجل الهدف المعنوي .

◆ كما قال تعالى :(لقد وُعِدْنا هذا نحنُ وآباؤُنا من قبلُ)(النحل ٦٨) وقال تعالى:(لقد وُعِدْنا نحنُ وآباؤُنا هذا) (المؤمنون ٨٣) والثانية جاءت على الأصل ، والأولى جاءت على خلاف الأصل ، حيث قدم المفعول على التوكيد بالرتبة وكان الأصل تقدم التوكيد بالرتبة ، وسبب ذلك " أن التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر وأن الكلام إنما سيق من أجله ، ففي سورة النحل دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي سورة المؤمنين دل على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد " [٢] .

وقد تقدم العام على الخاص في سورة النحل من أجل الهدف المعنوي .

◆ كما قال تعالى :(وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة)(الأعراف ١٧١) بتقديم الجبل على الظرف (فوقهم) ، جرياً على الأصل ، في حين قال " ورفعنا فوقهم الطور " (النساء ١٥٤) وقال " ورفعنا فوقكم الطور " (البقرة ٦٣) بتقديم الظرف على الطور (المفعول به) في الآيتين ذلك أن تقديم الظرف (فوق) على الطور (المفعول به) في البقرة والنساء ، يدل على أن الاهتمام بالظرف أكثر من الطور وأن تقديم الجبل على الظرف في الأعراف يدل على أن الاهتمام بالجبل أكثر من الظرف ، (والاهتمام بهذا أو ذاك) يتضح مما يلي :

أنه ذكر في الأعراف حال الجبل وشأنه فقد قال عنه (كأنه ظلة) وقال (وظنوا أنه واقع بهم) و لم يذكر شيئاً من ذلك عن الطور في آيتي البقرة والنساء مما يدل (على أن) الاهتمام بالجبل في البقرة والنساء دون الأعراف فاقتضى تقديمه . كما أن الكلام بعد آيتي البقرة والنساء يستمر على بني إسرائيل ، في حين أن الكلام ينقطع في سورة الأعراف عند هذه الآية ويستمر الكلام دون ذكر لبني إسرائيل فلما كان الكلام والسياق على بني إسرائيل في آيتي البقرة والنساء ، ناسب تقديم الظرف المتصل بهم (فوقهم) ولما لم يكن الأمر كذلك في الأعراف لم يكن داعٍ لتقديمهم .

---

[١] الزمخشري – الكشاف – ج٦، ص ٤٦١

[٢] المصدر نفسه – ج٤،ص ٤٦٩

ثم من ناحية أخرى نلاحظ استعمال الفعل (نتق) مع الجبل ، و (رفع) مع الطور وهو مما له أثره في التقديم أيضاً فإن النتق أشد وأقوى من الرفع ، ذلك أن معنى النتق هو الجذب والزعزعة والاقتلاع ومعناه أيضاً هو أن يَقلع الشيء فيرفعه من مكانه ليرمي به ، هذا هو الأصل في حين أن الرفع ضد الوضع ، فأنت ترى أن في نتق الجبل من الغرابة والقوة والإخافة والتهديد ما ليس في رفع الطور ،كما أن لفظة كل من (الجبل) و (الطور) لها شأنها في هذا التقدم والتأخير ، ذلك أن الجبل اسم لما طال وعظم من أوتاد الأرض ، ولا يشترط في الطور ذلك فالجبل أعظم من الطور ، ولذلك يجيء في مقام الشدة والهول وبيان المقدرة العظيمة اسم الجبل . فكان رفع الجبل أعظم من رفع الطور فكيف إذا كان نتقاً ، فاستوجب ذلك تقديم الجبل وتأخير الطور ، فأنت ترى أن السياق واختيار الكلمات كل أولئك تعاضدت في التقدم والتأخير فلا يحسن أن تضع كلمة مكان كلمة في الآيتين [1]

إذن فالأهمية أو المنزلة وراء تقديم هذا وتأخير ذاك ، وبذلك يتقدم البعيد على القريب بالمنزلة عدولاً عن الأصل . والمباني ترتبت بحسب قوة العلاقة المعنوية عدولاً من أجل الغرض المعنوي .

◆ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب)والأصل أن يتقدم المفعول ثم الجار والمجرور (من كل ضيق) ثم "له " وهي بمعنى المفعول لأجله . ولكن تقدم العام (له) بالرتبة وتقدم من كل ضيق، لأنها أخص منه وتأخر المفعول ، ومثلها " من كل هم فرجاً " هكذا :

الأصل	جعل	الله	مخرجاً	من كل ضيق	له
	(مبني عليه)	خاص	عام١	عام٢	عام٣
العدول	جعل	الله	له	من كل ضيق	مخرجاً
	(مبني عليه)	(خاص)	عام٣	عام٢	عام١

وتقديم العام " له " يعني : جعل له وليس لغيره ، فالتركيز هنا على المستغفر ، ثم قدم من كل ضيق ، لبيان أثر الاستغفار في إخراج المستغفر من كل ضيق ثم جاء المفعول لأنه غير مهم هنا والأهمية لما قبله .

---

[1] فاضل السامرائي – الجملة العربية ، ص ٣٩ وكذلك من ٤١-٤٣ ، وانظر معاني النحو ، ج٢،ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٩٢

◆ ومن الخروج عن الأصل بالرتبة للهدف المعنوي قولهم " قاما أخواك ، قاموا إخوتك ، قُمنَ نسوتُكُ ، (وعن العدول فيها يقـــول ابن هشام) : قيل على التقديم والتأخير ، وقيل : الألف والواو والنون أحرف كالتاء في قامت هند وهو المختـــار " [١] .

ولعلّهـــا على التقـــديم والتأخير من العام إلى الخاص ، ومن الأدلة على ذلك بقاء الضمائر في الأفعال المتقدمة ، فهي مقدمة على نية التأخير ، كما يبدو لي أن هناك فرقاً بين هذه الضمائر وحرف التاء ، فحرف التاء مع الفعل الذي قبله لا يشكل لنا خبراً إذا قلنا : " هندٌ قامت " مثلاً ولا بُدَّ من تقدير فاعل للفعل ليتشكل الخبر ، بينما الأفعال الأخرى (قاما ، قاموا ، قمن) يمكن أن تشكل الخبر مع الضمائر التي بعدها حيث يمكننا القول : أخواك قاما مثلاً : ولا نقوم بتقدير فاعلٍ لهذه الأفعال .

◆ ومثل ذلك : أكلوني البراغيث : " وهي عند سيبويه حرف دال على الجماعة كما أن التاء في قالت حرف دال على التأنيث، وقيل هي اسم مرفوع على الفاعلية،ثم قيل إنَّ ما بعدها بدل منها ، وقيل مبتدأ والجملة خبر مقدم " [٢] .

والرأي الأول تمت مناقشته ، أما قولهم إنها اسم مرفوع على الفاعلية ، فهذا صحيح إذا اعتبر فيها عدولٌ عن الأصل ، أما إذا اعتبرت أصلاً فلا يجوز أن يجتمع للفعل فاعلان ، وأما اعتبارها مبدلاً منها وما بعدها بدلاً ، فلا بد أن يعود هذا الضمير على متقدم ، وليس له هنا مرجع ، والذي يبدو لي أن الرأي الأخير هو الصواب ، فهذه وأمثالها جمل تقدم فيها العام على الخاص بالأهمية . فالأهمية هنا للخبر وليس للمبتدأ من أجل الغرض المعنوي .

◆ وقال أبو نواس : [٣]

قامت بإبريقها والليل معتكر　　فلاح من وجهها في البيت لأواء

والعجز يترتب من العام إلى الخاص هكذا :

فلاح	من وجهها	في البيت	لأواءُ
مبني عليه	عام٢	عام١	خاص

وقد تمت إعادة توزيع الرتبة من أجل الغرض المعنوي .

---

(١) ابن هشام - المغني ، ص ٤٩٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥

(٣) ديوان أبي نواس ،ج١ ، ص٢٢.

وتقدم العام ٢ مناسب لذكر المرأة التي أضاء وجهها ليل البيت والقصد هو التركيز على جمال المرأة .

◆ وقال عدي بن زيـــد : [١]

وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجرٌ إذا حضرت أيدي الرجال بمشهد

وأصل الصدر : زاجر عن الظلم في كثرة الأيدي ، وترتيبه من الخاص إلى العام ولكن تمت إعادة توزيع الرتبة لبيان أهمية كثرة العدد في منع وقوع الظلم .

◆ كما قال أحمد شوقي : [٢]

نحنُ اليواقيتُ خاضَ النارَ جوهرُنا و لم يَهُنْ بِيَدِ التَّشتيتِ غالينا

تقدم المفعول العام١(النار) على الخاص (جوهرنا)لبيان شدة صلابتهم .

---

(١) القرشي – جمهرة اشعار العرب ، ص ١٠٠

(٢) ديوان أحمد شوقي ،ج٢،ص٣١٨

ب) الغرض البلاغي : –

◆ وقال تعالى :(لتكونوا شهداء على الناس ويكونُ الرسولُ عليكم شهيداً)(البقرة ١٤٣)

" فإن قلت لم أخرت صلة الشهادة أولاً وقدمت آخراً ؟ قلت لأن الغرض في الأولى إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم " [١] فقد تقدم العام٢ (عليكم)على ما هو أخص منه العام١ (شهيداً) من أجل الغرض البلاغي .

◆ وقال تعالى :(فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا)(الأنبياء ٩٧) " وتقديمه الخبر أفاد اختصاص أبصار الذين كفروا بالشخوص " [٢] وقد تمت إعادة توزيع الرتبة فتقدم العام على الخاص بالأهمية للغرض البلاغي ، وليكون الكلام أشد تأثيراً وانفعالاً .

◆ وقال تعالى :(ثم في سلسلةٍ ذَرْعُهـا سبعونَ ذراعاً فاسلُكوه)(الحاقة ٣٢) " وهـذا التقديم يـدل على الاختصاص "[٣] وقال تعالى قبلهـا " ثم الجحيم صلوه " وقد تقدم العام على الخاص من أجل الغرض البلاغي والتركيز على العذاب لتخويف الكفار .

◆ ومن العدول عن الأصل للهدف البلاغي قوله تعالى :(إن هدى اللهِ هو الهدى)(البقرة ١٢٠) .وسبب تقديم المضاف إلى المعرفة على المعرَّف بأل "أن اليهود والنصارى يرفضون أن يكون هدى غير ما هم عليه منكرون لما سواه فجاءت الآية مفندة دعواهم " قل إن هدى الله هو الهدى " أي لا هداكم ولا هدى غيركم ، ففي الأسلوب قصر قلب وهدى الله هو الهدى كله ليس وراءه هدى ، وكذلك في (الأنعام ٧١) فالأصحاب يدّعون أن لهم هدى فسلك القرآن هنا مسلكه في البقرة [٤] .

فهو إذن رد من الله على من يدعى أن هناك هدى غير هدى الله " ولعلّ السبب في ذلك أن الآيتين في الأديان ، فالآية الأولى في اليهودية والنصرانية والثانية في الشرك ، فناسب الرد بتقديم هدى الله وهو الإسلام هنا فكأنه قال لهم : إن هـدى الله أي الإسلام هـو الهدى الكامل الصحيح التام لهدايتكم ، فناسب تقديمه وحصر الهداية عليه ، يعني أن

---

(١) الزمخشري - الكشاف – ج١، ص ٣٣٩

(٢) الزركشي - البرهان ، ج٣، ص ٢٧٦

(٣) الزمخشري - الكشاف ،ج٦،ص٢٠١

(٤) عبد العظيم المطعني - خصائص التعبير القرآني ، ج٢، ص ١٥٤

هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى الحق ، والذي يصح أن يُسمّى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون إلى اتّباعه ما هو بهدى إنما هو هوى " [١] .

فالأصل أن يتقدم المعرف بأل لأنه أعرف ولكن عدل عن الأصل للغرض البلاغي وتقدم العام على الخاص بالأهمية .

◆ كما قال تعالى :(ذلك حشرٌ علينا يسيرٌ)(ق ٤٤) " وتقدم الظرف يدل على الاختصاص ، يعني لا يتيسَّر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن " [٢] وقد تقدم العام على الخاص بالأهمية على الرغم من الفصل بين الصفة و الموصوف والأصل "ذلك حشر يسير علينا" .

وقال تعالى : (له الملك وله الحمد)(التغابن ١) وقال أيضاً (ولله غيب السموات والأرض)(هود١٢٣) " ودلالة تقدم الظرف هي الاختصاص " [٣] .

◆ كما قال تعالى : (واسجدوا لله الذي خَلَقَهُن إنْ كُنْتُم إياه تعبدون)(فصلت ٣٧) وقد تقدم الضمير في جواب الشرط للدلالة على القصر أي فاسجدوا لله إن كنتم تخصونه بالعبادة ، كما كان في تأخير الفعل والفاعل رعاية للفاصلة .

◆ ومن وجوب ترك الأصل للهدف البلاغي قولهم :"ما أعطَيْتُ درهماً إلا زيداً " و " أعطيتُ الدرهمَ صاحِبَهُ"[٤] فالأصل تقدم الآخذ على المأخوذ من الخاص إلى العام ، ولكن تمت إعادة توزيع الرتبة ، وتقدم العام على الخاص ، من أجل قصر إعطاء الدرهم على زيد وعلى صاحبه :

ما أعطيـــتُ درهمـــا إلاّ زيـــداً

(خاص) عام٢ عام١

---

(١) فاضل السامرائي - معاني النحو ، ج١ ، ص ٥١-٥٢

(٢) الزمخشري - الكشاف - ج٤ ، ص ٣١٢، ج٥، ص ٦٠٧

(٣) المصدر نفسه - ج٦، ص ١٣٠

(٤) ابن مالك - شرح التسهيل ، ج٢، ص ٨٣

◆ كما يتقدم الحال على صاحبه إذا كان محصوراً في صاحب الحال وذلك مثل : " ما جاءني راكباً إلا زيدٌ " حيث تتقدم ما بالصدارة ، ثم الفعل ثم الحال المحصور ثم صاحب الحال (الخاص) وبذلك تترتب الجملة من العام إلى الخاص من أجل تأدية معنى الحصر .

◆ ومن ذلك قولهم : " نعم الرجلُ زيدٌ " والجملة تترتب من العام إلى الخاص من أجل الغرض البلاغي ، حيث يذكر الخاص مرتين ، مرة مع العام ومرة منفرداً .

◆ " يجب تقديم الخبر إذا اقترنَ المبتدأ بفاء الجزاء ، نحو : أما عندك فالخيرُ " [١]وأصل الجملة من الخاص إلى العام : أما فالخير عندك ، ولكن تقدمت أمّا بالصدارة وتقدم الخبر بالرتبة لأنه أقرب إلى أمّا من المبتدأ معنوياً ، حيث تخصص الخبر بوجود المبتدأ فيه ، فهي (أمّا) داخلة لمعنى فيما بعدها ، وبينهما ارتباط معنوي بسبب إفادتها التخصيص والتفصيل ،والرتبة هنا محفوظة ، لأن التقديم والتأخير يؤدي إلى اختلاف المعنى .

وقد ترتبت الجملة بعد العدول من العام إلى الخاص هكذا :

أما	عندك	فالخير
متقدمة بالصدارة	(عام)	(خاص)

وقد تم العدول عن الأصل من أجل الغرض البلاغي .

◆ كما يتقـــدم معمول صيغة المبالغة عليها مثال ذلك " أما العَسَلَ فأنا شراب " والترتيب هنا من العام إلى الخاص ، حيث تتقدم أما بالصدارة ، ويتقدم المعمول (معمول الخبر) بالرتبة (الأهميـــة) بسبب ارتباطه بأما في المعنى ، وهي داخلة لمعنى فيه،وهو معنى التخصيص والتفصيل،ومن أجل ذلك تمت إعادة توزيع الرتبة،من أجل الغرض البلاغي"[٢] .

◆ وقال الشنفرى : [٣]

وأعدَم أحياناً وأغنى وإنّما ينالُ الغنى ذو البعدةِ المتبذّلُ

قدم العام١ (المفعول) على الخاص (الفاعل) من أجل قصر الغنى على المتبذل أو قصر المفعول على الفاعل .

---

(١) ابن مالك – شرح التسهيل ، ج١،ص ٣٠١

(٢) وانظر الأشياء التي تفصل بين أما و الفاء في المغني ، ص ٥٨

(٣) عبد أبو حمدة – لامية العرب ،ص٦٩ .

جـ – " أمـن اللبـس "

♦ قال تعالى :(يـوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) (الأنعام١٥٨) فقد فصـل بين الصفة والموصوف بالفاعل " والحق أن الفاعل في هذه الآية وضع في موضـعٍ لا يمكن معه تقدم أو تأخير ، مع فصل بين الصفـة (لم تكن آمنت ....) والموصـوف (نفساً) أما عـدم إمكان التقدم (بسبب) عود الضمـير على متأخر لفظـاً ورتبة . وأما التأخير مع الفصل الذي يأتي الفاعل بحسبه بعد انقضاء صفة المفعول به " نفساً " فإنه سيجعل الفاصل بين الفعل (ينفع) وفاعله (إيمانها) من الطول بحيث تضعف العلاقة الإسنادية والسياقية بين الفعل والفاعل تأمل ما يؤول إليه التركيب عندئذٍ إذ يكون على الصورة الآتية : " يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً إيمانُها " وهكذا يضعف ارتباط الفعل بفاعله ، ومن ثم يمكن القول إنه لا يمكن أن يتغير ترتيب الكلام في هذه الآية على رغم ما فيها من الفصل بين الموصوف وصفته وما أحسنه وما أوجبه " [١].

وسبب تقدم أو فصل الفاعل بين الصفة والموصوف هوأهميته بالنسبة للمبني عليه (ينفع) وبذلك يتقدم الفاعل بالمنزلة حتى لا تضعف العلاقة بين الفعل والفاعل ، وقد يؤدي تأخيره إلى الغموض .

♦ كما قال تعالى :(أَأُلقِيَ الذِّكرُ عليهِ من بيننا بل هو كذاب أشر)(القمر ٢٥) " وقد جاء الكلام على الأصل حيث تقدم نائب الفاعـل على الجـار والمجـرور ، ذلك أن السياق هو في التكذيب بالنذر ، ومدار التكذيب قائم على إنكـار إنزال الذكـر عليهم ، (على الرسل) فالمسألة أصلاً في إنكار الإيمان بالنبوة وإنكار أن الله أوحى إلى بشر ليبلغوا عنه ، ولا يختلف الإنكار باختلاف الشخص المرسل ، فإن الاختلاف ليس على الشخص وإنما على أصل المسألة .

ولكنه قال كذلك(فلولا ألقي عليه أسورةٌ من ذَهَب)(الزخرف ٥٣) فقدم الجار والمجرور (عليه) على نائب الفاعل ، وذلك لأن الكلام في (الزخرف) على موسى ، قال تعالى على لسان فرعون: (أم أنا خير منه هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين * فلولا أُلقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين)(٥٢-٥٣) الزخرف) فناسب

---

(١) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٩٤

تقدم (عليه) – أي على موسى لأن السياق في ذكره ، كما أن السياق هنا في المفاضلة بين شخصين:موسى وفرعون فناسب تقدم ما قُدِّم " [١].

إذن فالأصل تقدم نائب الفاعل على الجار والمجرور بالمنزلة ، ولكن تقدم الجار والمجرور بالأهمية لأنه سبق ذكر سيدنا موسى أو لأن السياق فيه . وبذلك يتقدم العام على الخاص للأهمية وأمناً للبس، ولو جاء الأصل لظُنَّ أن الذهب على سيدنا موسى " من ذهب عليه " .

◆ وقال تعالى:(إنَّ في ذلك لآيةَ لكم إن كنتم مؤمنين)(البقرة ٢٤٨) والأصل أن تتقدم أداة الشرط ثم فعل الشرط ثم الجواب من الخاص إلى العام ، ولكن تقدم الجواب على الأداة وفعل الشرط بالمنزلة حيث سبق الحديث عن الآية الدالة على كون طالوت ملكاً على بني إسرائيل،حيث قال تعالى:"وقال لهم نبيُّهم إنَّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينةٌ من ربِّكُم،وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة"وقد جاء العدول من أجل أمن اللبس وضعف التركيب .

◆ كما قال تعالى :(فقال الملأُ الذين كفروا من قومه ما هذا إلاّ بشر مثلكم)(المومنون ٢٤) وقال أيضاً:(وقال الملأُ من قومِهِ الذين كفروا وكذبوا بلقاءِ الآخرةِ وأترفناهُم في الحياةِ الدنيا ما هذا إلاّ بشرٌ مِثْلُكم) (المومنون ٣٣) .

" وسبب تقديم " من قومه " في الآية الثانية وتأخيره في الأولى ، أنه لما انقطعت صفة الملأ في الآية الأولى إلى المحكي من قولهم ، قرن الوصف (الذين كفروا) إلى الموصوف ثم جيء بالجار والمجرور ، فكان منتهى بيان فاعلِ قال ، ولم يكن كذلك القصد في الآية الثانية ، لأنه عُدِّدَت أفعال عُطفت على الفعل الذي هو صلة الذين فقدم الجار والمجرور لئلا يُحال بين الصفة وما عطفت عليها " [٢] .

وبذلك تترتب المباني بحسب قوة العلاقة المعنوية وقد عُدل عن الأصل من أجل أمن اللبس ، ومجيء الأصل يؤخر شبة الجملة ، وقد يُظن بأن الملأ ليس من قومه كما أن التأخير يجعل " من " بمعنى "بسبب " أي أترفناهم بسبب قومه .

---

[١] فاضل السامرائي – الجملة العربية ، ص ٣٩

(٢) الخطيب الإسكافي – درة التنزيل ، ص ١٧٥

◆ وقال تعالى :(يسبح له فيها بالغدوّ والآصال * رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله) (النور ٣٦-٣٧) " وهذه الآية تترتب من العام إلى الخاص عدولاً ، وقد سبقها قوله تعالى:(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)(النور ٣٦) وقد تقدمت المجرورات على الفاعل من أجل الاتصال المعنوي مع الآية السابقة واتصال الفاعل مع وصفه " وتقديم الفاعل مع وصفه الطويل يؤدي إلى إخلال بالنظم " [١].

ولذلك كان لا بد من إعادة توزيع الرتبة ، فتقدم "له" بالرتبة (المنزلة) والفضل والشرف ، كما تقدمت فيها بالرتبة (المنزلة) " لأن الضمير عائد على المساجد وقد تقدم ذكرها فكان تقديمها أولى على الغدو " [٢] .

وبذلك صارت الآية تترتب من العام إلى الخاص عدولاً من أجل تسلسل المعنى المترابط بالتدريج ، والحديث مبني على المساجد وعبادة الله فيها ، وقد تقدم " له " وهي بمعنى المفعول لأجله ، بالمنزلة ، فالتسبيح لا يكون إلاّ لله سبحانه وتعالى ثم المكان لأن التسبيح يكون فيها ، وقد سبق لها ذكر ، ثم جاء الزمان ثم الفاعل . وهذا ترتبت المباني بالمنزلة من العام إلى الخاص أمناً للبس .

◆ كما قال تعالى :(وكذلك زيَّن لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم)(الأنعام ١٣٧) وفي هذه الآية قراءات كثيرة [٣] والذي يبدو لي بناءً على منزلة المعنى أن قوله تعالى " وكذلك زيَّنَ لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شركاؤُهم " يترتب من العام إلى الخاص ، والأصل فيها " وكذلك زيَّن الشركاءُ قتلَ الأولادِ لكثير من المشركين ليردوهم ويلبسوا عليهم دينهم " وقد تأخر الفاعل من أجل اتصاله بما بعده " ليردوهم " أي ليردَّ الشركاءُ المشركين . من أجل أمن اللبس .

كما قال تعالى :(والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم)(النساء ٢٤) فالأصل أن معمول اسم الفعل لا يتقدم عليه [٤] ولكن تقدم المعمول بالمنزلة ، لأنه مرتبط بالتشريع السابق عليه ، والهدف من العدول هو أمن اللبس "والنفس تستريحُ إلى مذهب الكوفيين لأمرين: الأول وروده في أفصح الكلام وأكرمه كما ورد في فصيح كلام العرب ومنه قول الشاعر" وهو راجز جاهلي من بني أسيِّد بن عمرو بن تميم [٥] :

---

(١) عبدالعظيم المعطني – خصائص التعبير القرآني ، ج٢، ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٢

(٣) العكبري – التبيان في إعراب القرآن ، ج١،ص ٥٤

(٤) ابن الأنباري – الإنصاف ،ج١،ص٢٢٨

(٥) البغدادي – خزانة الأدب ،ج٦ ، ص ٢٠٤

يا أيها المائحُ دلوي دونَكا إني رأيتُ الناسَ يَحْمَدونَكا

والثاني سلامته من التأويل و التقدير الذي لا داعي له إلا تقديس القاعدة واتباع قوانينها وتمحل حجج منطقية بعيدة عن روح اللغة و الله أعلم [١]من أجل إخضاع المطلق للثابت .

◆ وقال تعالى :(ومن آياتِه يريكُم البرقَ خَوْفاً وطَمَعاً وينّزلُ من السماءِ ماءً)(الروم ٢٤) وقد أُعربت " من آياته " أعاريب مختلفة [٢] وأصحها في رأيي أنها خبر مقدم " والفعل يريكم منزل منزلة المصدر ، والمعنى ومن آياته إراءتكم البرق فالفعل وقع موقع المسند إليه " [٣] للدلالة على معنى الاستمرار ، وقد جاء تقديم الخبر للغرض المعنوي وأمنا للبس فهذه الآية والآيات التي قبلها من (٢٠-٢٦) تتحدث عن قدرة الله سبحانه وتعالى ، كما أن تأخير الخبر يضعف تماسك التركيب ويصبح " ويريكم من آياته البرق " أو " ويريكم البرق خوفاً وطمعاً من آياته " .

◆ ومن ذلك وجوب تقديم الخبر إذا كان المبتدأ نكرة " فإن قلت : فمن أين امتنع تقديم هذا المبتدأ في اللفظ فلا نقول " امرأة في الدار ودين على زيد ؟ قلت : لأن النكرة تطلب الوصف طلباً حثيثاً فيسبق الوهم إلى أن الجار والمجرور وصف لها لا خبر عنها ، إذ ليس من عادتها الإخبار عنها إلا بعد الوصف لها فيبقى الذهنُ متطلعاً إلى ورود الخبر عليه وقد سبق إلى سمعه ولكن لم يتيقن أنه الخبر بل يجوز أن يكون وصفاً فلا تحصل به الفائدة ، بل يبقى في ألم الانتظار للخبر والترقب له فإذا قدمت الجار والمجرور عليها استحال أن يكون وصفاً لأنه لا يتقدم موصوفه ، فذهب وهمه إلى أن الاسم المجرور المقدم هو الخبر والحديث عن النكرة وهو محط الفائدة [٤].

◆ كما يجب تقديم خبر كان وأخواتها إذا اشتمل مرفوع كان على ضمير ما اشتمل عليه الخبر ، نحو : شريك هندٍ كان أخوها ، ووليّها كان أبوها ويجب هنا أحد أمرين الأول : التقديم و الثاني : توسيط الخبر ، فإن سبق الفعل ماله صدر الكلام تعين الثاني نحو : هل كان شريك هندٍ أخوها ؟ [٥] .

---

(١) حصة الرشود ، الوجوب في النحو،ص ٢٦٠

(٢) محمود شرف الدين – الفعليات ، ص ١٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦

(٤) ابن القيم – بدائع الفوائد ، ج٢، ص (١٤٩) وكذلك المساعد،ج١،ص ٢٢٣ وكذلك البسيط ، ج١ ، ص ٥٨٨ .

(٥) ابن مالك – شرح التسهيل ،ج١ ،ص ٣٥٠

◆ كما يتقدم الخبر وجوباً إذا كان في تأخيره خفاءٌ للمعنى المقصود نحو :

لله درك فارساً الجملة تترتب هكذا :

لله كائنٌ درُك فارساً

عام٢ عام١ خاص عام٣

وقـــد تقـــدم الخبر من أجل اتصال المميَّز مع ا لتمييز فالمميَّز يتقدم على التمييز بالطبع والرتبة وبينهما علاقة معنوية قوية،وكان الأصل:درك لله فارساً ، ولكن تمت إعادة توزيع الرتبة من أجل أمن اللبس ، لأن المقصود هنا التعجب ، ولو تأخر الخبر لخفي المعنى المقصود ، وتأخير الخبر يجعل الفروسية لله تنزه الله عن ذلك .

◆ كما يتقـــدم المفعول على الفاعل وجوبـــاً إذا كان المفعول ضميراً متصلاً والفاعل اسماً ظاهراً نحو حياك الله ، وتقدم المفعول بالرتبة (الأهمية) لأن الفعل لا يستغني عنه ولو تأخر لانفصل وضاع المعنى ولذلك تقدم العام على الخاص " من أجل الضرورة التركيبة " [١].

◆ كما يجب تقديم الخبر إذا كان الخبر مسنداً دون أمّا إلى أن وصلتها نحو : معلوم أنك فاضلٌ [٢]حتى لا تلتبس إن المفتوحة بالمكسورة والجملة تترتب من العام إلى الخاص بالرتبة من أجل أمن اللبس .

◆ كما لا يجوز تقديم الفاعل إذا كان المفعول مفسِّرا له نحو ضَرَبَ بعضَ القوم بعضٌ [٣] لأن رتبة المفسِّر قبل المفسَّر ، وإذا جاءت الرتبة بحسب الأصل حصل اللبس .

◆ كما يجب تقديم الحال إذا أضيف صاحب الحال إلى ضمير ما لابس الحال نحو : جاء زائر هند أخوها [٤] حتى لا يتقدم الضمير على ما يعود إليه ، ومثل ذلك وجوب تقدم المفعول والخبر إذا اتصل بالفاعل وبالمبتدأ ضمير يعود على المفعول والخبر كقولنا :

استعاد الأرضَ صاحبها ، وفي الدار ساكنها ، وذلك حتى لا يعود الضمير على متأخرٍ لفظاً ورتبةً . فيحصل اللبس ، وكل الجمل الماضية تترتب من العام إلى الخاص أمنـــاً للبس .

---

(١) تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ص ٢٢٧

(٢) أبو حيان - ارتشاف الضرب ، ج٣،ص ١١٠٧

(٣) المصدر نفسه ، ج٣،ص١٤٧١

(٤) المصدر نفسه ، ج٣،ص ١٥٧٩

◆ "كما يجب تقديم الخبر إذا وقع في مثل نحو "في كل شجر نار "وفي القمر ضياء"[١] لأن الأمثال لا تُغيَّر "[٢]

والتغير يؤدي إلى اللبس .

◆ وقال أبو العتاهية : [٣]

لكلّ امرىءٍ فيما قضى اللهُ خطةٌ من الأمرِ فيها يستوي العبدُ والمولى

وصدر البيت يترتب من العام إلى الخاص ، وقد جاء تأخير المبتدأ (خطةٌ) ليتصل مع ما بعده ، وهكذا اتصلت المباني بحسب قوة العلاقة المعنوية ، من أجل أمن اللبس .

◆ وقال المتنبي : [٤]

أنا في أمةٍ تَداركها اللهُ غريبٌ كصالحٍ في ثمود

وأصل البيت أنا غريبٌ في أمة تداركها الله كصالحٍ في ثمود ، ولكن مجيء الأصل يفسد التشبيه ، ولذلك تقدم العام٢ وتأخر العام١ من أجل تشبيه غربته بغربة سيدنا صالح عليه السلام . وكل منهما غريب في أمته .

◆ وقال :[٥]

بكل أرضٍ وطئتُها أممٌ تُرعى بعبدٍ كأنها غَنَمٌ

والصدر يترتب من العام إلى الخاص عدولاً ، وأصله أمم بكل أرضٍ وطئتها ولكن مجيء الأصل يجعل الرَّعي خاصاً بالأرض وليس بالأمم أي أن الأصل سيفصل بين الموصوف وصفته، كما أن مجيء الأصل يفسد التشبيه ، وقد أدى التقديم كذلك إلى رعاية القافية والتصريع .

◆ وقال ابن الفارض : [٦]

فلي بيَن هاتيكَ الخيامِ ضنينةٌ عليَّ بِجَمْعي سمحةٌ بِتَشَتُّتي

---

(١) الميداني - مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ٧٤

(٢) محمد محي الدين عبد الحميد - عدة السالك ، ج١ ، ص ١١٢

(٣) ديوان أبو العتاهية ، ص٢٦

(٤) العرف الطيب ،ص ١٨

(٥) المصدر نفسه، ص ١٨

(٦) ديوان ابن الفارض ، ص٢١

وصدر البيت يترتب من العام إلى الخاص ، وأصله : ضنينة بين هاتيك الخيام لي ولكن مجيء الأصل يفصل المباني بعضها عن بعض ، ولذلك تأخر المبتدأ ليتصل بما بعده وإلاّ اتصلت " الخيام " مع " عليّ " وهما غريبتان .

◆ وقال المعري : [1]

يا محلّي عليك مني سلامٌ سوف أمضي ويُنجَزُ الموعودُ

وقد ترتب ما بعد المنادى من العام إلى الخاص ، وقد جاءت إعادة توزيع الرتبة من أجل اتصال " عليك " بـــ " محلي " وذلك بسبب قوة العلاقة المعنوية بينها وإلا فصلنا بين الضمير في عليك وما يعود عليه .

---

(١) أبو العلاء المعري – اللزوميات، ج١،ص٢٥٥

كما يلاحظ تبادل الفاعل ونائب الفاعل بالنسبة للفعلين (عُد،يتخلف) بين الأصل والعدول : ومثله قوله : [١]

ترى حَوْلَهُن المعتفين كأنهم　　على صَنَمٍ في الجاهلية عُكَّفُ

◆ ومن ذلك تقديم الخبر وجوباً إذا كان اسم الإشارة ظرفاً لمكان نحو :　　هنـــا　　الحرم الشريف [٢]

عام　　خاص

◆ كما يجب تقدم الحال إذا كان من ألفاظ الصدارة مثال ذلك :　كيف　　جاء　　زيد

عام　　(مبني عليه)　　خاص

ورتبة ما له الصدارة محفوظة لأنها داخلة لمعنى فيما بعدها : والتلازم قائم فيما بينهما . ولذلك لا يجوز القول كيف زيدٌ جاء ؟ مثلاً . ويجوز زيدٌ كيف جاء ؟ .

◆ كما تتقدم مِنْ ومجرورها على أفعل التفضيل إذا كان المجرور مما له الصدارة كأسماء الاستفهام مثل ممن أنت أفضل؟ من غلام أيهم أنت أفضل ؟ [٣] والأصل من الخاص إلى العام : أنت أفضل من غلام أيهم ، ولكن تقدمت أيهم بالصدارة وهذا أدى إلى تقدم ما يرتبط بها معنوياً وهو الجار والمضاف لترتب الجملة من العام إلى الخاص عدولاً عن الأصل بسبب الصدارة ،ومثل ذلك " صاحبُ كم غلامٍ أنت ؟ " [٤] وأصلها أنت صاحب كم غلام ؟

◆ كما قال أحمد شوقي : [٥]

وللحريةِ الحمراءِ بابٌ　　بكلِّ يدٍ مُضَرَّجةٍ يُدق

والأصل :　　بابٌ للحرية الحمراء　　يدق بكل يدٍ مضرجة

ولكن تقدم الخبر أمناً للبس حتى لا يظن أنه صفه للنكرة ، كما تأخرت الصفة "يدق" عن موصوفها "باب" من أجل القافية .

---

(١) القرشي – جمهرة أشعار العرب ، ص ١٦٥

(٢) محمد محيي الدين عبد الحميد – عدة السالك ، ج١، ص ٢١٢ وكذلك ارتشاف الضرب ،ج٣،ص ١١٠٧

(٣) أبو حيان – ارتشاف الضرف ،ص ١١٠٧

(٤)المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١١٠٨

(٥) ديوان أحمد شوقي ، ج٢ ، ص ٣٧٩

" معنى ذلك أن التقديم ، وهو أسلوب عدولي عن أصل الرتبة ، ومؤشر أسلوبي ، إنما يكون لغايات تتصل بالمعنى ، وذلك شأن الأسلوب العدولي مع كل القرائن ، ومما يتصل بالعدول عن الرتبة لأغراض أسلوبية أيضاً : اللف والنشر المشوش، عكس الترتيب الزمني أو المنطقي ، وتشويش رتبة الأشباه " [١].

وبعد فالذي يبدو لي أن المباني تترتب بالرتبة (المنزلة) في الأصل وفي العدول عن الأصل .

---

[١] تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٣٧٩

الفصل الثالث

دور الرتبة في الظاهرة النحوية

١- في الإعراب

٢- في النظم

٣- في المعنى

المبحث الأول

دور الرتبة في الإعراب

المقصود بالنحو : – أورد التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة نصاً لأبي سعيد السيرافي يقول فيه :

" معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك ، وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النعت ، فإنه لا يخلو من أن يكون سائغاً في الاستعمال النادر والتأويل البعيد ، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم " (١).

وكلام السيرافي يشير إلى أن معاني النحو تنتج من تغير مواقع الكلمات داخل التركيب ، ومن وضع الحروف في الأماكن المخصصة لها ومن تغيّر العلامة الإعرابية ." والنحو في رأيه يبحث في الحركات والسكنات والحروف وتأليف الكلام ، فمهمته لا تقتصر على ضبط الأواخر من أجل العوامل " (٢).

والنحو أو النظم كما يعرفه الشريف الجرجاني " تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل " (٣) " وقد يحصل تقديم أو تأخير في مُورفيمات الجملة (التوليدية الفعلية أو الاسمية) فتتحول الجملة إلى جملة تحويلية ويبقى ارتباط هذه المورفيمات تقدمت أو تأخرت بالبؤرة هو ارتباطها السابق " (٤) ولكن قد يتحول إعرابها بين التوليد والتحويل .

فالنحو يبحث في العلاقة بين المبنى والمعنى ، وكيفية تأدية المباني للمعاني ، فلكل مبنى معناه الخاص به ، ولكل معنى مبناه الخاص ، وتغير المبنى يؤدي إلى تغير المعنى ، والعكس صحيح ، حيث إن صياغة النظم تدلنا على صورة المعنى والمعنى يدلنا على الصياغة المناسبة له .

---

(١) التوحيدي – الإمتاع والمؤانسة ،ج١،ص١٢١

(٢) ممدوح الرمالي – العربية والوظائف النحوية ، ص ١٨

(٣) الشريف الجرجاني – التعريفات ، ص ٣١١

(٤) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ١٠١

المقصود بالإعراب :

الإعراب لغة : يُقال : أعْرَب عن لسانه ، وعَرَّبَ : أي أبانَ وأفصَحَ ، وإنما سُمِّي الإعرابُ إعراباً لتبيينه وإيضاحه " [١] فالإعراب هو الإبانة والإفصاح والإيضاح .

الإعراب اصطلاحاً ، يعرِّف ابن جني الإعراب فيقول:" الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيدٌ أباهُ وشكر سعيداً أبوه ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر ، الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلامُ شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه " [٢] فالإعراب عند ابن جني من أجل بيان المعاني النحوية .

أما الزجّاجي فيعلل سبب دخول الإعراب في الكلام فيقول :إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة، ومفعولة ومضافة ، ومضافاً إليها ، ولم تكن في أبنيتها وصورها أدلة على هذه المعاني ، بل كانت مشتركة جُعلت حركات الإعراب فيها تبنئُ عن هذه المعاني ، فقالوا ضرب زيدٌ عمراً ، فدلّوا برفع زيد على أن الفعل له ، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به ، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ، ليتسعوا في كلامهم ، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه وتكون الحركات دالة على المعاني " [٣] ويلتقي معهما الجرجاني حيث يقول : إن الألفاظ مغلقة على معانيها ، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها " [٤]

فالحركات الإعرابية تدل على المعاني النحوية ، التي يقصدها المتكلم ، وهذه الحركات وسيلة للاتساع في الكلام" وهذان هما الغرضان من الإعراب ، الإبانة عن المعاني والسعة في التعبير " [٥] ومما يدل على كون الحركات الإعرابية مبينة عن المعاني " أن المعنى قد يتوقف عليها في بعض الحالات ومن ذلك قوله تعالى:"اتَّخذوا أحبارَهُم ورهبانَهُم أرباباً من دونِ اللهِ والمسيحَ ابنَ مريم"[٦]و"المسيح" معطوف على الرهبان وليس على لفظ الجلالة،والذي أبان عن ذلك هو حركة الفتح،والكسر يؤدي إلى إشراك"المسيح"عليه السلام في الربوبية .

---

(١)ابن منظور – لسان العرب ، مادة عرب

(٢) ابن جني – الخصائص ، ج١ ، ص٣٥

(٣) الزجاجي – الإيضاح في علل النحو ، ص

(٤) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الاعجاز ، ص ٢٨

(٥) فاضل السامرائي – معاني النحو ، ج١ ، ص ٣٢

(٦) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ١٩٨

فلكل معنى من المعاني الحركة المعبرة عنه " فالحركات الإعرابية موجودة في ا للغة العربية فونيمات أصلية فيها ، ينطق بها العربي ليفيد معنى معيناً ، ثم يغيرها ليفيد الفونيم الجديد معنى جديداً " [١] "والحركة الإعرابية شأنها شأن أي فونيم في الكلمة ،له قيمة ، وأثره في الإيضاح والإبانة عما في النفس من معنى ، فيكون تغييرها محققاً لما في نفس المتكلم من معنى (جديد) يريد الإبانة والإيضاح عنه " [٢].

وهنا صواب ، وإن لم يكن الصواب كله ، لأن المفاعيل مثلاً تتشابه حركة إعرابها، والمرفوعات كذلك فكيف تقوم الحركة بالتفريق بين المعاني ؟ وإن استطعنا الوصول إلى الإعراب عن طريق الحركة في مكان ، فقد لا نستطيع ذلك في مكان آخر . ولذلك لا يجوز إهمال الحركة ودورها في الإعراب ولا أن نجعلها كل شيء [٣] .

فنحن نقول مثلاً : كرمتَ خالاً ، فتصلح خالاً أن تكون مميزاً أو حالاً ، ومع ذلك فالحركة واحدة ، ونقول : جاء زيد صباحاً ، وضرب زيد عمراً ، وصباحاً وعمراً منصوبان .ولهذا إعراب ، ولهذا إعراب ، فالحركة واحدة ومع ذلك اختلف الإعراب ، فإذا كانت الحركة للتفريق بين المعاني ، فيجب أن يكون الإعراب في الجملتين واحداً لأنهما منصوبان . ولكن الحقيقة تقول إن هذا ظرفٌ وهذا مفعول به ولذلك فإني أرى أن الحركة هنا علم المفعولية(الإعراب العام) أي أنها فرقت بين العمدة والفضلة ثم يأتي الإعراب الخاص الذي ينبع من المعنى .

ومثل ذلك "قام زيدٌ" و "زيدٌ قامَ" .

فزيدٌ في الأولى فاعل وفي الثانية مبتدأ والحركة واحدة .

فهنا لا تصلح الحركة للتفرقة بين المعاني لأنها واحدة ، والمعاني مختلفة و لم نَقُل إنَّ الإعراب واحدٌ رغم تشابه الحركة . ولذلك فأرى أن الحركة هنا علم الإسناد العمدة (إعرابٌ عام) وليس خاصاً .

ويمكن أن أسوق المثال التالي للتدليل على قدرة المعنى على الإعراب:قال تعالى:"ثم بدا لهم من بعدِ ما رأوا الآياتِ ليسجُنُنَّه " (يوسف ٣٥) وقد اختار النحاة بحثاً عن الفاعل للفعل (بدا) والمعنى يدلنا على أن الفاعل هو الجملة وإن جاء الفاعل على صورة الجملة . فالمعنى : بدا لهم سَجنُه . فالذي بدا هو السجن فهو الفاعل للفعل بدا ولكن

---

(١) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ١٥٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٧

(٣) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ١٩٨

ســـعي النحاة خلف الشكل جعلهم يقدرون تقديرات مختلفة، والدليل على أن الجملة هي الفاعل أن هذه الآية تترتب من العام إلى الخاص هكذا :

بلا	لهم	من بعد مارأوا الآيات	ليسجُنُنَّه
(مبني عليه)	عام٢	عام١	خاص
	(بمعنى المفعول لأجله)	ظرف	فاعل

فالفعل هـــو المبني عليه،ولهم (المفعـــول لأجله)ومن بعد ما رأوا الآيات(الظرف)و(ليسجُنُنَّه)هو الفاعل(الخاص). والفـــاعل جـــاء على صورة الجملة لإفادة التحدد في السجن ، بمعنى السجن الطويل وقد جاء تأخير الفاعل من أجل اتصاله بما بعده (حتى حين) بالمنزلة ، ولو تقدم الفاعل لصارت الجملة هكذا :

ثم بدا ليسجُنُنَّه من بعدِ ما رأوا الآياتِ لهم حتى حين. وأظن أن العدول عن الأصل هنا أفضل من مجيء الأصل .

ولذلـــك فـــأرى أن الإعراب ينبغي أن ينبع من المعنى ، وقديما قيل : الإعراب فرع المعنى وبما أن الألفاظ تابعة للمعاني والإعراب فرع المعنى"فعلى المعرب أن لا يبدأ بتحليل الجملة إلا بعد أن يعرف معناها فيقوم بالإعراب في ضوء المعنى،أو يقوم بالإعراب لإبراز الجوانب الخفية من المعنى، إذ إن الإعراب وسيلة من وسائل المعنى وخادم من خدمه [١].

ومما يدل على أن الإعراب ينبع من المعنى ، أن الإعراب يتغيرّ بتغير الرتبة ، والرتبة عنصر من عناصر المعنى ، وتغيرها يؤدي إلى تغير المعنى ، ونتيجة لتغير المعنى يتغير الإعراب ، فالإعراب نابع من المعنى ، وبهذا يتحول الإعراب من الخارج إلى الداخل أو من الشكل إلى المضمون .

ولذلـــك فمن أجل إعراب الجملة ، لا بد من فهم المعنى الدلالي العام للجملة ومن ثم الكشف عن العلاقات الســـياقية المعنوية بين المبني عليه والمبني . فلو أخذنا مثلاً : زيد جالس في الغرفة ، سنفهم منها أن هناك رجلاً اسمه زيد جالس في الغرفة ، والعلاقة بين زيد وجالس ، وبين جالس وشبه الجملة ، والعلاقة بين زيد وجالس هي علاقة الإسناد فـــزيد مبـــتدأ وجالس خبره ، والعلاقة بين جالس وشبه الجملة علاقة ظرفية مكانية فيكون إعراب شبه الجملة ظرفاً ، واسم الفاعل وفاعله بينهما علاقة إسناد ، ففاعل اسم الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وهكذا فعن طريق التعليق والمنزلة يمكننا الوصول إلى الوظائفُ النحوية .

---

(١) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٢٨ ، ٨٥

هـــــذا وقـــد أشار ابن هشام في المغني – وهو بصدد حديثه عن الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها وإلى واجب المعرب حيالها ووجوب مراعاتها ، إلى دور الرتبة في الإعراب ، ووجوب مراعاتها ، ومن هذا " إيجابهم لبعض معمولات الفعل وشبهه أن يتقدم كالاستفهام والشرط ، ولبعضها أن يتأخر ، إما لذاته كالفاعل ومشبهه ، أو لضعف الفعل كمفعول التعجب ، أو لعارض معنوي أو لفظي .... الخ [١] مما يدل دلالة واضحة على أن الموقع له تأثير في بيان الوظائف النحوية وتحديدها .

ويتمثل دور الرتبة في الإعراب في الأمور التالية :

أ- تمييز الوظائف النحوية ب- التغيير والتأثير في الوظائف النحوية ويشمل :

١- تغيير المعاني النحوية ٢- تعدد الوجوه الإعرابية ٣- التعدد مع التفاضل

ج- التقدير

أ- دور الرتبة في تمييز الوظائف النحوية : –

أمـــا الدور التمييزي فتقوم به الرتبة " وخاصة المحفوظة ، حيث نستدل على المعنى النحوي من رتبة الكلمة داخل التركيب "[٢] ويظهر ذلك في المسائل التالية :-

١)" اعتبار زيد فاعلاً في " قام زيدٌ لوقوعه بعد الفعل" [٣] لأنَّ الفعل بحاجة إلى الفاعل .

٢) يجب الحكم بفاعلية المتقدم ومفعولية المتأخر عند فقدان العلامة الإعرابية ، وذلك لأن الفاعل يتقدم على المفعول بالرتبة فهو أقرب إلى الفعل من المفعول ، نحو أكرم موسى عيسى .

٣)(يجـــب الحكم بابتدائية المقدم من الاسمين في ثلاث مسائل : إحداها أن يكونا معرفتين تساوت رتبتهما نحـــو " الله ربنا " أو اختلفت نحو " زيدٌ الفاضلُ " " والفاضلُ زيدٌ " هذا هو المشهور ، وقيل : يجوز تقدير كل منهما مبتدأ وخبراً مطلقاً ،وقيل المشتق خبر وإن تقدم نحو " القائمُ زيدٌ " .

---

(١) ابن هشام – المغني – ج ٢ ، ص ٥٨٩

(٢) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٩١ وكذلك ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٠٧

(٣) المصدر نفسه – ص ٩١

والتحقيق أن المبتدأ ما كان أعرف كزيد في المثال أو كان هو المعلوم عند المخاطب كأن يقول: من القائم ؟ فتقول : زيـــد القائم، فإن علمهما وجهل النسبة فالمقدم المبتدأ .(وفي رأيي أن المتقدم هو المبتدأ بالمنزلةوالثاني متعلق به ، كما أن المعنى مختلف باختلاف الرتبة) .

الثانـــية : أن يكونـــا نكـــرتين صالحتين للابتداء بهما نحو " أفضلُ منك أفضلُ مني "(فالأول هو المبتدأ و الثاني مطلوب له) .من أجل أمن اللبس ، لأن المعنى يختلف بانعكاس الرتبة .

الثالثة : أن يكونا مختلفين تعريفاً وتنكيراً والأول هو المعرفة " كزيدٌ قائم " وأما إن كان هو النكرة فإن لم يكن له ما يســـوغ الابـــتداء به فهو خبر اتفاقاً نحو " خَزٌّ ثوبك " وذَهَبٌ خاتَمُكَ ، وإن كان له مسوغ فكذلك عند الجمهور وأما ســـيبويه فيجعله المبتدأ نحو " كم مالك " و " خيرٌ منك زيدٌ " وحسبنا الله ووجهه أن الأصل عدم التقدم والتأخير وأنهما شبيهان بمعرفتين تأخر الأخص منهما ، ويتجه عندي جواز الوجهين إعمالاً للدليلين ، ويشهد لابتدائية النكرة قوله تعالى (فإن حَسبَك الله) (الانفال ٦٢) (إنَّ أولَ بيتٍ وضُعَ للناسِ للذي ببكةَ) (آل عمران ٩٦) وقولهم " إن قريباً منك زيدٌ " وقولهم " بحسبك زيدٌ "والباء لا تدخل في الخبر في الإيجاب " [١] فالمبتدأ الأول لأنه يتقدم بالرتبة على الخبر .

٤) " ويجـــب الحكـــم بابتدائـــية الموخـــر في نحو " أبو حنيفة أبو يوسف " و " بنونا بنو أبنائنا " رعيا للمعنى ويضعف أن تقدر الأول مبتدأ بناء على أنه من التشبيه المعكوس للمبالغة ، لأن ذلك نادر الوقوع ومخالف للأصول ، اللهم إلا أن يقتضـــي المقام المبالغة ، والله أعلم " [٢] وذلك لأن المبتدأ يتقدم على الخبر بالرتبة فتقدم عليه الخبر بالرتبة خروجاً عن الأصـــل . "كما أن الإعراب فرع المعنى "[٣] والخبر متعلق بالمبتدأ " وهنا نكتة يجب القطع معها بوجوب هذا الفرق أبداً ، وهي أن المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولاً ولا كان الخبر خبراً لأنه مذكور بعد المبتدأ بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسندٌ إليه ومثبت له المعنى والخبر خبراً لأنه مُسند ومثبت به المعنى " [٤] .

٥) كمـــا يجـــب الحكم بحالية المتقدم في قوله تعالى (خشعاً أبصارهم يخرجون)(القمر ٧) و (خالاً كَرُمْتَ) وليس تمييزاً ، لأن التمييز لا يتقدم على عامله على الأصح " [٥] فالإعراب هنا نابع من الرتبة .

---

(١) ابن هشام – المغني ، ص ٤٦٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥٢ وانظر دلائل الإعجاز ص ٣٧١

(٣) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٨٥

(٤) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ١٨٩

(٥) ابن هشام – المغني – ج٢، ص ٤٦٢

٦) والاسم المشغول عنه يجب فيه الرفع إذا وقع بعده إلاّ نحو : ما زيدٌ إلا يضربه عمرو فلا يجوز في زيد وما وقع موقعه إلا النصرفع لأن ما بعد إلا لا يعمل فيما قبلها ولا يفسر عاملاً فيه ، وكذلك إذا وقع بعده معلق والمراد بالمعلق الاستفهام، والنفي بما، "ولام" الابتداء والقسم نحو:"زيدٌ هل ضربته" "وعمرو كيف وجدته" و"خالدٌ ما لمسته" و"عمرو لَمُحِبُّه بِشرٌ" والمحسنُ ليجزينَّه الله ، فلا يجوز في زيد وعمرو وخالد والمحسن وما وقع مواقعها إلا الرفع لأن ما بعد الاستفهام و"لامَيّ" الابتداء والقسم لا يعمل فيها ما قبلها ولا يفسر عاملاً فيه وكذلك ما وقع بعده حرف ناسخ للابتداء نحو:" زيد إني أضربه" و"عمرو ليتني ألقاه" وكذا الواقع بعده"كم" الخبرية نحو "زيدٌ كم لقيته" فإنها أجريت مجرى الاستفهامية وكذا الواقع بعده التحضيض نحو" زيد هلا ضربته" أو بعده العرض نحو "عمرو ألا تكرمه" أو بعده التمني نحو" العونُ على الخير ألا أجده" وكذلك إذا وقع بعد إذا المفاجأة نحو:"خرجت فإذا زيد يضربه عمرو" ولا يجوز عندي في زيد وما وقع موقعه إلاّ الرفع ، لأن العرب ألزمت إذا هذه ألاّ يليها إلا مبتدأ بعده خبر ، أو خبر بعده مبتدأ ، فمن نصب ما بعدها فقد استعمل ما لم تستعمل العرب في نثر ولا نظم [١] فسبب وجوب الرفع أن ما قبل هذه الأدوات لا يكون متعلقاً بما بعدها . أو ليس مطلوباً لما بعدها وليس مطلوباً لفعل سابق محذوف يفسره المذكور بعده .

٧) " والاسم المشغول عنه يجب فيه النصب إذا وقع الاسم بعدما يختص بالفعل كأدوات التحضيض ، نحو " هلا زيداً أكرمته " وأدوات الاستفهام غير الهمزة نحو " هل زيداً رأيته "و"متى عمراً لقيته"وأدوات الشرط نحو "حيثما زيداً لقيته فأكرمه"[٢] وسبب النصب تابع من حاجة الأفعال إلى الأسماء المتقدمة (المشغول عنها) .

٨) وتقول : إذا أرسلنا لهم قاضياً قضى بينهم بالعدل " فالجواب قضى ، فإذا جئت بالفاء كان الجزاءُ حيثما وضعتها فيه ، فإن قلت : إذا أرسلنا لهم قاضياً قضى بينهم فبالعدل ، كان الجواب " بالعدل " أي بالعدل كان حكمه أو فبالعدل فعلنا،وتقول :إذا أرسلنا لهم فقاضياً قضى بينهم بالعدل ، أي إذا أرسلنا أحداً ، فإنّا أرسلنا قاضياً ، وكان قاضياً هو الجزاء وجملة قضى بينهم نعت له " [٣]وبهذا نتعرف على الوظيفة النحوية من موقع الفاء في الجملة .

---

(١) ابن مالك – شرح التسهيل ، ج ٢، ص ٧٠

(٢) ابن هشام – أوضح المسالك ، ج ٢ ، ص١٦١

(٣) فاضل السامرائي – معاني النحو ، ج٤، ص ١٠٨ وكذلك تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٥٨

ب- التأثير في الوظائف النحوية : -

ينبع دور الرتبة التأثيري في الإعراب من تغير مواقع الكلمات داخل الجملة ، مما يؤدي إلى اختلاف العلاقات النحوية ، وبالتالي إلى تغيير وتبديل الوظائف النحوية التي تؤديها الكلمات داخل التركيب ، وتأثير الرتبة في الإعراب يشمل : -

١- **تغيير المعاني النحوية**:كتغيير الفاعل إلى مبتدأ والصفة إلى حال..إلخ،وذلك كما في المسائل التالية :-

أ- إذا قلنا زيدٌ المنطلق ، فزيد مبتدأ مرفوع والمنطلق خبره ، ولكن إذا عكسنا الرتبة وقلنا المنطلق زيد ، فالمنطلق هو المبتدأ وزيد خبره .

فالمبتدأ بحاجة إلى الخبر وبينهما علاقة معنوية ، وبناءً على رتبة المعنى فالاسم المتقدم هو المبتدأ وما يليه خبره ففي الجملة الأولى تعلّق المنطلق بزيد وفي الثانية تعلق زيدٌ بالمنطلق .

ب- ومثل ذلك:"قام زيدٌ "و"زيدٌ قام"فزيدٌ في الجملة الأولى فاعل لأنه سبق بالفعل والفعل بحاجة إلى فاعل وبينهما علاقة احتياج وعدم استغناء ، وزيد في الجملة الثانية مبتدأ بناءً على منزلة المعنى وما بعده هو الخبر لأن المبتدأ بحاجة إلى الخبر وبينهما علاقة معنوية فزيد في الأولى تعلق بـ قام.وقام في الثانية تعلق بزيد .

ج- ومن ذلك أيضاً أنه إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه عند جمهور العرب وذلك في حالة الاستثناء التام المنفي مثال ذلك : ما جاء إلاّ زيداً أحدٌ

فمن المعروف أن المستثنى في حالة الاستثناء التام المنفي يجوز نصبه وإتباعه، والنصب على الاستثناء والإتباع على البدل ، وذلك كما في : ما جاء أحدٌ إلاّ زيداً أو زيدٌ

ولكن إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه على الاستثناء وامتنع البدل وذلك بسبب منزلة المعنى لأن البدل لا يتقدم على المبدل منه فلم يبق إلا نصبه على الاستثناء وكل ذلك بسبب التعليق .

د- وقد يؤدي تغيير المواقع إلى إلغاء العمل كما في "زيدٌ قائمٌ ظننتُ" حيث تأخرت ظننتُ فصارت ملغية وكأنها غير موجودة حيث ضعفت العلاقة بين "ظننتُ" و"زيداً" كثيراً بسبب الفصل بينهما مما أدى إلى ارتفاعه لأنه لم يتعلق بظننتُ أو ليس مطلوباً لها (أو كما قال النحاة تعرّى من العوامل) فصارت زيدٌ

مبـــتدأ ، وهـــذا المبتدأ بحاجة إلى خبر مما أدى إلى ارتفاع قائم لأنه متعلق بالمبتدأ والمبتدأ بحاجة إليه فصارت الجملة :- زيدٌ قائمٌ ظننتُ

هـــذا- وقـــد تؤدي الرتبة إلى التعليق ومثال ذلك كل الأدوات التي لها الصدارة حيث تمنع عمل ما بعدها فيما قبلها وتمنع عمل ما قبلها فيما بعدها وذلك لأن هذه الألفاظ تعتبر بداية للجملة التي تقع في أولها مثال ذلك :- علمتُ لزيدٌ قائم .

حيـــث منعت لام الابتداء"علمتُ"من العمل في المبتدأ والخبر ولهذا لم يتعلق المبتدأ والخبر بـــ علمتُ ولا يجـــوز أن تقول زيـــداً كم مرة ضربت فلا بد من ارتفاعه واتصال الفعل بالضمير لأن كم تمنع عمل ما بعدهـــا فـــيما قبلها (أي لم يعد زيداً) متعلقاً بضربتُ فلا بد من انشغال الفعل بالضمير وكل ذلك بسبب صـــدارة كم ولام الابتداء،ولكن يمكن أن نقول:كم مرةً ضربت زيداً والأصل ضربت زيداً كم مرة. ولكن تقدمـــت كم بسبب الصدارة ولحقتها مرة لأنها تتقدم برتبة المعنى حيث هي تميز لكم ورتبته محفوظة بسبب العلاقة المعنوية بينهما فصارت الجملة كم مرة ضربت زيداً وفي هذه الجملة خروج عن الأصل وصارت تسير من العام إلى الخاص إلى العام .

يقول ابن هشام " للام الابتداء الصدرية ولهذا علقت العامل في " علمتُ لزيدٌ منطلق " ومنعت من النصب على الاشتغال في نحو زيدٌ لأنا أكرمه"ومن أن يتقدم عليها الخبر في نحو لزيد قائم"والمبتدأ في نحو لقائم زيدٌ " ومثل لام الابتداء لام القسم في قول "الشاعر لبيد بن ربيعة [1]:

ولقد علمتُ لتأتينَّ منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها

ومـــا النافية نحو :" لقد علمتَ ما هولاء ينطقون " (الأنبياء ٦٥) و"لا" و"إنْ" النافيتان في جواب قسم ملفوظ به أو مقدر نحو " علمت والله لا زيدٌ في الدار ولا عمرو " و " علمتُ إنْ زيدٌ لقائم " .

والاستفهام له صورتان إحداهما:أن يعترض حرف الاستفهام بين الفاعل والجملة نحو"وإن أدري أقريبٌ أم بعيدٌ ما توعدون " (الأنبياء ١٠٩) والثانيـــة : أن يكون في الجملة اسم استفهام،عمدة كان نحو " لنعلم أيّ

---

(١) البغدادي – خزانة الأدب ،ج٩ ، ص ١٦١

الحزبين أحصى"(الكهف ١٢)،أو فضلة نحو"وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون"(الشعراء ٢٢٧) [١] .

و- ومـــن تـــأثير الرتبة في الإعراب أن إذن تنصب المضارع بشرط تصديرها واستقباله واتصالها أو انفصالها بالقسم أوبلا النافية يقال:آتيك فتقول"إذن أُكرمَك"ولو قلت:أنا إذاً قلت" أُكرمُك"بالرفع لفوات التصـــدير[٢]. "لأن الفعل الذي بعدها معتمدٌ على ما قبلها ،و لم يعد مبنى الكلام عليها بل إنها بتوسطها تقع فصلاً بين كلامين أحدهما معتمد على الآخر فكأنها فصلت بين المتلازمين " [٣] .

وإذا وقعـــت إذن بعـــد الـــواو أو الفـــاء جاز فيها الوجهان نحو "(وإذن لا يلبثون خلافك إلاّ قلـــيلاً)(الإسراء٧٦)(فإذن لا يؤتون الناس نقيراً)(النساء ٥٣) وقرئ شاذا بالنصب فيهما ، والتحقيق أنه إذا قيل " إن تزرني أَزُرْكَ وإذن أحسن إليك فإن قدرت العطف على الجواب جزمت وبطل عمل إذن لوقوعها حشواً وعلى الجملتين جميعاً جاز الرفع والنصب لتقدم العاطف وقيل يتعين النصب لأن ما بعدها مستأنف أو لأن المعطـــوف على الأول أول ومثل ذلك " زيد يقوم وإذن أحسن إليه " إن عطفت على الفعلية رفعت أو على الاسمية فالمذهبان [٤] .

ز- ومـــن تـــأثير الرتبة في الإعـــــراب : " نحو كرمتَ خالاً " فإن خالاً يحتمل التمييز والمعنى كرم خـــالُك ويحتمل الحالية " أي كرمت في حال كونك خالاً ، فإن قدمت فقلت : خالاً كرمتَ وجب كونه حـــالاً والمعنى أنه كرم حال كونه خالاً " [٥] وفي رأيي أن التمييزالذي يمتنع تقديمه على المميَّز هو تمييز العدد و المقادير والصفة المشبهة وذلك لأن تمييزها مرتبط بها معنوياً أو كما يقول النحاة إن التمييز يرفع الإبهام عن اســـم ســـابق عليه ، أي أن التعليق واجبٌ بين المميِّز والمميَّز ، فلا يتقدم التفسير على المفسَّر . أما إذا كان التمييز غير ذلك فهو مبني على الفعل ورتبته غير محفوظة ومن الممكن أن يتقدم بالمنزلة عدولاً عن الأصل .[٦]

---

(١) ابن هشام - أوضح المسالك ، ج٢، ص ٦٢

(٢) ابن هشام - المغني - ج١، ص٢١

(٣) ابن السراج - الأصول في النحو ، ج٢ ، ص ١٤٨ — ١٤٩ وكذلك حصة الرشود ، الوجوب في النحو ، ص ١١١

(٤) ابن هشام - المغني - ص ٢٢ .

(٥) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٥٦

(٦) وانظر الأصول في النحو ،ج٢،ص ٢٢٢ وما بعدها ففيه آراء النحاة حول هذه المسألة .

ح- كمـــا لا يُقدم خبر المشبهات بليس على اسمها مع بقاء عملها إلا إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً فـــلا يُقـــال في : "ما محمدٌ حاضراً" "ما حاضراً محمدٌ " [١] وقد تعلق محمد باسم الفاعل فصار فاعلاً له سد مسد الخبر ويمكن أن يكون "محمدٌ "مبتدأ مؤخراً وما قبله خبراً مقدماً ، وسبب الإلغاء "أن هذه الحروف لا تعلق لها بالمفردات " [٢] أي أنها تطلب الجملة وليس المفرد .

ط- كما لا يقدم خبر لا النافية للجنس على اسمها مع بقاء عملها ، فلا يُقال في"لا ريب فيه" "لا فيه ريب " فإن قدم الخبر بطل عملها "[٣] لأن شبه الجملة في الثانية تصبح متعلقة بالمبتدأ المؤخر . " و " لا " في الأولى عاملـــة لأنهـــا تنفي جنس الريب عنه كلية وفي الثانية غير عاملة لأن القصد التفضيل له على غيره أي ليس فيه ما في غيره من الريب " [٤] وفي الجملة الأولى ارتبط الريب بالنفي وتسلط عليه وارتبطت شبه الجملة بالريـــب أمـــا في الثانـــية : تعلق شبه الجملة بالنفي وتعلق الخبر المحذوف بالمبتدأ المؤخر ،وتم إهمال لا ، " لأن"لا"تركبـــت مـــع فيها فأصبحتا كالكلمة الواحدة ،ولذلك لا يصح الفصل بينهما ، فإن فصلت بينهما وجب إهمالها وتكرارها وتخلّف التنصيص على الجنس كقوله تعالى :"لا فيها غولٌ "(الصافات٤٧) [٥] .

ي- والصفة (النكرة) إذا تقدمت صارت حالاً ،وذلك كما في الحديث الشريف :

" مـــا من الناس أحدٌ أمنُّ علينا " ، أحد :اسم ما ومن الناس : وصف لأحد في الأصل ، قدم فصارَ حالاً ، وأمنَّ : منصوب خبر ما ، ويجوز رفعه على لغة بني تميم ، ومثلها : من سنَّ خيراً فاستُنَّ به كان له أجره وفي أجـــورِ من يتّبعه غير منتقصٍ من أجورهم شيئاً " من أجورهم صفة قدمت فصارت حالاً "[٦]ورأى أن ذلك محصـــورٌ في الصـــفة النكرة . وقد تم التغيير لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف مع بقائها صفة ، لأن منزلة التابع بعد المتبوع .

ي أ - ونقول : زيداً ضربتُه وضربتُهُ زيداً

---

(١) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٥٦ .

(٢) حصة الرشود ، الوجوب في النحو ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) فاضل السامرائي ،الجملة العربية ، ص ٦٨ .

(٤) فاضل السامرائي - معاني النحو ، ج١، ص ١٥٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .

(٦) العكبري - إعراب الحديث النبوي ،ص١٧٥ .

و" زيـــداً " في الجملـــة الأولى مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده ، وذلك لأن الفعل الذي بعده انشغل بضميره ، فلم يعد " زيداً " مطلوباً له (أو متعلقاً به) بل هو مطلوب لفعل محذوفاً وجوباً يفسره ما بعده لأن المفسِّر والمفسَّر لا يجتمعان .

و " زيـــداً " في الثانـــية بدل من الضمير[١] لأنه هو المخصوص بالحكم والضمير مذكور توطئة له ، كما أن المبدل منه يتقدم على البدل بالمنزلة . وبما أن الضمير مفعول به للفعل ضرب فلم يتعلق الاسم بالفعل وإنما صارت العلاقة بين الضمير والاسم علاقة البدلية ، والمبدل منه يتقدم على البدل .

ي ب - ونقول أيضاً : أعرف كيف حدث هذا ، و : أعرف هذا كيف حدث و "كيف" في الجملة الأولى مفعـــول به وكيف في الجملة الثانية بدل [٢] وكل ذلك بسبب منزلة المعنى فأعرف فعل يطلب فاعلاً ومفعولاً في الأولى وفي الثانية أخذ فاعلاً ومفعولاً وما بعد المفعول متعلق بالمفعول .

ي ج - " وقـــد يتوســـع في الظـــرف المتصرف فيجعل مفعولاً به ، وحينئذٍ يسوغ أن يُضمرَ مستغنياً عن لفظ "في" كقولك:" يومُ الجمعة صمتُهُ " [٣] وقد تحوَّل الظرفُ إلى مبتدأ بمنزلة المعنى وضميره مفعول به .

ي د- وفرق في الإعراب بين : عبدُالله فيها قائماً و عبدُ الله قائمٌ فيها ، فالجملة الأولى مبتدأ وخبر وحال والثانية مبتدأ وخبر وظرف " وهنا ينبغي ملاحظة الحركة التبادلية بين المواقع ، فـــ " فيها " على الإعراب الأول عاملة النصب في قائم وقائم متعلق بها ، وقائم على الإعراب الثاني نصبت فيها على الظرفيه وفيها متعلق بها (بقائم) كما يلاحظ أن"فيها" على الإعراب الأول، عملت عمل الفعل لأنها نصبت الحال أما " فيها" على الإعراب الثاني فلم تعمل عمل الأفعال وهذا معنى قول سيبويه :وإن شئت ألغيت فيها، فهي الآن معمولة للخبر لا عاملة [٤] وكل ذلك عائد إلى منزلة المعنى وتدوير الرتبة بين الخاص والعام .

ي هـــ - والأصـــل في " فيها قائماً رجلٌ "، "فيها رجلٌ قائمٌ" ، وإذا كان كذلك ، فالأصل أن يجري قائمٌ نعتاً على رجل وإن كان النصبُ جائزاً ، فالنعت أقوى ، وقال سيبويه : إنما كان النصبُ بعيداً هنا من قِبَل

---

(١) ابن مالك - شرح التسهيل ، ج٢، ص ٦٨

(٢) تمام حسان - اللغة العربية ، ص ٢٠٩

(٣) ممدوح الرمالي - العربية والوظائف النحوية ، ٢٤٥

(٤) محمود شرف الدين - الفعليات ، ص ٢٩٧

أنّ هـــذا يكون من صفة الأول ، فكرهوا أن يجعلوه حالاً ، كما كرهوا أن يجعلوا الطويل والأخ حالاً حين قالوا : هذا زيدٌ الطويلُ و"هذا عمرو أخوك" فألزموا صفة النكرة النكرة ، كما ألزموا صفة المعرفة المعرفة ، وأرادوا أن يجعلـــوا حال النكرة فيما يكون من اسمها كحال المعرفـــة فيما يكـــون من اسمها " يريد بحـــال الـــنكرة وحالِ المعرفة حُكمها ، أي حملوا حكم النكرة على حكم المعرفـــة في الامتناع من نقل صفتها إلى الحـــــال . وقال ابن السراج " إنما ضَعُفَ الحال هنا ، لأن الحال خبر ، وحمل الصفة على الصفة أقرب من حملها على الخبر"فلما أرادوا أن ينصبوا"القائم"على الحال على غير ضعفٍ نقلوه إلى موضعٍ لا يجري فيه على موصوفه فقالوا : هذا قائماً رجلٌ و فيها قائماً رجلٌ ، إذ لا يصح في النعت أن يجري على منعوته وهو متقدم علـــيه ، لأن من شرط جريانه التأخيُر عن الموصوف ، ولا يختص هذا الحكم بتقديمه على صاحبه وحده، بل ينصب إذا تقدَّم صدرَ الكلام حيث يجوز ذلك، كقولك : ضاحكاً جاءني رجلٌ ، وقائماً رأيتُ رجلاً " [١] .

ي و - كما يظهر تأثير الرتبة على الإعراب في قول ابن جني : المصدر إذا وصف لا يعمل ، فلا تقول:" عجبـــت من ضربك الشديدِ عمراً " إلاّ أن تؤخر الصفة عن المعمول ألا تراك لو قلت:" عجبتُ من ضربك الشـــديدِ عمـــراً " لم يجـــز لأنك وصفت المصدر وقد بقيت منه بقية فكان ذلك فصلاً بين الموصول وصلته بصفته، وصحتها أن تقول:" عجبتُ من ضربك الشديدَ عمراً " لأنه مفعول الضرب وتنصبُ عمراً بدلاً من الشـــديد كقولك مررتُ بالظريف عمرو فإن أردت أن تصف المصدر بعد إعمالك إياه قلت :" عجبت من ضربك الشديدَ عمراً الضعيفِ ، أي عجبت من أن ضربت هذا الشديد ضرباً ضعيفاً " [٢] .

وهذا المثال يؤكد حاجة المصدر إلى الصلة بسبب العلاقة المعنوية بين الموصول وصلته،وحاجته له أشد مـــن حاجته للصفة لأن الصلة تتمم المعنى.ولكن نصب(الشديد)جعلها هي الصلة وليست الصفة و(عمراً) الـــبدل ثم جاءت بعد ذلك الصفة للمصدر وهي (الضعيف) وتقدم الصفة أدى إلى الإهمال وتأخيرها إلى الإعمـــال ويـــرى محمود شرف الدين أن تقدم المعمول تغليب لجانب الفعلية وتقدم الصفة تغليب لجانب

---

(١) الشاطبي – المقاصد الشافية، ج٢ ، ص ٣٢-٣٣

(٢) ابن جني – الخصائص ، ج٣، ص٢٥٨ وكذلك التبيان في إعراب القرآن ، ج ، ص ٢٨٦

الاسمية في المصدر "[١] . وفي رأيي أن الأصل تقدم المعمول برتبة المعنى ، وتقدم الصفة عدول عن الأصل ، لأن حاجة المصدر إلى المعمول أشد من حاجته إلى الصفة .

٢) التعدد الإعرابي : – (تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد)[٢]

وقد لا يقتصر دور الرتبة على مجرد التغير في المعاني النحوية ، وإنما قد يؤدي بالإضافة إلى ذلك إلى تعدد الوجوه الإعرابية للكلمة داخل التركيب ، وكل ذلك جائز ولا تفاضل بين الوجوه الإعرابية ، كما في المسائل التالية : –

أ– زيدٌ نعِمَ الرجل ونعمَ الرجلُ زيدٌ

و " زيدٌ " في الجملة الأولى مبتدأ لا غير ونعم الرجل خبره ، أما في الجملة الثانية فيجوز أن يكون زيدٌ مبتدأ مؤخراً وما قبله خبره ويجوز أن يكون " زيدٌ " خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو [٣] وكل هذه الأعاريب ناتجة عن مرتلة المعنى كما ترى .

ب– وإعراب : أزيدٌ قائمٌ ؟ يختلف عن إعراب : أقائم زيد ؟

فالأولى مبتدأ وخبر بمرتلة المعنى ، والثانية يجوز أن يكون فيها "قائمٌ " خبراً مقدماً (متعلقاً بزيد) وزيدٌ " مبتدأ مؤخر ، ويجوز أن تعرب قائمٌ مبتدأ وزيد فاعل سدَّ مسدّ الخبر (متعلقاً بقائم) [٤] وكل ذلك ناتج عن التعليق واختلافه .

ج– شرط المبتدأ إذا كان وصفاً أن يتقدم فلو تأخر نحو :" أخواك خارجٌ أبوهما " لم يكن من الوصف الذي يغني مرفوعه عن خبر المبتدأ ، والمرفوع بهذا الوصف مغنٍ عن الخبر ، واحترز من نحو أقائم أبوه زيد فالفاعل فيه غير مغنٍ عن الخبر فزيد مبتدأ وقائم خبر مقدم وأبوه مرفوع به وأجاز ابن مالك أن يكون قائم مبتدأ وأبوهُ مرفوع به وزيد خبر قائم وهذا المرفوع بالوصف ، كما ذكرنا مغن عن الخبر وذهب بعض النحويين إلى أن خبر هذا الوصف محذوف ، ولما قام هذا الوصف مقام الفعل لم يجز تصغيره ولا وصفه ولا

---

(١) محمود شرف الدين – الفعليات ، ص ٩١

(٢) تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٨٠

(٣) ابن هشام – المغني ،ج٢، ص ٦٠٢

(٤) السهيلي – نتائج الفكر ، ص ٤٢٥

تعـــريفه، لا نقول : القائم أخواك ولا يجوز تثنيته ولا جمعه [١] لأن الفعل لا يُعرَّف ، ولا يثنى ولا يجمع إذا تقدم على الفاعل واختلاف الإعراب نابع من المنزلة أو التعليق .

د- إذا عطفـــت على الخبر (خبر ما) بحرف لا يوجب نحو :" ما زيدٌ قائماً ولا قاعداً "جاز في قاعدٍ وجهان أحدهما نصبه عطفاً على الخبر والآخر رفعه على إضمار "هو" وإن ولي الوصف أجنبي جاز مع ليس نصـــبه فنقول : ليس زيد ذاهباً ولا مقيماً عمرو إلاّ عند أولئك القدماء بل يجب عندهم الرفع . وإذا نصبت كـــان الوصف معطوفاً على الخبر والأجنبي معطوفاً على اسم ليس وإذا رفعت الوصف فعلى وجهين: رفعه حـــين ولـــيه السببي وقد سمع الجر فيه نحو" ليس زيد بقائم ولا ذاهبٍ بكر" وذلك إذا جر خبر ليس بالباء وخرج ذلك على حذف الحرف لدلالة ما قبله عليه لا على أنه مما ناب فيه الحرف مناب عاملين فإن وليه في "ما " تعين رفعه نحو ما زيد قائماً ولا ذاهبٌ عمرو ، فإن تأخر الوصف عن الأجنبي وحرفُ العطف موجب رفعت فقلت:" ما زيد قائماً بل عمرو خارجٌ" أو غير موجب والخبر مرفوع رفعت فقلت:" ما زيدٌ قائمٌ ولا عمرو خارج"،أو منصوب ،فأجمعوا على الرفع نحو ما زيد قائماً ولا عمرو ذاهبٌ [٢] وذلك بسبب اختلاف العلاقات بين أركان الجملة ، فالنصب على العطف والرفع على أنه مطلوب للمبتدأ أو فاعلٌ لاسم الفاعل .

هـــ- وتختـــص " عسى " " واخلولـــق " و " أوشك " بجـــواز إسنـــادهن إلى " أن يفعل " مستغنى به عن الخبر ، نحو " عسى أن تكرهوا شيئاً " (البقرة ٢١٦) وينبني على هذا فرعان : أحدهما : أنه إذا تقدم على إحداهن اسم هو المسند إليه في المعنى وتأخر عنها أنْ والفعل نحو : " زيد عسى أن يقوم " جاز تقديرها خالـــية من ضمير ذلك الاسم فتكون مسندة إلى" أن والفعل" مستغنى بهما عن الخبر . وجاز تقديرها مسندة إلى الضـــمير ، وتكـــون" أن والفعل" في موضع نصب على الخبر (متعلقة بعسى) وتكون جملة (عسى) متعلقة بزيد (خبر) .

الـــثاني : أنه إذا ولي إحداهن أن والفعل وتأخر عنهما اسم هو المـــسند إليه في المعنى نحو :" عسى أن يقـــوم زيد" جاز في ذلك الفعل أن يقدر خالياً من الضمير فيكون مسنداً إلى ذلك الاسم ، وعسى مسندة إلى"أن والفعل" مستغنى بهما عن الخبر ، وأن يقدر متحملاً لضمير ذلك الاسم فيكون الاسم مرفوعاً بعسى

---

(١) أبو حيان - ارتشاف الضرب ، ج٣، ص ١٠٨١

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٢٠٤

٣- التفاضُل الإعرابي :

ولا يتوقف دور الرتبة على مجرد التغيير في المعاني النحوية أو تعددها ، بل قد يتعدى تأثيرها إلى تعدد الوجوه الإعرابية وتفاضلها فيما بينها فمن ذلك مثلاً :

أ- إذا توسط المضارع المقرون بالفاء أو بالواو بين جملتي الشرط والجزاء ، فالوجه الجزم لأنه أقرب إلى المجزوم قبله فهو معطوف على ما قبله ومرتبط به لأنه جزء من الشرط وهناك مشاكلة . ويجوز النصب مثال ذلك قول الشاعر [١] :

" ومن يقترب منا ويخضَعْ نُوِه " و " إن تعنّف أخاك فتغضبَهُ لا آكلمُك "

فالجزم على العطف والنصبُ على المعية مع الواو وعلى السببية مع الفاء أما إذا انقضت الجملتان ثم جئت بمضارع مقرون بالفاء أو الواو فلك جزمه ، ورفعه على الاستئناف ، ونصبه بأن مضمرة .

فقد قال تعالى : (من يضلل الله فلا هادي له ويذرُهم)(الأعراف ١٨٦)فقد قُرئت بالحركات الثلاث ومثله قوله تعالى:"وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفرُ لمن يشاء(البقرة٢٨٤).

ونحو : إن تكرم سالماً أكرمْك وأساعدْكَ"ومعنى الاستئناف أنك تساعده سواءٌ فعل ذلك أم لا ، ومعنى الجزم أنك تساعده إن أكرم سالماً ، ومعنى الرفع أنك تساعده على كل حال وليست مساعدتك له مرتبطة بالشرط [٢] .

"وتقول : إن تقم وتحسنُ (وأظنُّها وتحسنْ) آتِك تريد أن تجمع مع قيامك إحساناً آتك ، وكذلك : إن تقم تحسنُ (وأظنها وتُحسنَ لأنه ذكر بعدها النصب و لم يذكر الرفع) آتك ،تريد:إن تقم محسناً و لم ترد إن تقم وإن تحسن آتك ، وهذا النصبُ يسميه الكوفيون الصرف ، لأنهم صرفوه على (عن) معنى النسق إلى معنى غيره.وكذلك في الجواب : تقول : إن تقم آتك وأحسنَ إليك وإن تقم آتك فأحسنَ إليك "[٣]

---

(١) لم أعثر على قائل هذا البيت ، وانظر إميل بديع يعقوب – المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ، ج٢ ، ص ٨٢٨

(٢) ابن هشام – أوضح المسالك ، ج٢، ص ٢٦٠ وكذلك فاضل السامرائي – معاني النحو ، ج٤، ص ١١٧-١١٨

(٣) ابن السراج – الأصول في النحو ،ج٢، ص ١٨٨-١٨٩

ب- وإذا تأخرت صفة المستثنى منه على المستثنى ، فلا يترجح النصب على الاستثناء والذي يترجح هو الاتباع [١] مثال ذلك : ما فيها رجل إلا أخوك صالحٌ " لأن النصب يفصل بين الموصوف والصفة وتصبح الصفة وكأنها خارج الجملة لذلك يترجح البدل هكذا

ما	فيها	رجلٌ	إلا	أخوك	صالحٌ
		(مبدل منه)		(بدل)	
فيها		رجل		أخوك	صالحٌ
(خبر مقدم)		(مبتدأ مؤخر)	(مبدل منه)	(بدل)	(صفة)

فأخوك متعلق بـــ (رجل)

وذلـــك لأن المعـــاني تترتب بالرتبة . وهذا يؤكد " أن ما يتسم به المعنى الوظيفي للمبنى الواحد من الـــتعدد والاحتمال يجعل الناظر في النص يسعى دائماً وراء القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ليرى أي المعاني المتعددة لهذا المبنى هو المقصود ، ومن هنا نرى التفاضل بين المعربين للجملة الواحدة "[٢]

ج- وإذا عطفـــــت على المستثنى المقدم المنصوب اسماً نصبته نحو : قـــام إلاّ زيداً وعمراً القومُ ، ولا يجـــوز غير النصب(لأنه مُلبس) ، فـــإن أخـــرت المعطـــوف بعـــد المستثنى منه فالمختار النصب نحو : قام إلاّ زيـــداً القـــومُ وعمـــراً ويجـــوز أن يرفع حملاً على المعنى فتقول : قام إلاّ زيداً القومُ وعمرو لأن معنى الاستثناء لم يقم زيد[٣] فكأننا عطفنا فاعلاً على فاعل .

د- " ويقول ابن مالك : وغيُر نصبٍ سابقٍ في النفي قد / يأتي ولكن نصبه اختر إن ورد

يعـــني أن المستثنى إذا كان سابقاً على المستثنى منه فلا يخلو أن يكون في النفي أو في الإيجاب ، فإن كان في الإيجاب فليس إلاّ النصب على الاستثنـــاء وإن كان في النفي فقد أجاز هنا فيه وجهين : أحـــدهما : وهـــو غير المختـــار أن يُعرب بإعراب المستثنى منه رفعـــاً أو نصبـــاً أو جـــراً فتقول : ما قـــام إلاّ زيـــدٌ أحدٌ ، ومـــا رأيـــتُ إلاّ زيداً أحداً ، ومـــا مـــررتُ إلاّ بزيدٍ أحـــدٍ ، ويكـــون الثاني بدلاً من الأول ، وهـــو

---

(١) ابن هشام - أوضح المسالك ، ج ٢ ،ص ٢٦٠

(٢) تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٨٠-١٨١

(٣) أبو حيان - ارتشاف الضرب ، ج٣، ص ١٥١٩

المتقـدم الذكر إذا ما تأخـر ، وأتى الناظم في هـذا الوجه بقد ، فقال " قد يأتي " أي قـد يأتي قليلاً غير النصب ، وهـو الإتباع في المستثنى السابق إذ ليس بكثير في كلام العرب ، قال سيبويه : وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقـولون : مالي إلاّ أبوك أحـدٌ، فيجعلون أحداً بدلاً، كما قالوا : ما مررت بمثله أحـدٍ فجعلـوهُ بدلاً " وإنما كان غير مختار لأنهم كرهوا أن يبدلوا الأكثر من الأقل إذ كان البـدلُ على خـلاف ذلك، لأنـه لا يـوجد بـدل كل من بعض .وفسره ابن الضائع بأن الأصل في الاستثناء أن يأتي بعـد المستثنى منه ، فحدُّه إذاً أن يكـون بدلاً لا مبدلاً منه ، لأن البدل ثانٍ عن المبـدل منه ، فلذلك لم يجز ما أتاني إلاّ زيـدٌ أحـدٌ على أن يكـون أحـدٌ بدلاً من إلاّ زيدٌ، فإنه في تقـدير ما أتاني إلا زيـدٌ ، ما أتاني أحدٌ ، فلما لم يكن حدُّه كذلك و لم يمكن مع التقـدم أن يكـون بدلاً حملوه على وجـه قـد يجـوز فيـه وهو مؤخر وهو النصب . والوجـه الثاني : وهو المختار النصب مع الاستثناء ووجه ذلك كما تقـدم مـن الخـروج على قُبح البدل ،كما فعلوا في نحو فيها قائمـاً رجـلٌ ، لما لم يحسن أن يجري قـائم عـلى رجلٍ مع تقديمـه ولا رجـلٌ على قـائم نصبـوه على الحال قال سيبويه : لمـا لم يكـن وجـه الكـلام هـذا حملوه على وجـهٍ قد يجوز إذا أخرتَ المستثنى كما أنهم حيث استقبحوا أن يكـون الاسم صفـةً في قولهم : فيها قائماً رجلٌ حملوه على وجـه قـد يجوز لو أخّرتَ الصفة ـــ يعني النصب على الحـال وكان هـذا أمثل عندهم من أن يحملوا الكلام على غير وجهه[1] .

هـ) "ويقـول ابن مالك:

ودون تفريغٍ مع التقدمِ نصبُ الجميع احكمْ به والتزمِ .

يعـني إذا تقدمت المستثنيات على المستثنى منه وذلك مع عدم التفريغ ،إذ هناك يُتصور التقدم ، فلا بد من نصبها كلها فتقول : ما جاءني إلاّ زيداً إلاّ عمراً أحدٌ ، ولا يجوز الرفع في واحدٍ منها كما جاز في قولـك : ما جاءني إلا زيدٌ أحدٌ ،لأن البدل لا يصح كما لو تأخرت المستثنيات لأن المستثنى منه لا يكون بـدلاً من المستثنى قال سيبويه "وذلك أنك لا تريد أن تخرج الأول من شيء تدخلُ فيه الآخر " يعني أنك لم ترد أن يكون الأول مستثنى منه والثاني مستثنى ، وإنما هما معاً مستثنيان من المتروك ، والبدلُ إنما يكون حيث

(١) الشاطبي – المقاصد الشافية ، ج ١ ، ص ٣٦٧ــ٣٧١ وكذلك ابن السراج – الأصول في النحو ،ج١،ص ٢٨٣ .

يوجد مُدخل ومُخرج وذلك معدوم هنا فامتنع الرفع ، فلذلك قال الناظم "نصب الجميع احكم به" وأكدّه بقوله : والتزم ، ولا تتعداه إلى غيره ويريد النصب على الاستثناء لا النصب مطلقاً .

وانصب لتأخيرٍ وجيء بواحدٍ منها كما لو كان دون زائدِ

كلم يَفُوا إلاّ امرؤ إلا عليٌّ وحكمهما في القصدِ حُكمُ الأول

قوله : وانصب لتأخيرٍ " أراد النصب على الاستثناء ، ومعنى الكلام أن تلك المستثنيات إذا تأخرت عن المستثنى منه فالنصبُ أيضاً لازم فيها إلا في واحدٍ منها ، أي واحدٍ كان فإن حكمه في جواز النصب أو الإتباع كما لو كان وحده دون استثناء آخر ، فتقول :" ما أتاني أحدٌ إلاّ زيدٌ إلاّ عمراً " برفع زيد على البدل وهو المختار " وما أتاني أحدٌ إلاّ زيداً إلاّ عمراً : بنصبهما معاً على غير المختار [١] .

و- وإذا توسط المستثنى بين المستثنى منه وصفته نحو : ما فيها أحدٌ إلاّ زيدٌ خير من عمرو فالإتباع عند سيبويه والمبرد أولى من النصب ، ومذهب المازني عكس ذلك ، والصحيح ما ذهب إليه سيبويه لأن الصفة فضلة فلا اعتداد بالمقدم عليها ولأن المستثنى في نحو : "ما جاء أحدٌ إلاّ زيدٌ" إنما رجح إتباعه على نصبه لأنه إذا أُتبع تشاكل مع ما قبله لفظاً و لم يختلف المعنى فإذا أُتبع وبعده صفة متبعة ، شاكل ما قبله ما بعده فكان إتباعه متوسطاً أولى من إتباعه غير متوسط [٢]

ويرى أبو حيان أن المستثنى يجوز فيه النصب على الاستثناء والإتباع على البدل . وقد مثل سيبويه هذا بنصب صديقٍ على الحال " [٣] فالرفع على النعت والنصب على الحال . ونصب زيدٍ على الاستثناء وإتباعه على البدل .

ز- وإذا توسط الفعل (ظنّ) بين جزئي الجملة الاسمية جاز الإعمال وجاز الإلغاء والإعمال أفضل من الإهمال مثال ذلك : زيداً ظننتُ قائماً و زيدٌ ظننتُ قائمٌ

(إعمال) (إلغاء)

---

(١) الشاطبي – المقاصد الشافية ، ج١، ص ٣٨٥

(٢) ابن مالك – شرح التسهيل ، ج ٢ ، ص ٢٠٦

(٣) أبو حيان – ارتشاف الضرب ، ج ٣ ،ص ١٥٠٩

والإعمال أفضل من الإهمال حتى لا نفصل بين المبتدأ وخبره ، لأن المبتدأ يطلب الخبرة بقوة أكبر من طلبه للفاصل بينهما ، كما أن زيداً وإن تقدم فما زال مبنياً على الفعل الذي بعده ومطلوباً له ، فالعلاقة المعنوية ما زالت قائمة فهو متقدم على نية التأخير .

أما في المثال الثاني فزيد مبتدأ ويجب أن يليه الخبر برتبة المعنى ، وتقدم ظننتُ عليه جعل العلاقة بين المبتدأ وظننتُ ، والعلاقة بينهما منتفية ، لأن الخبر أقرب إلى المبتدأ منها . كما صارت العلاقة كذلك بين ظننت وقائم ولا علاقة بينهما ، ولذلك فضل النحاة الإعمال على الإهمال بسبب الفصل بين المبتدأ والخبر .

ح — وإذا تقدم على الاستفهام أحد المفعولين لعلمتُ نحو : علمتُ زيداً أبو من هو"اختير نصبه لأن العامل متسلط عليه (أي أنه متعلق بالمبني عليه وهذاالمفعول أصبح خارج جملة الاستفهام فصار مطلوباً لما قبله)ويجوز رفعه لأنه والذي بعد الاستفهام شيء واحد في المعنى فكأنه في حيِّز الاستفهام والاستفهام مشتمل عليه(متعلقاً بالاستفهام)ولو كان الاسم المتقدم على الاستفهام بعد "أرأيت" بمعنى أخبرني تعيَّن نصبه.

نحو : أرأيتَ زيداً أبو مَنْ هو ؟ لأنه بمعنى ما لا يُعلَّق [1] وهو بحاجة إلى ما بعده بفضل العلاقة المعنوية بينهما ولذلك تعلَّق المفعول بالفعل .

ط- " والأصل في الاسم المشغول عنه أن يجوز فيه وجهان : أحدهما راجح لسلامته من التقدير وهو الرفع بالابتداء ، فما بعده في موضع رفع على الخبرية ، وجملة الكلام حينئذ اسمية ، والثاني مرجوح لاحتياجه إلى التقدير وهو النصب ، فإنه بفعل موافق للفعل المذكور محذوف وجوباً ، فما بعده لا محل له ، لأنه مفسّر، وجملة الكلام حينئذ فعليه "[2].

ي- وقد يترجح في الاسم المشغول عنه النصب كأن يجاب به استفهام بمفعول ما يليه أو بمضاف إليه مفعول ما يليه، فالأول كقولك : زيداً ضربته ،في جواب من قال : أيَّهم ضربت ؟ والثاني في كقولك:ثوبَ زيد لبسته ، في جواب من قال ،ثوب أيِّهم لبست؟(وذلك لأن المفعول متعلق بفعل محذوف يفسره المذكور) ومنها أن يلي الاسم السابق فعل أمر أو نهي أو دعاء كقولك : زيداً زُرْه وعمراً لا تقربْه وذنوبنا اللهم اغفرها (لأن الجملة الطلبية لا تتعلق بالمبتدأ ولها الصدارة) فلا يصح أن تكون خبراً عنه ، ولذلك

---

(١) ابن مالك – شرح التسهيل ، ج٢ ، ص ٢٢

(٢) ابن هشام – أوضح المسالك ، ج٢ ، ص ١٦٠

يترجح نصب الاسم المتقدم بفعل محذوف يفسره المذكور " لأن وقوع الجملة الطلبية خبراً قليلٌ " [١]،ومنها أن يـلي الاسـم السابق همزة استفهام أوحرف نفي لا يختص نحو " أزيداً ضربته " " وما عمراً أهنته " ومن مـرجحات النصـب أن يلي الاسم السابق "حيث" كقولك : حيث زيداً تلقاهُ يكرمك . ومنها أن يلي الاسم حرف عطف قبله جملة فعلية متعديا كان فعلها أو غير متعدٍ فالمتعدي نحو "لقيت زيداً وعمراً كلمته" وغير المتعدي نحو"جاء سعد وسعيداً زرته"فنصب عمرو وسعيد راجح على دفعها ، لأنك في نصبها عاطف جملـة فعلـية على جملة فعلية وأنت في رفعهما عاطف جملة ابتدائية على جملة فعلية ، والمشاكلة في عطف الجمل راجحة .

ومـن مرجحـات النصب أن يكـون مخلصاً من إيهام غير الصواب، والرفع غير ذلك كقوله تعالى : " إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر " فنصب كلَّ شيء يرفع تـوهم كون خلقناه صفة لشيء إذ لو كان صفة له لم يفسِّر ناصباً لما قبله وإذا لم يكن صفة كان خبراً فتعين عموم خـلق الأشياء بقدر،خيراً كانت أو شراً وهو قـول أهل السنة ولو قرئ "كلُّ شيء" بالرفع لاحتمل أن يكون "خلقناه"صفـة مخصصة وأن يكون خبراً فكان النصبُ لرفعه احتمال غير الصواب راجحاً [٢] .

ي أ- (وفي بـاب الاشتغـال يقول ابن هشام " إذا رفع فعل ضمير اسم سابق ، نحو :" زيد قام " أو غُضِـبَ عليه " أو ملابساً لضميره ، نحو :" زيدٌ قـام أبوه " فقد يكون ذلك الاسم واجب الرفع بالابتداء كخرجـتُ فإذا زيد قام" "وليتما عمرو قعد " إذا قدرت ما كافة . أو بالفاعلية نحو(وإن أحد من المشركين استجارك) (التوبة ٦) و "هلا زيدٌ قام" .

وقـد يكـون راجح الابتدائية على الفاعلية نحو " زيدٌ قام " عند المبرد ومتابعيه ، وغيرهم يوجب ابتدائيته ، لعـدم تقـدم طالـب الفعل . وقد يكون راجح الفاعلية على الابتدائية ، نحو " زيد ليقم " ونحو " قام زيدٌ وعمـرو قعد " ونحو " أبشر يهدوننا " (التغابن ٦) و (أأنتم تخلقونه) (الواقعة ٥٩) وقد يستويان نحو : زيد قام وعمرو قعد عنده. [٣]

---

(١) ابن هشام - المغني ، ص ٣٧٩ وكذلك فاضل السامرائي - الجملة العربية ص ١٢٠

(٢) ابن مالك - شرح التسهيل ، ج٢، ص ٧٣-٧٤

(٣) ابن هشام - أوضح المسالك ، ج٢، ص ١٧٤-١٧٥ ، وانظر المغني ،٣٧٨

ي ب - وحكم المرفوع بعد شبه الجملة فيه ثلاثة مذاهب ، أحدها : أن الأرجح كونه مبتدأ مخبراً عنه بالظـرف وذلـك نحو " في الدار زيد " ويجوز كونه فاعلاً . الثاني : أن الأرجح كونه فاعلاً ، واختاره ابن مـالك ، وتوجـيهه أن الأصـل عدم التقديم والتأخير،والثالث:أنه يجب كونه فاعلاً ، نقله ابن هشام عن الأكثرين " [١].

والـذي يـبـدو لي أن جملـة كهذه تترتب من العام إلى الخاص ، وأن الرأي الأول أصح لأن التقـدير يكـون في الدار جالسٌ زيدٌ وشبـه الجملة يتعلـق بجالس ، وجالس يتعلق بزيـد ، وجـالسٌ خـبر مقـدم وزيد مبتـدأ مؤخـر، أو أن يكون فاعلاً لاسم الفاعل أو للفعـل إن قدرنـا المحـذوف فعـلاً .

"وكذلـك إذا عطفت جملة على جملة ، فكانت الجملة الأولى فيها الاسم مبنياً على الفعل ،كان الأحسن في الجملة الثانية أن تشاكل الأولى ، وذلك نحو :ضربْتُ زيداً وعمراً كلمته ، والتقدير ضربتُ زيداً وكلمت عمراً ، فأضمرت فعلاً يفسره كلمته، كذلك إذا اتصل الفعل بشيء من سبب الأول تقول : لقيت زيداً وعمراً ضربتُ أباهُ ، كأنك قلت : لقيت زيداً وأهنت عمراً وضربت أباه ، فتضمرما يليق بما ظهر فإن كان في الكلام الأول المعطوف عليه جملتان متداخلتان كنت بالخيار وذلك نحو قولك : زيد ضربته وعمرو كلمـته ، إن عطفت على الجملة الأولى التي هي الابتداء والخبر رفعت ، وإن عطفت على الثانية التي هي فعـل وفاعل وذلك قولك ضربته ، نصبت [٢].

---

(١) ابن هشام - المغني - ص ٤٤٣ ، ٥٥٦

(٢) ابن السراج - الأصول في النحو ، ج٢ ، ص ٢٥٣

ج – دور الرتبة في التقدير :-

الحـــذف خـــلاف الأصل أو عدول عنه ، وقد جاءت فكرة التقدير لتفسير التغير الحاصل في الظاهرة الـــنحوية ، فهو محاولة لرد الفرع إلى الأصل [١]. وتقوم الرتبة بدور في بيان مكان المقدر " لأن القياس أن يقدر الشيء في مكانه الأصلي لئلا يخالف الأصل من وجهين : الحذف ووضع الشيء في غير محله " [٢] .

" فمـــثلاً يجب أن يقدر المفسَّر في نحو زيداً ضربته مقدماً عليه " [٣] وهذا صحيح لأن زيداً منصوب وغـــير مطلوب لما بعده ، فهو إذاً مطلوب أو مرتبط بالمعنى بما قبله ، فيجب أن يتقدم المحذوف كما أن رتبة المفسَّر قبل رتبة المفسِّر .

يقـــول ابن هشام " وجـــوز البيانيون تقديـــره مؤخراً ، وقالوا لأنه يفيد الاختصاص حينئذٍ وليس كما توهموا ، وإنما يرتكب ذلك عند تعذر الأصل أو عند اقتضاء أمر معنوي ، فالأول نحو " أيُّهم رأيته " إذ لا يعمـــل في الاســـتفهام ما قبله " ونحو " أما ثمودَ فهديناهم " [٤] فيمن نصب (ولعلَّ هذه الجملة ليست بحاجة إلى تقدير فهي مكونة من مبتدأ وخبر) أما الآية " وأما ثمودَ فهديناهم " فأرى وبناءً على منزلة المعنى أن أما متقدمة بالصدارة وتقدم المفعول (بالمنزلة) أو انشغل الفعلُ بضميره فتحول إلى مبتدأ وما بعده خبره والدلـــيل على ذلك " فأما اليتيمَ فلا تقهر وأما السائلَ فلا تنهر وأما بنعمةِ ربك فحدث " فقد تقدم المفعول برتـــبة المعنى وبقي منصوباً لأن الفعل لم ينشغل بضميره . وعلى قراءة النصب فهو مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور وموقع الفعل بعد الاسم كما قال ابن هشام لأن أمّا لا تدخل على فعل .

كمـــا أن " متعلق الظرف يقدر مؤخراً عن زيد في قولنا " في الدار زيد " لأنه في الحقيقة الخبر وأصل الخـــبر أن يتأخر عن المبتدأ " [٥] والذي يبدو لي أن متعلق الظرف يتقدم عل زيد بمنزلة المعنى إذ العلاقة بين الظـــرف ومـــتعلقه وزيـــد فنقول : في الدار (يستقر) أو (مستقرٌ) زيـــدٌ ، وهي تترتب من العـــام إلى الخـــاص والأصل : زيد (مستقر) أو (يستقر) في الدار . والله أعلم .

---

(١) من محاضرة للدكتور عبد الحميد السيد .

(٢) ابن هشام – المغني ، ج٢،ص ٦١٣

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦١٣.

(٤) المصدر نفسه ،ص ٦١٣ ،وكذلك السيرافي – المخطوط ، ج١ ، ص ١٩١

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩١

" ولكـــنه يحتمل تقديره مقدماً لمعارضة أصلٍ أخر ، وهو أنه عامل في الظرف ، وأصل العامل أن يتقدم على المعمول ، اللهم إلا أن يقدر المتعلق فعلاً فيجب التأخير لأن الخبر الفعلي لا يتقدم على المبتدأ في مثل هذا [١] وهـــذا يعـــني أننا إذا قلنا : في الـــدار زيـــــد ، فمكان متعلق الظرف يقدر مقدماً على الظرف وليس متأخراً فنقول جالس في الدار زيد لأن المتعلق عامل في الظرف والعامل يتقدم على المعمول .

والذي يبـــدو لي أن المتعلق يقـــدر متأخراً بسبب رتبة المعنى والأصـــل زيـــد جالس في الدار فتصبح

في الدار جالس زيد .

عام (٢) عام (١) خاص

لأنـــه لا يوجد علاقة بين (زيد) و (في الدار) والعلاقة بين (زيد) و (جالسٌ) ، ويتابع ابن هشام " إذا قلت : إن خلفك زيداً ، وجب تأخير المتعلق فعلاً كان أو اسماً لأن مرفوع إنَّ لا يسبق منصوبها "[٢] وهذا صـــحيح لأن هـــذه الجملة فيها خروج عن الأصل ورتبتها محفوظة وإنَّ متقدمة بالصدارة " وداخلة لمعنى في المبتدأ والرتبة محفوظة وخبر إنَّ لا يتقدم عليه ، فإذا يجب أنَّ يقدر متأخراً .

ويضـــيف ، وفي " كان خلفـــك زيدٌ " جاز الوجهان ولو قدرته فعلاً لأن خبر كان يتقدم مع كونه فعـــلاً على الصحيح ، إذ لا تلتبس الجملة الاسمية بالفعلية " [٣] كأن نقول :كان خلفك جالساً زيدٌ أو كان خلفك يجلس زيد(في العدول) لأننا نقول : كان خلفك زيدٌ جالساً أو كان خلفك زيد يجلس في الأصل .

ولعـــلَّ الأصح أن يكون مكانه متقدماً على زيد في العدول ، متأخراً عنه في الأصل .فنقول : (كان زيدٌ جالساً خلفك) في الأصل، و (كان خلفك جالساً زيدٌ) في العدول .

"والثاني (أي المقدر متأخراً لأمر معنوي) نحو متعلق باء البسملة الشريفة فإن الزمخشري قدره مؤخراً عنها لأن قريشاً كانت تقول باسم اللات والعزى نفعل كذا فيؤخرون أفعالهم عن ذكر ما اتخذوه معبوداً لهم تفخيماً لشأنه بالتقدم فوجب على الواحد أن يعتقد ذلك في اسم الله تعالى فإنه الحقيق بذلك " [٤] .

---

(١) ابن هشام – المغني ، ج٢، ص ٦١٣

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦١٣

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦١٣

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦١٣

والذي يبدو لي أن جملة الكفار فيها خروج عن الأصل وأصلها تفعل كذا باسم اللات والعزى .

فالظـــرف يتعـــلق بالفعل معنوياً ، وتقـــدم باسم اللات والعزى تفخيماً للأهمية . وكذلك متعلق الظـــــرف في البســـملة يجب أن يقـــدر متقدماً وذلك برتبـــة المعنى (بحسب الأصل) أو متـــأخراً من العـــام إلى الخاص ، عدولاً عن الأصل .

يقول ابن هشام " ثم اعترض بـــ " اقرأ باسم ربك " وأجاب بأنها أول ســـورة أنزلت فكان تقديم الأمـــر بالقـــراءة فيها أهم " [١] ولعلّ الفعـــل متعلّق بالـــظرف في مكانـــه الأصلي برتـــبة المعنى ، لأن الجملة تبدأ أصلاً بالفعل والظرف يرتبط به معنويـــاً .

ولعل رتبة المعنى هي التي تتحكم في التقدير ومكانه الأصلي .

" وما دام نظام اللغة يجعل لو في رتبة التقدم على شرطها وجوابها فإننا إذا سمعنا حواراً مثل : ألا تسامح زيداً ولو ندم على خطئه ؟

- لا ! ولو !

علمنا أن المحذوف هنا يقدر بعد " ولو " ولا يقدر قبلها وأن جوابها وإن كان يتصيد ما قبلها فإن تقديره لا يكون إلا بعدها والتقدير : ولو ندم على خطئه ما سامحته . هكذا تكون الرتبة دليلاً على المعنى " [٢] "كما أن الرتبة وخاصة المحفوظة تشكل معلماً من معالم الطريق في السياق ويعرف بها أين تبدأ الجملة وأين تنتهي ، وقد حفظت الرتبة لأنها تكشف عن علاقة ما بعدها بالعناصر الأخرى في الجملة " [٣] .

---

(١) ابن هشام - المغني ، ص ٦١٣

(٢) تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ص ٩٢

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٢-٩٣

المبحث الثاني

دور الرتبـــة في النظـــم

الـــنظم في اللغة : النظم التأليف ، ونظمت اللؤلؤ ، أي جمعته في السلك وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته " [١] .

النظم في الاصطلاح :

" تأليـــف الكـــلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل " [٢]

فالنظم هو ضم الكلام بعضه إلى بعض وترتيبه بحسب ترتب المعاني في النفس .

والمعنى اللغوي والاصطلاحي يعنيان شيئاً واحداً هو الضم والتأليف

ولكن ما الأساس الذي يتم النظم بناءً عليه ؟

يجيـــب الجرجاني :- " اعلم أن ليس النظمُ إلاّ أن تضع كلامَك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغُ عنها ، وتحفظَ الرسوم التي رسمت لك فلا تخـــل بشـــيء منها " [٣] "هذا هو السبيل فلست بواجدٍ شيئاً يرجع صوابُه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطـــأً إلى النظم،ويدخـــل تحت هـــذا الاسم إلاّ وهـــو معنى من معاني النحو قـــد أصيب به موضعـــه ، ووضع في حقـــه أو عومـــل بخلاف هـــذه المعاملة ، فأزيلَ عن موضعه ، واستعمل في غير مـــا ينبغي له ، فـــلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه ، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصـــحة ، وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بابٍ من أبوابه " [٤] .

---

(١) ابن منظور – لسان العرب ، مادة نظم .

(٢) الشريف الجرجاني – التعريفات ، ص٣١١ .

(٣) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الاعجاز ، ص ٨١

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٣.

وإذا كانـــت معاني النحو وأحكامه تقوم على المترلة والأهمية فمعنى ذلك أن النظم يقوم على المترلة كذلك.

هذا ، ويتمثل دور الرتبة في النظم في الأمور التالية :

أ- الترتيب ب- التقديم والتأخير ج- التفاضل د - البنية .

١- دور الرتبة في الترتيب :

تـــــودي الرتبـــة دوراً في الترتيب ، وخير ما يمثـــل هـــذا الدور ترتيب الجملة الفعلية وقد مرّ في الفصل الأول، وكذلك ترتيب الضمائر ، وترتيب التوابع ، حيث نجد أن المفاعيل والتوابع تتقدم نحو المبني عليه (الفعل) أو المتبوع بالرتبة ، من الخاص إلى العام ، فكلما زادت العلاقة المعنوية بين المتبوع والتابع كلما تقدم . ومـــثل ذلك ترتيب الأوصاف والأخبار والأحوال ... إلخ فكلها تترتب بالرتبة (المترلة) وما كان الأقرب إلى المبني عليه يتقدم .

وقد بات واضحاً أن ترتيب (المواقع) نابع من الرتبة (المترلة) ، كما مرّ في الفصل الأول من أن مواقع الكلام تترتب بناءً على المترلة . لأنه " لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم "[١] " ولا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض وتجعل هذه بسبب من تلك "[٢] .

ولعل في هذا مشابهة مع ما يسمى بالاقتضاء والاتحاد في النظرية التوزيعية ، والنظرية التحويلية [٣] . إلاّ أن هـــاتين الـــنظرتين لم تبيـــنا الأساس الذي تتم عليه عملية الاقتضاء . كما أن عملية الاقتضاء تتم بين الكلمة والكلمة التي قبلها وليس مع المبني عليه وهي تصلح فقط للمتلازمين ، لأنهما في اللغة العربية كالكلمة الواحدة كالتابع يرتبط مع المتبوع ، وقد يكون وجوده غير ضروري . وفي المثال الذي يذكره خليل عمايرة وهـــو " إنّ الطالبين يدرســـان " يرى أنّ " إنّ " تقتضي الطالبين ، وأنّ " الطالبين " تقتضي " يدرسان " ، والحقـــيقة أنّ " إنّ" هي المقتضية لهما جميعـــاً إلاّ أنّ ترتيبها يكون بحسب المكانة . فعملية التعليق في المثال الذي ذكره تتم بين المباني والمبني عليه . أما كلامه عن تعلُّق النعتين " المجتهدين " " الصادقين "

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ٣٧٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٥

(٣) انظر خليل عمايرة - في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٦٠-٦٥

باسم إنّ فهو صحيح ، وذلك كالتالي :

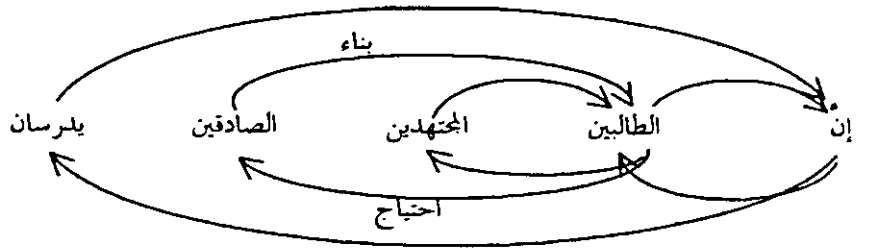

" فالطالبين " و " يدرسان " يتعلقان بـــ إنّ . ولا يتعلق الخبر بالاسم والتابعان يتعلقان بالمتبوع .

وإذا قلنا " ضرب الرجل الطويل زيداً " فالرجل لا يقتضي زيداً وإنما ضرب هو الذي يقتضيه . والرجل يقتضي نعته فقط .

ب- دور الرتبة في التقديم والتأخير

وتقـــوم الرتـــبـــة بـــدور الرابـــط بين أركان الجملة ، من أجـــل الوصـــول إلى المعنى المفيد ونظم الكـــلام بحاجـــة إلى وسائل ليكـــون سليمـــاً ، وإحـــدى الوسائـــل التي تسهم في ترابـــط أجزاء الجمـــلـــة هـــي الرتـــبة ، فإنها تقوم بدور بارز في تماسك أجـــزاء الجمـــلة [١] " فلولا الرتبة لتفككـــت أواصـــر الكـــلام ، ولدخـــل المعـــنى في غيابات الغموض أو في متاهـــات اللبس وكـــلا الغمـــوض أو اللـــبس آفـــة من آفـــات الاتصـــال والتفاهم " [٢] " ومما يشهـــد لذلك أنك تـــرى الكلمة تروقـــك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينهـــا تثقـــل عليك وتوحشك في موضع آخر " [٣] .

وتؤدي الرتبة دورها في التقدم و التأخير اعتماداً على الموانع و القيود التالية :

" أ- المانع المعنوي ب- المانع الموقعي ج- مانع العمل "[٤]

والجامع المشترك بين هذه الموانع والقيود جميعها هو منزلة المعنى كما سنرى .

---

(١) محمد حماسة - بناء الجملة ، ص ٧٩

(٢) تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ص ١٠٧

(٣) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ٤٦

(٤) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٥٥ ، وانظر قيود منع التنثير عند القاسمي الفهري ، ص ١١٤ وما بعدها .

أ-المانع المعنوي : - ويشمل

١- الإخـــلال بالمعنى :"فإذا كان التقدم يؤدي إلى إخلال بالمعنى المطلوب امتنع التقدم،مثال ذلك : قولهم :لله درك " فلو قدم المبتدأ وقيل " درك لله " لم يفهم معنى التعجب الذي يفهم منه مع التقدم ".ومثل ذلك خالـــدٌ شاعراً أحسنُ منه ناثراً " فلا يصح تقدم الناثر على اسم التفضيل فتقول " خالدٌ ناثراً أحسن منه شاعراً " لأن المعنى سينعكس " [١] .

وسبب ذلك هو منزلة المعنى ، ففي الأولى فضّلت خالداً في حالة كونه شاعراً على نفسه في حالة كونه ناثراً وفي الثانية فضلت خالداً في حالة كونه ناثراً على نفسه في حالة كونه شاعراً .

٢- أمن اللبس : وهـــو من أهم الموانع المعنوية،ويمكن أن يرجع إليه كثير من الموانع المعنوية ومن ذلك : أن يكون الإعراب غير ظـــاهر وليست هنـــاك قرينة تميّز أحدهمـــا من الآخر نحو : كان أخي رفيقي ، وضرب موسى عيسى،فإنه لا يصح تقـــدم رفيقي على أنه خـــبر كان،كما لا يصـــح تقـــدم"عيسى " على أنه مفعول مقدم " [٢] فالذي يلي الفعل هو الفاعل بمنزلة المعنى ، ولذلك لا يجوز التقدم والتأخير لنفس المعنى .

٣- القصر : والقصر كما هو معروف قصر شيء على شيء واختلاف رتبتهما يؤدي إلى انعكاس المعنى ، وكـــل ذلك يعود إلى منزلة المعنى ، وذلك نحو : ما زيد إلاّ قائم " ولا يصح تقدم الخبر فتقول " ما قائم إلاّ زيد للمعنى نفسه " [٣] . ففي الأولى قصرت زيد على صفة معينة من صفاته وهي القيام فهو ليس نائماً أو قاعداً ، وفي الثانية قصرت القيام على زيد فالقائم ليس عمراً أو خالداً .

ب- المانع الموقعي :

ويظهر ذلك من خلال الأمثلة التالية :-

١- لا يجـــوز أن تقدم الصلة على الموصول لأنها كبعضه وذلك نحو صلة الذي وأن والألف واللام إذا كانت بمنزلة الذي فلو قلت "الذي ضرب زيداً عمرو"، فأردت أن تقدم زيداً على الذي لم يجز ولا يصلح أن

---

(١) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٥٥-٥٦

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٧

تقـــدم شـــيئاً في الصلة ظرفاً كان أو غيره على الذي البتة "[١] " وذلك لأن الصلة تتم معنى الموصول وهي كالجزء منه فلا تتقدم عليه ولأن العلاقة المعنوية ستكون مفقودة إذا ما تقدم شيء من الصلة عليها .

" وهـــناك علاقـــة تلازم بين الموصول والصلة ، والذي نعنيه هنا بالتلازم أن الاسم الموصول لإبهامه وعدم إشارته إلى مدلول بعينه لا ينفك يحتاج إلى ما يأتي بعده جملة فعلية أو اسمية ويكون مع صلته في المعنى والحكم كلمة واحدة ترتبط ببورة الجملة لتقوم بدورها في المعنى وقد أدرك النحاة العرب القدماء هذا الذي نذهـــبُ إلـــيه وذلـــك بقولهـــم"جملـــة الصـــلة لا محل لها من الإعراب وذلك لأنها جاءت لتحديد الاسم قبلهاولتخصيصه"[٢]. " وقد اتضح أن الفضيلة وخلافها في ملاءمة اللفظة لمعنى التي تليها " [٣] .

وأما "أنْ" فنـــحو قولك " أن تقيم الصـــلاة خير لك " لا يجـــوز أن تقول الصـــلاةُ أن تقيم خير لك " ولا تقـــدم تقيـــم على أن وكذلك المصـــادر التي في معنى"أن تفعـــل" لا يجـــوز أن يتقـــدم ما في صلتها عليها . لو قلت : أولادةُ ناقتكم ذكـــراً أحبُ إليكم أم ولادتها أنثى ؟ما جـــاز أن تقدم ذكراً على ولادة، وكل ما كان في صـــلة شيء من اسم أو فعـــل ممالا يتـــم إلاّ به فلا يجـــوز أن نفصـــل بينه وبين صفتـــه بشيء غريب منه . لو قلت : زيد نفسه راغب فيكم ، لم يجز أن تؤخـــر نفسه فتجعله بين راغب وفيكم فتقـــول : زيـــد راغب نفسه فيكم ، فإن جعلت نفسه تأكيداً لما في راغب جـــاز "[٤] وذلك لأن المبـــاني تترتب بالرتبـــة ونفسه أقـــرب إلى زيـــد من راغب لأن التوكيـــد والمؤكد كالشيء الواحـــد " فهناك " قيـــد على المكان المصدّر ، أي المكـــان الذي تنطلق منه المقولة المنقولة "[٥] (المُراد تبئيرها).

٢- "ولا يتقـــدم التابـــع على المتبوع ســـواء أكان التابـــع صفـــة أو بدلاً أو عطفاً(أو توكيدا)فلا يجوز أن تقدم الصفة على الموصوف ولا أن تعمـــل الصفـــة فيما قبل الموصوف،والبـــدل لا يتقـــدم على المبدل منه وكذلك ما اتصـــل به لا يتقـــدم على الاسم المبـــدل منه،وأما العطف فهو كذلك لا يجـــوز أن

---

(١) ابن السراج – الأصول ،ج٢، ص ٢٢٣

(٢) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٢٠٠

(٣) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ٤٦

(٤) ابن السراج – الأصول في النحو ، ص ٢٢٤

(٥) الفهري – اللسانيات واللغة العربية ، ص ١١٥ وانظر قيد المركب المعقد ، ص ١١٦ ، الهامش .

يتقـــدم ما بعد حرف العطف عليه وكذلك ما اتصـــل بـــه"[١].وكذلك التوكيد لا يتقدم على المؤكَّد. وذلك لأن المتبوع يتقدم على التابع بالرتبةوالطبع فلا وجود للصفة إلامع الموصوف،وتقديم الصفة يغيِّر إعرابها. كما لا يجـــوز أن يتوسط المصـــدر المؤكـــد لغيره ولا أن يتقـــدم،لا يقال : زيـــدٌ حقا ابني ولا حقاً زيدٌ ابني"[٢] وذلك لأن رتبة المؤكَّد بعد رتبـــة المؤكَّـــد ، ورتبة المعنى لا تسمح له بالتقدم أو التوسط لأنه يؤكد مضمون الجملة كاملة .

" وقـــد أجـــاز البعض تقـــديم المعطـــوف على المعطوف عليه في الواو خاصة بثلاثة شروط أحدها : أن لا يؤدي إلى وقوع حرف العطف صدراً فلا نقـــول : وعمـــرو زيد قائمان ، في زيد وعمرو قائمان ، وثانـــيها:أن لا يـــؤدي إلى مباشـــرة حـــرف العطـــف عاملاً غير متصـــرف مثل إنَّ وعمراً زيداً قائمان وثالـــثها : أن لا يكـــون مجروراً فلا نقول:مررت وعمرو بزيد وعند خلوه من هـــذه الثلاثة يجوز كقول الشاعر [٣]

ألا يا نخلة من ذاتِ عرقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ " [٤]

" وقـــد مـــنعوا مررت وزيـــدٍ بعمرو لأنه قد قدم المعطوف على العامل وإنما أجازوا للضرورة تقدم معمول فيـــه على معمول فيه والعامل قبلهما ، ولا يجيزون إنَّ وعمراً زيـــداً قائمـــان لأن "إنَّ " أداة ويجـــيزون " كيف وزيـــد عمرو " ويقـــولون : كل شيء لم يكن يرفع لم يجـــز أن يليه الواو نحـــو (هل وزيـــد عمرو قائمان) محال وإنما صار العطف إذا لم يكن قبله ما يرفع أقبـــح لأنه يصير مبتدأ ، وليس أحد يجيز مبتدأ : وزيد عمرو قائمان ، يريد : عمرو وزيد قائمان " [٥] .

٣- وكذلـــك لا يجـــوز أن تقـــدم المضاف إليه على المضاف ولا ما اتصـــل به ولا يجـــوز أن تقـــدم علـــيه نفسه ما اتصل به فتفصـــل به بين المضاف والمضـــاف إليه إذا قلت هـــذا يـــومُ تضرب

---

(١) ابن السراج - الأصول ، ج٢،ص ٢٢٥-٢٢٦

(٢) ابن هشام - رسالة في توجيه النصب ، ص ٣٧

(٣) البيت للأحوص وقد سبقت الإشارة إليه .

(٤) العلائي - الفصول المفيدة ،ص ١٥٢

(٥) ابن السراج - الأصول في النحو ، ج٢،ص ٧٧

زيـــداً لم يجـــز أن تقـــول : هذا زيـــداً يـــومُ تضـــرب " [١] وذلك لأن زيداً متعلق بـــ تضرب والجمـــلة متعلقـــة بالمضـــاف (يـــوم) كما علقـــنا بالمبتدأ ما هو غريب عنه .

" ومـــن الـــتـــلازم الذي لا يتم الفصل فيـــه بين المتلازمـــين وإن تم فذلك قبيـــح ، لا تأخـــذ به العربـــيـــة إلاّ في حـــالات قليلة معـــدودة ولها تخريج لغـــوي ، وإن عدهـــا النحاة شاذة ، ومن ذلك : الـــتـــلازم بين المضـــاف والمضاف إليه ، وبين حرف الجر ومجروره " [٢] فالمضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحـــدة تتحدان برابط نحوي هو الإضافة ثم ترتبط الكلمة الناتجة (من حيث المعنى) ببؤرة الجملة (المبتدأ أو الفعل) [٣] "وهناك قيد على المكان المصدّر أي المكان الذي تنطلق منه المنقولة " [٤] (المراد تبئيرها) .

وقد جاء في القرآن الكريم " وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادهم شركائِهم " وذلك على قـــراءة ابـــن عامر (الأنعام ١٣٧) " ويذهب : الشيخ خالد الأزهري إلى أنّ ما حسن الفصل بالمفعول بين المتضـــايفين ثلاثـــة أمور : كون الفاصل فضلة فإنّ ذلك مُسَوِّغ لعدم الاعتداد به وكونه غير أجنبي لتعلقه بالمضـــاف وكونـــه مقدر التأخير من أجل أنّ المضاف إليه مقدر التقدم بمقتضى الفاعلية المعنوية . والأمران الأخـــيران همـــا الجديران بالاعتبار فالفاصل المفعول غير أجنبي حقا لأنه مفعول للمضاف ثم إن تقديمه على الفاعل تقدم في اللفظ لا في الرتبة أو هو تقدم في المكان لا في المكانة " [٥] .

وفي رأيـــي ، وبناءً على مبرّلة المعنى أن قوله تعالى " وكذلك زَيَّنَ لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شـــركاؤُهم " يترتـــب من العام إلى الخاص من أجل اتصال " شركاؤهم " بقوله تعالى " ليردوهم وليَلْبِسوا عليهم دينهم " والضمير عائد على الشركاء ، ولو تقدم " شركاؤهم " لفصلنا كثيراً بين الضمير ومرجعه ، كمـــا يؤدي إلى اللبس . أما قول د . محمود شرف الدين :" إنه تقدم باللفظ لا بالمكانة ، فأرى أن التقدم باللفظ يرافقه تقدم بالمكانة.

---

(١) ابن السراج – الأصول في النحو ، ج٢، ص ٢٢٦

(٢) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ١٩٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٨

(٤) الفهري – اللسانيات واللغة العربية ، ص ١١٥ ، وانظر قيد الفرع الأيسر ص ١١٦ (الهامش).

(٥) محمود شرف الدين – الفعليات ، ص ٢٦٥

٤- "ومن تأثير الرتبة في التقدم و التأخير أن تقدم المضمر على الظاهر لا يجوز إلاّ إذا كان مقدماً في اللفـــظ موخراً في معناه ومرتبته وذلك نحو ضرب غلامَهُ زيدٌ " فإذا قلت"ضرب غلامُهُ زيداً " تريد "ضرب زيداً غلامُه " لم يجز لأنك قدمت المضمر على الظاهر في اللفظ والمرتبة لأن حق الفاعل أن يكون قبل المفعول فإذا كان في موضعه وعلى معناه فليس لك أن تنوي به غير موضعه إنما تنوي بما كان في غير موضعه موضعه فافهم هذا فإنّ هذا الباب عليه يدور فإذا قلت في بيته يوتى الحكم جـــاز لأن التقدير"يوتى الحكم في بيتـــه" فالذي قـــام مقـــام الفاعل ظاهر وهو الحكم و لم تقدم ضميراً على ظاهر،مرتبته أن يكون قبل الظاهر " [١].

٥- " كما أن الحروف التي تكون صدور الكلام (صدر جملتها) ، عاملة كانت أو غير عاملة ، لا يجـــوز أن يقدم ما بعدها على ما قبلها وذلك نحو ألف الاستفهام وما التي للنفي ولام الابتداء ، لا يجوز أن تقـــول : "طعامك أزيدٌ آكل" وإنما أجزنا "إن زيداً طعامك لآكل" لأن تقدير اللام أن تكون قبل "إنّ " فإن قلت : إنّ زيداً آكلٌ لطعامك" لم يجز لأنها لم تقع على الاسم ولا الخبر . ومن ذلك : ما النافية ، تقول : ما زيـــدٌ لآكلاً طعامك ولا يجوز أن تقدم طعامك فتقول : طعامك ما زيدٌ آكلاً وذلك لأن المفعول لا يقع إلاّ حيث يصلح لناصبه أن يقع فلما لم يجز أن يتقدم الفعل على ما لم يجز أن يتقدم ما عمل فيه الفعل " [٢] .

" ومـــن الرتـــبة المحفوظـــة رتبـــة بعض الأدوات ذوات الصدارة في الجملة ، حتى أنّ ما بعدها لا يعمل فيما قبلها ، لأنه لو عمل فيه لانمحت فكرة الصدارة ولأصبح موقعها في الجملة بعد ما ينبغي أن يكون متأخراً عنها فإذا قلت من يعرف هذا ؟ فلا يجوز أن تقدم هذا وأن تقول مستفهماً " هذا مَنْ يعرف ؟ على زعم أن هذا مفعول مقدم لأن التركيب عندئذٍ بسبب اعتماد معناه على الرتبة سيفهم منه معنى آخر لا يمت إلى المعنى الأول بصلة " [٣]،فهناك " قيد على المكان المصدّر ، أي المكان الذي تنطلق منه المقولة المنقولة " [٤] المراد تبئيرها .

---

(١) ابن السراج - الأصول ،ج٢،ص ٢٣٨-٢٣٩

(٢) المصدر نفسه ،ج٢، ص ٢٣٥

(٣) تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ص ٩٢-٩٣

(٤) الفهري - اللسانيات واللغة العربية ، ص ١١٥ ، وانظر قيد الجزيرة الميمية ، ص ١١٦ و الهامش

ويرى الفهري أن المركبات الاسمية والحرفية والاستفهامية توجد أصلاً في داخل البنية الجملية ، ثم تنتقل إلى مكان وصفه النحاة بأنه صدر الكلام ، ولكن هذا يحتاج إلى تدقيق ، والواقع أن المكان الذي تنتقل إليه هذه المركبات هو موضع خارج الجملة وهذا الموضع يتم توليده عن طريق القاعدة التالية :

ج ⟵ (مص) ج

في (مص) يتقدم الفعل ولكن الموضع (To pic) يتقدمه ، إذا وجد ولا يصح العكس " [١].

وكلام الفهري كله صحيح ولكن في رأيي أنّ الاستفهام يبقى في داخل الجملة وليس خارجها كما أنّ الاستفهام له صدر جملته وليس صدر الكلام عامةً . وهذا يدل على أن الاستفهام مرتبط بجملته رغم عملية الانتقال ، وفي الأمثلة التي يضربها الفهري نلاحظ أن الاستفهام وقع في جملته . وإذا ما وقع خارج جملته أصبحت الجملة ملحونة كـ : مَن زيدٌ ضربه . لأن " مَن " لها علاقة مع (ضرب) وليست مع زيد .

أما بالنسبة للمثال (٣١) ابنَ من رأيت ؟ فهي كذلك في صدر جملتها ، لأن من تقدمت بالصدارة وتبعها ما يرتبط بها معنوياً كما أن المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة وأصلها : رأيت ابنَ مَنْ ؟ فالمفعول مرتبط بالمضاف إليه ، وانتقال المضاف إليه يؤدي إلى انتقال المضاف . ولو قلنا : " رأيتُ ابن زيدٍ " وأردنا تقدم المفعول ، أو المضاف إليه فإن ذلك لا يتم إلاّ بتقديمهما معاً .

فنقول : ابنَ زيدٍ رأيتُ ولا نقول : " ابن رأيتُ زيدٍ " " أو زيدٍ رأيتُ ابن " .

وذلك لأن المباني تترتب بالرتبة،والجملتان الأخيرتان مرفوضتان بسبب فقدان الانسجام بين المباني والله أعلم.

ومن الظواهر النحوية مثلاً " أنّ لام الابتداء لا تدخل في خبر المبتدأ حتى يقدم نحو لقائم زيد " [٢] وذلك لأن بين المبتدأ والخبر علاقة معنوية فإذا ما تقدم المبتدأ فصلت اللام بين المبتدأ وخبره ولذلك كان لا بد من الخروج عن الأصل لترتّبَ الجملة من العام إلى الخاص وجوباً وإلاّ فقدنا اتصال المعنى وكذلك المثال الذي ذكره تمام حسان . هذا من يعرف " وذلك لأن المباني تتقدم بالرتبة ولا يوجد علاقة بين (هذا ، من)

---

(١) الفهري – اللسانيات واللغة العربية ، ص١١١

(٢) ابن هشام – أوضح المسالك ، ج١،ص ٣٤٧

ولـــو قلـــنا من هذا يعرف لكان أفضل ، فالمفعول مقدم على نية التأخير ، والأفضل منه من يعرف هذا ، فالمعاني متقدمة بالرتبة من الخاص إلى العام .

ومثل ذلك"لا تدخل لام الابتداء على معمول الخبر إلاّ إذا تقدم مثال ذلك إنّ زيداً لعمراً ضاربٌ"[١] وتقديم الخبر يجعل الجملة مرتبة من العام إلى الخاص بالرتبة خروجاً عن الأصل .

ومـــن الحروف التي لا يقدم عليها ما يليها " إلاّ " وجميع ما يستثنى به لأنّ ما بعد حرف الاستثناء نظـــير ما بعد لا إذا كانت عاطفة "[٢] " وتقديم المستثنى أول الكلام لا يجوز عند الجمهور نحو إلاّ زيداً قام القوم، وذلك إجراءً لأداته مجرى حرف العطف لأن معنى (إلاّ زيداً)لا زيدٌ وفرعوا على هذا مسألتين قالوا: يجـــوز "كيف إلا زيداً إخوتك" "وأين إلاّ زيداً القوم "وقالوا لا يجوز"هل إلاّ زيداً عندك أحدٌ"ولا " أين إلاّ زيداً جلس القوم " وعللوا المنع بأن هل وأين في هذا التركيب فضلة فلو حذف وقع المستثنى أولاً وفي مسألتي الجواز وقع المستثنى بين شطري الجملة "[٣].

أمـــا إذا تقـــــدم المستثنى على المستثنى منه وعلى العامـــل وتوسط بين جزءي الكلام ففي ذلك مذاهب أحدهما : الجواز على الإطلاق كان العامل متصرفاً أو غير متصرف .

الـــثاني : المنع على الإطلاق ، الثالث : التفصيل بين أن يكون متصرفاً فيجوز ،نحو :القوم إلا زيداً جاء أو غير متصرف فلا يجوز نحو : القومُ إلاّ زيداً في الدار " وهو مذهب الأخفش وهو الذي نختاره إذ ورد به السماع ويحتاج جواز " القوم إلاّ زيداً في الدار " إلى سماع ولا خلاف في جواز قام إلا زيداً القوم [٤].

٦- " والأمثال لا يجري فيها تقديم وتأخير وإنما تقال كما أطلقت أولاً لأنّ الأمثال لا تُغير كقولهم : في كـــل وادٍ بنو سعد . ومن الجمل غير المتصرفة بتقديم أو تأخير ما كثر استعماله حتى صار كالمثل ، فيقال كمـــا ورد ولا يُغيَّر عما سُمع وذلك نحو"كل شيءٍ ولا شتيمة حُرّ"أي اصنع كل شيء ولا ترتكب شتيمة حُرّ "[٥].

---

(١) ابن هشام - أوضح المسالك ، ج١،ص ٣٤٧

(٢) ابن السراج - الأصول في النحو ، ج٢،ص ٢٣١

(٣) أبو حيان - ارتشاف الضرب ،ج ٣، ص ١٥١٧-١٥١٨

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥١٩

(٥) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٦٣ ، ١١٠

٧- وكذلك ما تضمّن معنى النفي من المبتدأت نحو قولهم : أقلُ رجلٍ يقول ذلك " و " أقلُ يوم لا أصيدُ فيه " بمعنى " ما رجلٌ يقول ذلك " و " أقل " مبتدأ لا يتصرف فلا تدخل عليه العوامل فلا تقول : إن أقلَّ رجلٍ يقول ذاك " على معنى النفي[١] .وذلك لأن النفي له الصدارة ، وداخلٌ لمعنى فيما بعده .

٨- وكذلك : ما لزم عدم التصرف كأيمن الله وطوبى للمؤمن " ما لا يتصرف من المصادر المضافة نحو ويحك ، وويلك ، وليس ولا يكون وخلا وعدا في الاستثناء نحو : أقبل الرجالُ لا يكون محمداً ، فحمل الاستثناء المصدرة بالأفعال جمل غير متصرفة فإنها تقال بصورة واحدة . ومثل ذلك حبذا ولا حبذا ، فلا تقدم المخصوص على حبذا فلا يُقال : " محمود حبذا " ولا " هذا حبذا " وكذلك جملة"لا سيمَّا غير متصرفة " [٢] وذلك من أجل أمن اللبس ، لأنها تفضل ما بعدها على ما قبلها .

٩- "ولا يجوز تقدم الخبر الطلبي على المبتدأ،فلا تقول في"خالدٌ اضربه"اضربهُ خالدٌ"ولا في" محمدٌ هلا أكرمته"،هلا أكرمتهُ محمداً"[٣] وذلك لأن وقوع الجملة الطلبية خبراً قليل [٤]" وعندها لن يعود الضمير على خالد ،والجملة الطلبية والمبتدأ يتنافسان على الصدارة ويجوز في الثانية أن يكون المنصوب بدلاً من الضمير .

١٠- ولا يجوز تقدم الجواب على المُجاب شرطاً كان أو قسماً : لا يجوز تقدم جواب الشرط ولا ما شبه به وكذلك الأمر بالنسبة إلى جواب القسم فلا تقول : أقمْ إن تَقُم ، وكذلك ما أشبه جواب الشرط نحو قولنا : الذي يقوم فله مكافأة . فخبر الذي هنا لا يتقدم لأنه أشبه جواب الشرط " [٥] لأن المسبب يتقدم على السبب .

١١- والمخبر به عن مذ ومنذُ إذا أعربتا مبتدأ فيكون خبرهما واجب التأخير نحو"ما رأيته مذ يومان"[٦] .

وفي رأيي أنَّ " مُذ"أو"منذ"ظرفان مضافان لجملة حذف فعلها وبقي فاعلها،والأصل مذ كان يومان " [٧] .

---

(١) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٦٣ ، ١١٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٢-١١٣

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٣

(٤) ابن هشام - المغني ، ج١ ، ص ٣٧٩

(٥) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٦٢

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٣

(٧) ابن هشام - المغني ، ج١ ، ص ٣٣٥

١٢- " لا يجوز تقديم خبر الأحرف المشبهة بالفعل على اسمها إلا إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً ، فلا يُقال في إنَّ محمداً حاضرٌ " إنَّ حاضرٌ محمداً . أما الجار والمجرور والظرف فيصح تقديمهما على الاسم نحو " إنَّ لدينا أنكالاً وجحيماً " إنَّ في ذلك لعبرة " [١] لأن إن حرفٌ داخلٌ لمعنى فيما بعده .

١٣- لا تقع أن المفتوحة الهمزة في أول الكلام فلا يُقال في"عرفتُ أنك فاضلٌ " " أنك فاضلٌ عرفت " لأن تقديمها يوهمُ أنها تعليلية " [٢].

١٤- "والخبر المقرون بالباء الزائدة في النفي ، نحو : ما محمد بقائم " لا يجوز تقديمه ، فلا يصح أن يُقال : ما بقائم محمدٌ "[٣] "لأنها لتأكيد النفي " [٤] و النفي لا يدخل على النفي .

١٥- ولا تتقدم الحال على صاحبها المجرور بالحرف الأصلي عند الجمهور ، فلا تقول في : مررتُ بهندٍ نائمة " مررتُ نائمةَ بهندٍ " وأجازه بعضهم بدليل قوله تعالى : " وما أرسلناك إلاّ كافة للناس " (سبأ ٢٨) ومستدلاً بشواهد شعرية . فإن كان حرف الجر زائداً جاز التقديم وذلك نحو : ما جاءني من أحد راكباً " فإنه يصح أن يُقال : ما جاءني راكباً من أحد " [٥]

لأن الباء في " مررت بهندٍ نائمة " أوصلت الفعل إلى المجرور ، بينما في " مررت نائمةً بهندٍ " أوصلت اسم الفاعل إلى هندٍ (فتغير المعنى) أما بالنسبة للآية الكريمة : ففيها عدولٌ عن الأصل من أجل اتصال للناس " بما بعده " حيث قال تعالى : " بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون " والذي أجاز ذلك وضوح المعنى . وأما " ما جاءني راكباً من أحد " فحرف الجر لا يوصل ما قبله إلى ما بعده ، ولا يعلّق ما بعده بما قبله . فظل " من أحد " متعلقاً بـ جاءني .

---

(١) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٦٣

(٢) حصة الرشود - الوجوب في النحو ، ص ٢٢٧

(٣) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٦٣

(٤) فاضل السامرائي - معاني النحو ، ج١ ،ص ٢٦٠

(٥) فاضل السامرائي - الجملة العربية ،ص ٦٤-٦٥

جـ - مـانـع العمـــل : -

ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية :-

١- الأفعـال الـتي لا تتصرف لا يجوز أن يقدم عليها شيءٌ مما عملت فيه ، وهي نحو نعم وبئس وفعل التعجـب وليس تجري عندي ذلك المجرى ، لأنها غير متصرفة و"مه" و"صه"و"عليك" وما أشبه هذا أبعد في التقديم والتأخير " [1] وهذه الأفعال داخلة لمعنى فيما بعدهـا والرتبة بينهما محفوظة ، أما بالنسبة لاسم الفعل فقـد ورد العـدول عن الأصل في قوله تعالى : " كتابَ الله عليكم " وقد تقدم المفعول من أجل اتصاله بالكلام السابق .

٢- كما لا يجـوز أن يفـرق بين العامـل والمعمول فيه بما ليس للعامل فيه سبب وهو غريب منه ، وذلـك نحو قولك : كانت زيداً الحمى تأخذ"هذا لا يجوز لأنك فرقت بين كان واسمها بما هو غريب منها لأن زيداً ليس بخبر لها ولا اسم ولا يجوز " زيد فيك وعمرو راغب " إذا أردت : زيدٌ فيك رغب وعمرو " لأنك فرقت بين"فيك" "ورغب"بما ليس منه وإذا قلت "زيد راغب نفسه فيك" فجعلت نفسه تأكيداً لزيد لم يجـز لأنـك فرقت بين راغب وفيك بما هو غريب منه فإن جعلت نفسه تأكيداً لما في راغب جاز وكذلك الموصـولات لا يجـوز أن يفرق بين بعض صلاتها وبعض بشيء غريب منها : تقول : " ضربي زيداً قائماً " تـريد : إذا كان قائماً ، فقائماً حال لزيد وقد سدت مسد الخبر لأن ضربي مبتدأ فإنْ قدمت قائماً على زيد لم يجـز لأنَّ زيـداً في صلة ضربي " وقائماً بمنزلة الخبر " فكما لا يجوز ضربي حَسنٌ كذلك لا يجوز ، ضربي حَسـنٌ زيداً " تريد : ضربي زيداً حسنٌ كذلك لا يجوز وكذلك جميع الصلات .[2] وذلك لأن المباني تترتب بالرتبة وبحسب قوة العلاقة المعنوية .

٣- " إذا كـان خـبر كان رافعاً لاسمٍ مؤخر عنه فإنه يجب إلزامه رتبته نحو : كان زيدٌ حسناً وجههُ لئلا يفصل بينه وبين معموله بالأجنبي ".[3]

---

(١) ابن السراج -الأصول في النحو ،ج٢، ص ٢٢٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧-٢٣٨

(٣) الرضي - شرح الكافية ، ج٤ ، ص ٢٠٥

٤- وكذلك ما أعمل من الصفات تشبيهاً بأسماء الفاعلين وعمل عمل الفعل وذلك نحو"حسن وشديد وكريم " إذا قلت : هو كريمٌ حسب الأب وهو حسنٌ وجهاً لم يجز أن تقول : هو وجهاً حسنٌ ولا هو حسبَ الأب كريمٌ وما كان من الصفات لا يشبه أسماء الفاعلين فهو أبعد له من العمل والتقدم ، وكل ما كان فيه معنى فعلٍ وليس بفعل ولا اسم فاعل فلا يجوز أن يتقدم ما عمل فيه عليه " [١] فلو قلنا هو وجهاً حسنٌ ، فحسنٌ أقرب إلى المبتدأ من وجهاً كما أن العلاقة المعنوية بين حسن والوجه لأن وجهاً تمييزٌ لـ الصفة المشبهة ولا يتقدم التمييز هنا على مميزه لأن المباني تترتب بالرتبة ولا يوجد علاقة معنوية بين المبتدأ ووجهاً ؛ ولكن تقدم معمول الصفة المشبهة في " أمّا العسل فأنا شراب لأن المعمول متصل معنوياً بأمّا ، والذي يحدد التقدم وعدمه هو رتبة المعنى ، وقد أشار الدكتور محمود شرف إلى ما يجوز تقديمه وما لا يجوز وهي في نظري تفريعات تعقد المسألة [٢].

٥- والأسماء التي تنتصب انتصاب التمييز لا يجوز أن تقدم على ما عمل فيها فلا يجوز أن تقول درهماً عشرون بدلاً من عشرون درهماً وكذلك له عندي رطل زيتاً ولا يجوز زيتاً رطلاً فإذا كان العامل في التمييز فعلاً فالناس على ترك إجازة تقديمه سوى المازني ، وذلك لأنه فاعل في الحقيقة وهو مخالف للمفعولات . وذلك قولك تفقأت شحماً فالمازني يجيز شحماً تفقأت ، ألا ترى أنه إذا قال تفقأت شحماً فالشحم هو المتفقئ كما أنه إذا قال هو خيرٌ عبداً فالعبد هو خير ولا يجوز تعريفه فبابه أولى به وإن كان العامل فيه فعلاً "[٣].

ويبدو لي أن المنع بسبب الرتبة فإذا قلنا عندي رطل زيتاً فلا نقدم التمييز على المميَّز لأن التمييز يرفع الإبهام عن المميَّز ، ولأن المباني تتقدم بالرتبة بحسب قوة العلاقة المعنوية .

" وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل موانستها لأخواتها " [٤] .

---

(١) ابن السراج - الأصول في النحو ، ج٢،ص ٢٢٩

(٢) محمود شرف الدين - الفعليات ، ص ١٩١

(٣) ابن السراج - الأصول في النحو ، ج٢ ، ص ٢٢٩

(٤) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ٤٤

٦- كمـــا أن العوامل في الأسماء لا يجوز أن يقدم عليها ما عملت فيه ومن ذلك حروف الجر ولا يجوز أن يفرق بينها وبين ما تعمل فيه ولا يجوز أن يفصل بين الجار والمجرور حشو إلاّ ما جاء في ضرورة شعر لا يجوز أن تقول زيد في اليوم الدار " تريد : في الدار اليوم "[١] .

" فالارتباط بين الجار والمجرور لا يجيز إدخال عنصر جديد (بينهما) يقول ابن جني : والفصل بين ا لجار والمجرور لا يجوز " فيرتبطان بعلاقة الاقتضاء ، ولاتحاد المعنى الذي يفيده حرف الجر : الغاية الزمنية أو المكانـــية ... ويكون ارتباطهما ببؤرة الجملة ارتباط الكلمة الواحدة فتأخُذُ حكماً واحداً بغض النظر عن الحـــركة التي أخذها الاسم المجرور فهي حركة اقتضاء ،ولا أثر لها في معنى الجملة فالحرف هو الذي يعطي المعنى المراد، التوكيد أو الواسطة ... أما الاسم فيأخذ الحكم مع أن حركته هي حركة حالة الجرّ " [٢] .

" ومـــن قبـــيل الرتـــبة المحفوظـــة رتبة الأدوات الداخـــلة على المفردات كحروف الجر والمعيـــة والاســـتثناء والعطـــف ، وإنما حفظت رتبتها لأنها تكشف عن علاقـــة ما بعدهـــا بالعنـــاصر الأخرى في الجملـــــة التي هي فيها فرتبة حروف الجر من مدخـــولها محفوظـــة وإن لم تحفـــظ رتـــبة مجموع الجـــار والمجرور ببقيـــة أجزاء الجملة . ففي قولنا " توكلنا على الله " " على الله توكلنا " يظل حرف الجـــر سابقاً على لفظ الجلالة سواء تأخر مجموعهما في الجملة أم تقدم " [٣] لأن كل ما دخل لمعنى في غيره رتبته محفوظة والعلاقـــة بيـــنهما قوية فلا يفصل بينهما وتقدم العامل على المعمول بالرتبة " فليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاهُ العقل " [٤].

ومـــن ذلك أنّ " إنّ وأخواتها " " لا يجوز أن يقـــدم عليهن ما عملن فيـــه ولا يجـــوز أن تفـــرق بيـــنهن وبـــين ما عملنَ فيه بفعل ولا تقدم أخبارهن على أسمائهن إلاّ أن تكـــون الأخبـــار ظروفـــاً فإن كـــان الخـــبر ظرفـــاً قلت : إن في الـــدار زيداً . وإنّ خلفـــك عمراً ، والظروف يتسع فيهن خاصة ، ولكن لا يجوز أن تقدم الظرف على إنّ " [٥] وإنّ تدخل لمعنى فيما بعدها فهو أقرب إليها من غيره .

---

(١) ابن السراج – الأصول في النحو ، ج٢، ص ٢٣٠

(٢) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٩٩

(٣) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٩٣

(٤) عبد القاهر الجرجاني –دلائل الإعجاز ، ص ٤٩-٥٠

(٥) ابن السراج – الأصول في النحو ، ج٢، ص ٢٣١

٧- كما لا تتقدم الأسماء على الأفعال التي تدخل عليها الحروف عاملة كانت أو غير عاملة ، فالحروف العوامـــل في الأفعال الناصبة نحو " جئتك كي زيد يقول ذاك " لا يجوز ولا يجوز " لم زيد يأتك " لأن الجزم نظير الجر ولا يجوز أن تفصل بينها وبين الفعل بحشو " [١] .

وفي رأيي أن هذا في حاجة إلى إعادة نظر كما سيأتي في التمايز النحوي والدلالي .

" وأما نظم الكلم فهو نظم يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه من بعض ، وليس هو النظم الذي معناهُ ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق " [٢] واعتبار حال المنظوم بعضه من بعض يعتمد على العلاقة المعنوية .

٨- " كمـــا لا يجـــوز أن يفصـــل بين الحروف غير العوامـــل وما تدخـــل عليه نحـــو " قد " ومن هـــذه الحروف ،سوف (يفعل) لا يجوز أن تفصل بين سوف وبين يفعل لأنها بمنزلة السين في سيفعل وما شبه بهذه الحروف ربما وقلما وأشباهما ،جعلوا رب مع ما بمنزلة كلمة واحدة ليذكر بعدها الفعل ومثل ذلك هلاّ ولولا وألا ألزموهن لا" وجعلـــوا كـــل واحدة مع "لا" بمنزلة حرف واحد وأخلصوهن للفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض وقد يجوز في الشعر تقديم الاسم قال الشاعر (عمر بن أبي ربيعة) :

صددت فأطولت الصدود وقلما وصالٌ على طول الصدود يدومُ

وهـــذا لفـــظ سيبويه " [٣] وذلك لأن المباني تتقدم بالرتبة والفعل أقرب إلى قلما من الفاعل الذي صار مبتدأ . وأرى أن في هذا عدولاً عن الأصل كما سنرى .

٩- " ومعمـــــول اسم التفضيل لا يتقـــدم عليه مثل "خالد أحسن منك متحدثاً " فلا يُقال :" خالدٌ متحدثاً أحسن منك " [٤] لأن المتحدث في الأولى هو المفضل عليه ، و في الثانية المفضل .

١٠- ومـــن ذلـــك أنه لا يجـــوز أن يُقدم ما عمل فيه معنى الفعل و لم يكن فعلاً ، إلاّ أن يكون المعمول ظرفاً وذلـــك قولك : فيها زيد قائماً ،لا يجوز أن تُقدم "قائماً "على"فيها" لأنه ليس هنا فعل ، إنما أعملت فيها في الحال لما تدل عليه من الاستقرار،وكذلك إذا قلت هذا زيد منطلقاً،لا يجوز أن تقدم منطلقاً على هذا ،لأن العامل هنا دل على

---

(١) ابن السراج -الأصول في النحو ،ج٢، ص ٢٣١

(٢) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ٤٩

(٣) ابن السراج - الأصول في النحو ، ج٢ ، ص ٢٣٣-٢٣٤

(٤) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٦٥

ما دل عليه هذا وهو التنبيه وليس بفعل ظاهر ، فأما الظرف الذي يُقدم إذا كان العامل فيه معنى فنحو قولك أكلُ يوم لك ثوب " العامل في كل معنى لك وهو الملك [١].

وكـــل هذا يؤكد أن المباني تترتب بالرتبة (المنزلة) وبحسب قوة العلاقة المعنوية القائمة بين الكلام . وأن المعنى هـــو الـــذي يحدد ما يجوز وما لا يجوز والكلام قد يكون بحسب الأصل أو خروجاً عن الأصل أو قبيحاً أو متناقضاً أومحـــالاً أو كما قال سيبويه :" الكلام مستقيم ومحال والمستقيم مستقيم حسن ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وهناك المحال والمحال الكذب " [٢] والذي يحدد هذا رتبة المعنى .

٣- دور الرتبة في الصحة النحوية والدلالية (التفاضل) : -

تـــتمـــايز التراكيـــب من حيث الصحـــة النحويـــة والدلاليـــة "فثمة تعبيرات فصيحة صحيحة وتعبيرات غير صحيحة ، فالفصيحـــة هي التي جرت على سنن العربية وقواعدها وأصـــولها والغلط هي التي خرجت عن ذلك . ثم إن التعـــبيرات الصحيحة أو الجـــائزة ليست على مستوى واحـــد في الفصاحة والحسن ، فقد يكون تعبير أفصح من تعبير فهي تتدرج في القوة والضعف حتى تصل إلى درجة الخبث أو الضعف الشديد " [٣].

وذلـــك راجـــع إلى بعـــض المؤثرات كتعدد المبنى للوظيفة الواحدة ، والعلامة الإعرابية ، والتضام ، والصيغة ، والربط والأداة ، والمطابقة ، والرتبة ... إلخ .

وكـــل هـــــذه المؤثرات تـــؤدي إلى أن تتمايز التراكيب نحويـــاً ودلالياً ، وقد تختلف دلالياً دون اختلاف في الصحة النحوية ، وقـــد تختلف في الصحة النحوية والدلالية كلتيهما .

والرتبة من بين الأسباب التي تؤدي إلى التمايز النحوي والدلالي .

ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية : -

١- عقـــد ســـيبويه في كتابه باباً سماه "باب الاستقامة من الكلام والإحالة " فقال : " فمنه مستقيم حسن ، ومحال ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب فأما المستقيم الحسن فقولك أتيتُك أمس وسآتيك غداً وأمـــا المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره،فتقول:آتيتُك غداً وسآتيك أمس وأما المستقيم الكذب فكقولك حملت

---

(١) ابن السراج - الأصول في النحو ، ج٢، ص ٢٤٦-٢٤٧

(٢) سيبويه – الكتاب ، ج١ ، ص ٢٥

(٣) فاضل السامرائي - الجملة العربية ،ص١١٩

الجبل وشربتُ ماءَ البحر ونحوه ، أما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك " قد زيداً رأيتُ وكي زيدٌ يأتيك " وأشباه هذا . وأما المحال الكذب فأن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس " [١]

" وفي هـــذا النص القصير تكـــمن بـــذور نظرية نحويـــة دلالية حيث تنـــدمج في تواؤم حميم قوانين النحو مـــع قوانين الدلالة "[٢] . فالكلام عند سيبويه إما مستقيم ، وإما محال ، والمستقيم منه الحسن ، والكذب ، والقبيح ، والمحال فمنه المحال ، والمحال الكذب .

ولعـــلّ كلمـــة الاستقامـــة في هـــذا النص تعني الصحّـــة والصـــواب أو السير على نهـــج العرب وطريقتهم ، أما الإحالـــــة فـــتعني الخطـــأ أو مخالفـــة طريقـــة العـــرب في الكـــلام وما يهمنـــا في هـــذا النص هـــو المستقيم القبيح .

ومـــثاله " قـــد زيـــداً رأيت " " وكي زيدٌ يأتيك " ويعرفه سيبويه فيقول : فأن تضع اللفظ في غير موضعه " فالكلام المستقيم القبيح وهو في الدرجة الثالثة من حيث الصحة ، هو الذي وضعت ألفاظه في غير أماكنها المناسبة لها ، مما أدى إلى اختلال التراكيب .

فالعلاقة المعنوية بين قد ورأى ، كما هي بين رأى والفاعل والمفعول وهناك علاقة تلازم بين قد والفعل وليس بين قد والاسم ، وهذه الجملة مستقيمة حسنة ، وكذلك العلاقة بين كي ويأتي وبين يأتي والفاعل والمفعول . وهناك علاقة تلازم بين كي والفعل . وهذه الجملة صحيحة حسنة .

أمـــا في الأمـــثلة القبيحة فقد عكست العلاقة فصارت بين قد والاسم وبين كي والاسم وقد وكي تحتاجان للفعل وليس للاسم بسبب علاقة التلازم بين المبني عليه والمبني أو العامل والمعمول . " وقد " لا تحتاج للاسم وليس لها معه علاقة معنوية ،وكذلك كي لا تحتاج للاسم ،وليس لها معه علاقة معنوية.

---

(١) سيبويه – الكتاب ،ج١، ص ٢٥-٢٦

(٢) محمد حماسة – المعنى النحوي الدلالي ، ص٦١

وهذه الأمثلة لم تتركب التركيب الصحيح ولكنها من ناحية المعنى مقبولة مما أدى إلى تصنيفها في مرتبة المستقيم القبيح ولو حذفنا " قد " لصارت من المستقيم الحسن لأن زيداً في نية التأخير فهذه الجملة غير صحيحة نحوياً ولكنها مقبولة معنوياً ، والذي أدى إلى قبولها هو المعنى المحصل من الكلام .

٢- وهـــذا ما يؤكده سيبويه حيث يقول :" ويختملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير مواضعه لأنه مستقيم ليس فيه تناقض فمن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة

صددتِ فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

وإنما الكلام وقلما يدوم وصال "[1] ، فأصل العلاقة بين قلما ويدوم وبين يدوم ووصال .

ولكن تداخل الرتبة أدى إلى جعل العلاقة بين قلمَّا ووصال وبين وصال ويدوم .

وقـــلما ليست بحاجة إلى وصال وليس لها معه علاقة معنوية ، والجملة مع ذلك مقبولة معنوياً ، ولكنها ليست صحيحة نحوياً .

والـــذي أدى إلى قبح هذه الجملة هو ضعف العلاقة مع قلّما ، فلو كانت محذوفة لوصفت الجملة بالاستقامة الحسنة .

وهـــذه ضرورة واضطرار العرب إلى ذلك محاولة منهم للوصول إلى أصل من الأصول والأصل المحاول هنا مجيء الاسم قبل الفعل ، فالعربي لا يضع كلامه في مكان غير صحيح إلا وهو يحاول وجهاً كان صحيحاً .

---

(١) سيبويه - الكتاب ،ج١، ص ٣١

٣- ومـــن ذلك : كانت الحمى تأخذ زيداً ، فهذه جملة مستقيمة حسنة ، ولكن تقديم زيد كقولنا كانت زيداً الحمى تأخذ ، جملة غير صحيحة نحوياً لأننا فصلنا بين كان واسمها بما هو غريب عنها أي أنه لا يوجد علاقة معنوية بين كان وزيد ، وهذا ما يسميه النحاة الفصل بين العامل والمعمول .

فقـــد كانت العلاقة بين كانت والحمى وبين تأخذ وزيداً وتقديم زيدٍ جعل العلاقة بين "كانت" و" زيد " و "زيد" لا ينبني على كانت والعلاقة بين تأخذ وزيد وقد فصل بينهما كلمة الحمى و"زيداً "لا ينبني على تأخذ .

فانـــتفاء العلاقة المعنوية جعل هذه الجملة مرفوضة وهذا ما يسميه النحاة الفصل بين العامل والمعمول بالأجنبي .

٤- ويقـــول ابن السراج فالبصريون يجيزون : أباه عبدالله زيدٌ ضارب وغيرهم لا يجيزها وهو عندي قبح لبعد العامل من الذي عمل فيه [١] .

أي أنـــه لا يوجد علاقة معنوية بين زيد وبين " أباهُ عبدالله " ولذلك قبح التقديم ولو كانت : أباهُ عبدالله ضـــرب زيد لكان ذلك جائزاً ، وقد يقال بأنه تقديم على نية التأخير ولكن حتى مع هذا التقديم لا بد من وجود علاقة معنوية كأن تقول :

عمراً ضرب زيد أو ضرب زيداً عمرو أو ضرب زيدٌ عمراً .

فهناك علاقة لعمرو مع ضرب سواء تقدم أو تأخر .

---

(١) ابن السراج - الأصول في النحو، ج٢، ص ٢٤٤

ولكن " أباه عبدالله زيد ضارب " أصلها جملة اسمية وهي " زيد ضارب أباه عبدالله " ولا يوجد علاقة معنوية بين زيد وبين المفعول ولذلك قبح التقديم . ولو كانت : أباه عبدالله ضرب زيد لجاز ذلك .

يقول الجرجاني : وهل قالوا لفظة متمكنة ، ومقبولة ، وفي خلافه ، قلقة ونابية ومستكرهة ، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ، وبالقلق والنبوّ عن سوء التلازم وأن الأولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها ، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للثانية من موادها [١].

٥- ومن القبح كذلك قولهم : كان يقوم زيد [٢].لأنه لا يوجد علاقة معنوية بين كان ويقوم والعلاقة بين كان وزيد ولكن تقدم الخبر بالرتبة خروجاً عن الأصل،لأن الأصل أن لا يتقدم لأنه خبر فعلي، حتى لا تشتبه الاسمية بالفعلية ، ولما كان الفعل لا يدخل على الفعل فقد حصل القبح بسبب من صيغة الخبر ولو كان مفرداً لجاز والدليل على ذلك أنه يجوز أن نقول زيد كان يلعب لوجود الضمير بين الفعلين ، والجملة من ناحية معنوية مقبولة ولكنها غير صحيحة نحوياً وقبيحة .

٦- ومن هذا : اجلس إذا جلس زيدٌ " أقوى وأحسن من " اجلِس إذا زيدٌ جلس " [٣] لأن إذا مختصة بالدخول على الجملة الفعلية .

٧- كما يقول سيبويه:"وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل، إلاّ أنهم قد توسعوا فيها فابتدأ وا بعدها الأسماء ،والأصل غير ذلك ،ألا ترى أنهم يقولون:هل زيد منطلق؟وهل زيد في الدار؟فإن قلت هل زيداً رأيت؟وهل زيدٌ ذهب؟قبح و لم يجز إلا في الشعر،لأنه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل،فإن اضطر شاعر فقدم الاسم ،نصب

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ٤٥

(٢) ابن جني - الخصائص ،ج١،ص٣٠٩

(٣) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص١٢٣

كما كنت فاعلاً ذلك بقد ونحوها،وهو في هذه أحسن،لأنه يبتدأ بعدها الأسماء وإنما فعلوا ذلك بالاستفهام،لأنه كالأمر في أنه غير واجب،وأنه يريد به من المخاطب أمراً لم يستقر عند السائل،فلهذا اختير النصب،وكرهوا تقديم الاسم لأنها حروف ضارعت بما بعدها حروف الجزاء،وجوابها كجوابه،وقد يصير معنى حديثها إليه وهي غير واجبة الجزاء "[١].

وقبح هل زيداً رأيت،وهل زيد ذهب،ناتج عن عدم تناسب المعاني بالرتبة بعضها مع بعض لأن هل مرتبطة معنوياً بالفعل ، فصارت مرتبطة بالاسم ، وعملية البناء لم تتم على الوجه الصحيح فلو تأخـــرت هل بعد زيد لكان مستقيماً حسناً ، ولو حذفت لكان مستقيما حسناً أيضاً ، فالجملة عندها مبتدأ وخبر ، والمعاني متصلة بالرتبة .

"غـــير أن الـــذي أود أن أقوله: إنّ قسماً من الأحكام التي يطلقها النحاة تعتمد على الاجتهاد والتعليل فيصحح بعضهم ما يمنعه بعض آخر ، بل إن في تضعيف بعض التعبيرات نظراً ، لأن كل تعبير له معنى معين " [٢] فالمعنى الذي يفيده تقدم زيدٍ في " قد زيداً رأيت " يختلف عن المعنى الذي يفيده التأخير ، فالمعنى مع التقدم يفيد الاختصاص ، ولا يفيد التأخير ذلك المعنى ، ثم ما المانع من أن تؤكد " قد " المرئي كما تؤكد فعل الرؤية ؟ فإن كان ولا بد من جعل " قـــد " من الحروف المختصة بالفعل فإنه كما تم العدول عن الأصل فإنه يمكن العدول عن مراعاة الاختصاص بما سماه الدكتور تمام "تجاهل الاختصاص " من أجل الغرض الأسلوبي " [٣] .

فقد نعبّر عن المعاني بتجاهل الاختصاص بصورة أجمل من التعبير عنها مع مراعاة الاختصاص ، وقد نعتبر تجاهل الاختصاص سمة أسلوبية عند بعض المنشئين نكشف عن طريقها عن نفسية هذا المنشئ أو ذاك عندما يكثر من الخروج عـــن الأصـــل مـــثلاً"ومن التلازم نوع يكون الفصل فيه ممكناً سائغاً ، بل ويؤدي غرضاً بلاغياً أو يوصل إلى معنى تحويلي"[٤].

---

(١) سيبويه – الكتاب ، ج١ ، ص ٩٨-٩٩

(٢) فاضل السامرائي – الجملة العربية ، ص ١٢١

(٣) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٣٩١

(٤) خليل عمايره – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ١٩٠

ولا أظن أن أحداً منا يمتنع عن التفريق بين:اجلس إذا جلس زيدٌ،و" اجلس إذا زيدٌ جلس"فالأولى تعني . اجلس إذا جلس(و لم يذهب أو لم يقف)زيد،والثانية تعني: اجلس إذا زيد(وليس غيره)جلس فلكل تركيب معنى خاصٌ به .

وهل يمكن أن نعامل جملاً كـ : كانت زيداً الحمى تأخذ ، جاء نحج الذي ، جاءَ إلا القومُ زيداً ، زيد البيت في .... الخ كقوله تعالى :" إذا السماءُ انشقت " أو " وإن أحدٌ من المشركين استجارك " ، " أو قول العرب : إذا محمد جاءك فأكرمه " أو قول الشاعر : ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي ؟ [١].

فالذي يبدو لي أن الأولى الأخذ برأي الأخفش في أنَّ "إذا" قد يليها الفعل وقد يليها الاسم " [٢] أو على الأقل أن تعامل إذا وأشباهها معاملة العدول عن ا لأصل وليس وصفها بالقبح ، خاصة وأن المباني تترتب بالمنزلة وحسب قوة العلاقة المعنوية،فقد يكون الفعل أو الاسم أقرب إلى"قد"أو"إن"أو إذا ... الخ " ذلك أن العلاقات النحوية إذا اتضحت و لم يحط بها اللبس فإنه يمكن للمتكلم أن يمارس في شأنها قدراً من الحرية يباعد به بين طرفي العلاقة " [٣] .

"فإذا كان كل من التعبيرين،يفيد معنى معيناً يختلف عن الآخر، لم يصح الترجيح،فإن كانا لمعنى واحد كأن يكونا لغتين أو كان التعبير مخالفاً للقواعد الأساسية أو لما ورد عن العرب،جاز أن يوصف بالضعف وأن يرجح عليه غيره"[٤].

وبناءً عليه فإننا يمكن أن نعتبر من العدول عن مراعاة الاختصاص قوله تعالى :" قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق " (الإسراء ١٠٠) .

" إذ دخلت لو على الضمير وحقها أن تدخل على الفعل الماضي ، وربما أول النحاةُ ذلك بحذف كان وانفصال الضمير بعد الحذف ، والأصل " لو كنتم تملكون " [٥] . " وفي هذه الآية دلالة على الاختصاص ، وإن الناس هم المختصون بالشُح المتبالغ ونحوه قول حاتم " لو ذات سوار لطمتني" وقول المتلمس "ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي " وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسِّر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر " [٦] كما استشعر من قولي حاتم

---

(١) انظر معاني النحو ، ج١، ص ١٠٥، ج٤ ، ص ١٠٢وما بعدها وكذلك ، الوجوب في النحو،ص٢٦١وما بعدها .

(٢) فاضل السامرائي – معاني النحو ،ج٤، ص ١٠٥ وكذلك خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ص ٩٦،٩٧

(٣) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ١٣٤

(٤) فاضل السامرائي – الجملة العربية ، ص ١٢٢

(٥) تمام حسان – البيان في روائع القرآن ، ص ٣٩١

(٦) فاضل السامرائي – معاني النحو ،ج٤، ص ١٠٣-١٠٤

والمتلمس استنكاراً للفعل ، ولو أنه صدر من غير فاعله لاستطاع تحمّله ، لأن ظلم ذوي القربى أشد مضاضةً .كما أنّ "لو" هنا عليها مسحةٌ من التمنّي فقد تقدمت المباني بالمنزلة .

ومـــنه أيضاً قوله تعالى"إذا السماءُ انشقت "(الانشقاق)وقوله :"إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت *وإذا الـــبحار فجرّت * وإذا القبور بُعثرت " (الانفطار ١-٤) . " فهذه من مواطن التهويل وذلك أن انفطار السماء وانتثار الكواكب ، وتفجير البحار وبعثرة القبور ، كل ذلك مما يؤدي إلى الهول الكبير والرعب ، فقدمها لهذا الغرض ألا ترى أنه قال " إذا زلزلت الأرض زلزالها " (الزلزلة ١) فلم يقدم الاسم وذلك لأنه مشهد الزلازل واقع متكرر على الأعـــوام والأيام وإن كانت هذه الزلزلة أعظم منها جميعاً بخلاف المشاهد التي ذكرها فإنه لم يحدث أن انشقت السماء أو انفطرت أو انتثرت النجوم أو انفجرت البحار ، فالهول والفزع هنا أكبر ، فقدم ما قدم للتهويل " [1] وللأهمية .

ومثل ذلك قوله تعالى : " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره " (التوبة ٦) فالأهمية للشخصية المستجيرة وليس لفعل الاستجارة .

والـــذي يبدو لي أن " قلّما " مأخوذة في الأصل من قلّ ، وهذا الفعل يجوز دخوله على الاسم ، فنقول : قلّ وصـــالٌ يـــدوم ، ولكن إذا ما تقدم الفعل لا يصح اتصاله مع قلّ ، لأن الفعل لا يدخل على الفعل ولذلك جيء بما للفصل بين الفعلين فصارت قلمَّا ، ثم صارت قلّما تستخدم مع الفعل والاسم وهي تتقدم بالصدارة ثم يتبعها ما يرتبط بها معنوياً أصلاً وعدولاً ، فهي ليست قبيحة .

و " إذا " كذلك مثلها فالأصل كما يقول النحاة أنها مختصة بالجملة الفعلية ولكنها يمكن أن تدخل على الجملة الاسمية عدولاً كقول الشاعر بشر بن أبي خازم :

فرجي الخير وانتظري إيابي إذا ما القارظُ العنزيُ آبا

أمـــا بالنســـبة لإعراب ما بعدها ، فإني أميل إلى إعراب المرفوع مبتدأ ، و المنصوب مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً يفسره المذكور وتقدير فعل هنا ليس لأن هذه الأدوات مختصة بالأفعال وإنما لأن المنصوب المتقدم لم يعد مطلوباً للمتأخر فلابد أن يكون مطلوباً لفعل متقدم .ويحتج بعض النحاة لعدم جواز إعراب المرفوع مبتدأ بـــ "إن زيداً رأيته

---

(١) فاضل السامرائي – معاني النحو،ج٢، ص١٠٤

"لأن زيداً منصوب فلابد من فعل ناصبٍ له ، وهذا صحيح ولكن تقدير الفعل هنا بسبب النصب في (زيداً) وليس بسبب من إنْ لأن المنصوب بحاجة إلى المبني عليه وكل الجملة مبنية على إن . كما نقول :-

"إن زيدٌ جاء فأكرمه " فجملة الشرط "مبتدأ وخبر مبنية على "إنْ"

"ولا ضرورة تحمل النحاة على تقدير فعل و فاعل في نحو : إن زيد جاءك فأكرمه " لأن من أصولهم أن التقدير يكون بقدره ، ولا يلجأ إليه في العمل إلا إذا عدم التركيب عاملاً لفظياً يمكن إسناد العمل إليه ، فلا ينجأ إلى التقدير إلاّ لضرورة إقامة المعنى النحوي للتركيب "[١] كما أن التقدير مفسد للمعنى [٢] .

ويمكن أن نعتبر من القبيح ، قولهم : كانت زيداً الحمى تأخذ ، ومن التناقض أن نقول مثلاً : " أنا هو حاضرٌ " فلو كان الضمير يعود على الاسم بعده لكان الكلام متناقضاً ، إذ كيف يكون الغائب حاضراً متكلما " [٣] .

وكذلك يصح أن تقول : ما شتمت خالداً ولا غيره ، ولا يصح أن تقول ما خالداً شتمت ولا غيره لأنه تناقض ، إذ قولك ما خالداً شتمت معناه شتمت غيره فكيف يصح أن تقول ولا غيره [٤].

وتقديم المفعول أفاد تخصيص نفي وقوع الضرب عليه ، فالضرب إذاً وقع على غيره. أما الأولى فالنفي يشمل وقوع الضرب على خالد وعلى غيره"ففي النفي نجد أداة نفي خاصة تربط أو تقيّدُ لفظاً خاصاً بالنفي ، أو سوراً فارغاً ، وهذه الألفاظ الخاصة والأسوار الفارغة محدودة التوزيع ، ولا ترد في البنى التبئيرية أو التفكيكية ، لأن العجرة (بو) تقع حاجزاً في وجه التسوير ، فتسوير النفي إذا وجد فيها لا يمتدُّ إلاّ إلى البورة أو الموضوع ولا يتعداها إلى مكونات داخل الجملة ، وهذا يفسّر لحن التراكيب المفككة التي توجد فيها أسوار فارغة أو ألفاظ خاصة مثل :

ما أنا رأيتُ من رجل ما زيداً ضربَ أحدٌ ما أنا ضربتُ إلاّ زيداً .[٥]

---

(١) حصة الرشود - الوجوب في النحو ، ص ٢٦٥ .

(٢) فاضل السامرائي معاني النحو ، ج٤ ، ص ١٠٥ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه ،ج١، ص ٥٩

(٤) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٨٩

(٥) الفهري - اللسانيات واللغة العربية ، ص ١٢٥-١٢٦

والـــذي أدى إلى التناقض تداخل الرتبة ، فالفرق بين الجمـــلة الصحيحة،وغير الصحيحة،أو القبيحة هو الفرق بين تنفيذ قانون الرتبة أو إهداره أو تجاهله .

"ومـــا ينبغي أن تعلمـــه أنه يصـــح لك أن تقـــول "ما ضربتٌ زيداً ولكن أكرمته"فتعقب الفعل المنفي بإثـــباتِ فعـــلٍ هـــو ضـــده ، ولا يصح أن تقول"ما زيداً ضربتُ ولكن أكرمـــته"وذاك أنك لم ترد أن تقـــول لم يكـــن الفعل هـــذا ولكن ذاك ولكنك أردت: لم يكن المفعـــول هـــذا ولكن ذاك فالواجب إذن أن تقـــول ما زيداً ضـــربت ولا عمراً [١] فتـــقدم المفعول أفـــاد التخصيص والاهتمام ونفي الضرب عنه يثبته لغيره ولذلك نقض أول الكلام بآخره فالمعنى يحـــدد صحـــة الكلام أو قبحـــه أو تناقضـــه .

ومـــن جمـــلـــة مـــا ذكر يتضـــح لي أن إعـــادة تـــوزيـــع الرتبـــة تـــؤدي إلى اختـــلاف في صحـــة التركيـــب ، وأنها ليست مسألة شكلية تتم اعتباطياً بلا ضـــابط أو رقيب كما يبدو أن كل العمليات التي تتم داخل اللغة تعتمد على رتـــبـــة المعنى . ومن الملاحظ أن منزلة المعنى هي التي تـــؤثر في تصنيف وتمايز الكلام وهي المتحكمة في التراكيب ، فالكلام في استقامته أو قبحه أو تناقضه يعتمد على رتبة المعنى ، لأن اللغة واختلافها نابع من استخدام محوري التنويع والتوزيع .

" فالقواعـــد والقوانين النـــحويـــة المسؤولـــة عـــن بنـــاء الجمـــل وتراكيبهـــا فطريـــة ذهنيـــة كليـــة عالميـــة ، وهي التي تقـــوم بضبـــط الجمـــل بعـــد توليدهـــا لتجعلهـــا جمـــلاً نحويـــة أو غـــير نحويـــة يدركها المتكلم والســـامـــع المثالي في لغـــة معينة

Grammatical or Ungrammatical sentences

Native ideal speaker hearer "[٢] .

---

(١) فاضل السامرائي – معاني النحو ،ج٢،ص٨٩ .

(٢) حلمي عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٥٦

٤- دور الرتبة البنيوي : " في مجال البنية :

ويمتد تأثير الرتبة ليشمل الجانب الصرفي من الظاهرة النحوية ، كالتذكير والتأنيث والنوع والتعريف والتذكير ، فمن ذلك : -

١- " واتفقوا على أن الفعل إذا تأخر عن فاعله المؤنث ، فلا بد من إثبات تاء التأنيث وإن لم يكن تأنيثه حقيقة ، لأن الفعل إذا تأخر كان فاعله مضمراً فيه متصلاً فيه اتصال الجزء بالكل ،فلم يكن بد من ثبوت التاء لفرط الاتصال .

وإذا تقـــدم الفعـــل متصلاً بفاعله الظاهر فليس مؤخراً الاتصال كهو مع المضمر ، لأن الفاعل الظاهر كلمة والفعل كلمة أخرى والفاعل المضمر والفعل كلمة واحدة ، فكان حذف التاء في قامت هند وطالت النخلة أقرب إلى الجواز في قولك النخلة طالت ، فإن حجز بين الفعل وفاعله حاجز كان حذف التاء حسناً وكلما كثرت الحواجز كان حذفها أحسن . (وذلك بسبب ضعف العلاقة بين الفعل و الفاعل)

فإن قلت : فلم لا تقول : الأعراب قال،كما يجوز ذلك في حال تقدم الفعل ؟قلنا :ثبوت التاء إنما كان مراعاة لمعـــنى الجماعـــة فـــإن أردت ذلك المعنى أثبت التاء وإن تأخر الفعل لم يجز حذفه لاتصاله بالضمير . وإن لم ترد معنى الجماعـــة، حذفت التاء إذا تقدم الفعل واحتيج إليها إذا تأخر ، لأن ضمير الفاعلين جماعة في المعنى وليسوا بجمع لأن الجمع مصدر جمعتُ أجمعُ ، فمن قال إن التذكير في ذهب الرجال وقام الهندات مراعاة لمعنى الجمع فقد أخطأ.

فـــإن قـــيل : فلم قلتم إن التاء حرف و لم تجعلوها علامـــة إضمار إذا تأخرت وعلامة تأنيث إذا تقدمت؟ قلنا :قالت العرب الهندان قامتـــا وفعلتا بالتاء والضمير معـــاً يـــدل على أن التـــاء حرف وليست ضميراً إذ لا يكون للفعل ضمـــيران فاعـــلان [١] .

٢ـــ والأصـــل في صـــاحب الحـــال التعريف ويقـــع نكـــرة بمســـوغ كأن يتقدم عليه الحال ، نحو :في الدار جالساً رجلٌ " و لمية موحشاً طللٌ " [٢].

٣ ـــ وإذا تقدّم الفعلُ أفرِد وإذا تأخّر ثني وجمع من أجل إيجاد رابط بين المبتدأ والخبر .

---

(١) السهيلي - نتائج الفكر ،ص ١٦٩ ـــ ١٧٠

(٢) ابن هشام - أوضح المسالك ، ج ٢ ، ص ٣٠٩

٤ ـــ " والقاعدة أنه متى تأتّى اتصال الضمير لم يعدل إلى انفصاله نحو قمتُ و" أكرمتك" لا يقال فيهما "قام أنا" ولا " أكرمتُ إياك " ومثال ما لم يتأت فيه الاتصال أن يتقدم الضمير على عامله نحو إياك نعبد " (الفاتحة ٤) " أو يلي إلا نحو " أمر ألاّ تعبدوا إلا إياه (يوسف٤٠) ، وذلك أمناً للبس .

ويستثنى من هذه القاعدة مسألتان : إحداهما : أن يكون عامل الضمير عاملاً في ضمير آخر أعرف منه مقدماً عليه وليس مرفوعاً ،فيجوز حينئذٍ في الضمير الثاني الوجهان ، ثم إن كان العاملُ فعلاً غير ناسخ فالوصل أرجح كالهاء في سلنيه،قال الله تعالى:(فَسَيَكْفيكَهُم اللهُ)(٢٧ البقرة) (أَنُلْزِمُكُموها)(٢٨ هود) (إن يسألكُموها)(٣٨ محمد)ومن الفصل " إن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم " (حديث شريف) وإن كان اسماً فالفصل أرجح " نحو " عجبتُ من حبّي إياهُ " وإن كان فعلاً ناسخاً نحو خلتنيه فالأرجح عند الجمهور الفصل .

الثانية : أن يكون منصوباً بكان أو إحدى أخواتها نحو " الصديقُ كنته " أو كانه زيدٌ "وفي الأرجح من الوجهين الخلاف المذكور ومن ورود الوصل ، الحديث:(إن يكنه فلن تُسلّط عليه) ومن ورود الفصل قوله [١]:

لئن كان إياهُ لقد حال بعّدنا

عن العهدِ والإنسانُ قد يتغير

ولو كان الضمير السابق في المسألة الأولى مرفوعاً وجب الوصل نحو " ضربتُه " ولو كان غير أعرف وجب الفصل " أعطاهُ إياك " ومن ثم وجب الفصل إذا اتحدت الرتبةُ نحو " ملكتني إيايّ " ، وقد يباحُ الوصلُ إن كان الاتحاد في الغيبة واختلف لفظ الضميرين كقوله [٢]:

لوجهك في الإحسانِ بسطٌ وبهجةٌ

أنا لهماهُ قَفْوُ أكرمِ والدِ "[٣]

والمهم أنه يتعين انفصال الضمير إن تأخر العامل نحو " إياك نعبد " [٤] .

لأن بقاء الضمير مقدماً متصلاً يسبب اللبس كقولنا : كنعبدُ .

---

(١) البغدادي – خزانة الأدب ، ج٥ ، ص ٣١٣ ، و البيت لعمر بن أبي ربيعة .

(٢) لم أعثر على قائل هذا البيت ، وانظر إميل بديع يعقوب – المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ،ج١،ص ٢٦٨

(٣) ابن هشام – أوضح المسالك ، ج ١ ، ٩٠ ـــ ١٠٥

(٤) أبو حيان – ارتشاف الضرب ، ج ٢ ، ص ٩٣٢

المبحث الثالث

دور الرتبـــة في المعـــنى

يقـــول ابـــن جني في باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني : "اعلم أن هذا الباب من أشـــرف فصـــول العربية وأكرمها وأعلاها ... وذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها، وتهذبها ، وتراعيها، وتلاحظ أحكامها ، ...فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدراً في نفوسها . فأول ذلك عنايتها بألفاظها ، فإنهـــا لما كانت عنوان معانيها، وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميها، أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تخيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد [١] .

وهذا يعني أن اعتناءهم باللفظ من أجل المعنى .

كما يقول : ويدلك على تمكـــن المعنى في نفوسهـــم وتقدمـــه للفـــظ عنـــدهم ، تقديمهـــم لحـــرف المعنى في أول الكـــلمـــة وذلك لقـــوة العنايـــة به ، فقدمـــوا دليلـــه ليكـــون ذلك أمـــارة لتمكنـــه عندهـــم ، وعلى ذلـــك تقـــدمت حروف المضـــارعة في أول الفعل ، إذ كن دلائل على الفاعلين من هم ، وما هم ، وكم عددهم ، نحـــو أفعل ونفعل وتفعل . وحكمـــوا بضد هـــذا اللفـــظ ألا تـــرى إلى ما قالـــه أبو عثمـــان في الإلحـــاق ، إن أقيسه أن يكون بتكرير اللام فقال : باب شمللت ، صعررت أقيس من باب حوقلت وبيطرتُ وجهورتُ أفلا ترى إلى حـــروف المعاني كيف بابها التقدم وإلى حروف الإلحاق والصناعة كيف بابها التأخر ، فلو لم يعرف سبق المعنى عندهم وعلوه في تصورهم إلا بتقدم دليله وتأخر نقيضه ، لكان مغنياً من غيره كافياً .

وعـــلى هـــذا حشوا بحروف المعاني فخصوها بكونها حشواً وأمنوا عليها مالا يؤمن على الأطراف المعرضة للحذف والإجحاف .[٢]

وفي هذا يقول السهيلي : -

دخـــول الزوائـــد على الحروف الأصليـــة ، منبئة عن معـــانٍ زائـــدة على معنى الكلمـــة التي وضعت الحروف الأصـــليـــة عبـــارة عنه ، فـــإذا كـــان المعنى الزائـــد آخراً كانت الزيـــادة آخراً ، كنحو التاء في فعلت لأنها تنبئ

---

(١) ابن جني - الخصائص ، ج١،ص ٢٣٧

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٤

عما رتبته بعد الفعل ، وإن كان المعنى الزائد أولاً كانت الزيـادة المنبئة عنه أولاً مسبقة على حـروف الكلمة كهذه الـزوائد الأربعـة فإنها تنبئ أن الفعل لم يحصل بعد لفاعله ، وأن بينه وبين تحصيله جزءاً من الزمـان ، فكان الحرف الـزائد السابق للفظ الفعل مشيراً في اللسان إلى ذلك الجزء من الزمـان ، مرتباً في البيـان حسب ترتيب المعنى في الجنان وكذلك حكم جميـع ما يـرد عليك في كـلامهـم .

والأصل في هذه الزوائد هي الياء بدليل كونها في الموضع الذي لا يحتاج فيه إلى الفرق بين مذكر ومونث وهو فعـل جماعـة النساء ، ولأن الواو لا تزاد أولاً كي لا تشبه واو العطف ، والألف لا تزاد أولاً لسكونها . ولما أرادوا الفـرق كانـت الهمزة بفعل المتكلم أولى ، لإشعاره بالضمير المستتر في الفعل ، إذ هي أول حروف ذلك الضمير إذا خفـي واستتر ، وكانت التاء من تفعل للمخاطب لوجودها في ضميره المستتر فيه ، وإن لم تكن في أول لفظ الضمير أعني(أنت) ولكنها في آخره ، و لم يخصوا بالدلالة عليه ما هو في أول لفظه — أعني الهمزة — لمشاركته للمتكلم فيها وفي الـنون فلم يبق من لفظ الضمير إلاّ التاء ، فجعلوها في أول الفعل ، علماً عليه ، وإيحاءً إليه ، فإن قيل فكان يلزم على هذا أن تكون الزيادة في فعل الغائب " هو " لوجودها في ضمير الغائب إذا أبرز ؟ فالجواب : أنه لا ضمير في فعل الغائـب في أصل الكلام وأكثر موضوعه ،لأن الاسم الظاهر يغني عنه ، ولا يستتر ضمير الغائب حتى يتقدمه مذكور يعـود عليه ، وليس كذلك فعل المتكلم والمخاطب والمخبرين عن أنفسهم ، فإنه لا يخلو أبداً من ضمير ولا يجيء بعده اسم ظاهر يكون فاعلاً به ولا مضمراً أيضاً إلاّ مضمراً يكون توكيداً للمضمر المنطوي عليه الفعل .[١]

واللغـة لفـظ ومعـنى ، أو كمـا عبر عن ذلك ابن جني فقال : اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضـهم " [٢] وقد عبّر الجرجاني عن هذا بقوله : الألفاظ خـدم المعـاني وأوعيـة لها ، وهمـا في هـذا يلتقيان مـع"أصـحاب المنهج العقلي (ديكارت ، همبوليت ، تشومسكي) الذي يرى أن اللغة نتاج العقل ، وهي الصوت المـنطـوق الـذي يعبر بـه المتكلّم عن فكـرة ، هي نتـاج عـدد من العمليات الخلاقة العضوية غير الآلية ، تتم في الذهـن ويظهر أثرهـا على السطح الخارجي بالأصوات والكلمات والجمـل " وهـذا ما يراه إدوارد سابير "

---

(١) السهيلي – نتائج الفكر ، ص ١١٧-١١٨

(٢) ابن جني – الخصائص ، ج١،ص٣٣

الـــذي يـــرى أن لدى المتكلم قبل أن يتكلـــم فكـــرة(شيئاً يقوله)فيعمـــد إلى توظيف الشكل (الكلام المنطوق) لنقل هذه الفكرة " [١].

فـــاللفظ تـــابع للمعنى ، والمعـــاني متغيرة ، والألفـــاظ متغيرة بتغير المعنى ، والمعنى هو الذي يحدد الشكل اللغـــوي المناســـب له أو القـــادر على حمـــل المعنى " لأن وظيفـــة اللغـــة الأولى هي نقـــل الأفكـــار والمعاني من شخص إلى آخر ، والعلاقة بين اللغة ومعناها علاقة وثيقة لا يمكن فصم عراها " [٢].

"والمعـــنى هـــو الـــذي يُحـــاول المتكلم وكذلك الســـامع والمحلل اللغـــوي أن يصلوا إليه فهو أمـــر وثيق الصلة بالتركيب اللغوي " [٣].

وما دمت أتحـــدث هنـــا عن دور الرتـــبة في المعنى ، فالذي يهمني هو معنى الجملة ، إذ لا وجود للرتبة إلاّ داخل التركيب ، " فالكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه " [٤].

والمعـــنى الدلالي هو نتاج تفاعل عناصر المنظومة اللغوية ، وإن كنت أرى أن بذرة المعنى الدلالي تكمن في المعجـــم مروراً بالنحو وصولاً إلى الصرف وانتهاء بالسياق فنحن لا نعرف أن معنى " ضرب زيدٌ مثلاً " أن زيداً قام بإعطاء مثل إلا إذا عرفنا المعنى المعجمي لضرب ، والعلاقة النحوية بين أركان الجملة ، وصيغة الفعل ، والسياق الذي قيلت فيه هذه الجملة . وذلك لأن المعنى الدلالي يقـــوم على دعامتين همـــا : المعنى المقالي والمعنى المقامي [٥].

ولكن هل يعني هذا أنه يجب توافر كل عناصر المنظومة اللغوية لفهمها ؟ والجواب بالنفي والإيجاب ، وبالنفي لأننا مثلاً نحصل على معنى معين غير دقيق من الجملة في ظل غياب بعض العناصر مثلاً كالصيغة والسياق ، وبالإيجاب لأن الوصول إلى المعنى الدقيق لا يتوافر في كثير من الحالات إلاّ إذا توافرت عناصر الوصول إلى المعنى كاملة من معجم وصرف ونحو وسياق . أو بصورة أدق ، كلما ازدادت عناصر المعنى ازدادت دقة المعنى .

---

(١) sapir , languag نقلاً عن : في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص٤٣

(٢) ماريو باي ، لغات النشر ، ص ١٠٣

(٣) Harris , methods in structural linguistics . p. p .187 , 188-194 ، نقلاً عن، في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٥٠

(٤) محمد حماسة – النحو والدلالة ، ص ٣٦

(٥) تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٣٩

ولكن من أين تستمد الجملة معناها الأساسي؟

فـأظن أن المعنى الأساسي للجملة هو حاصل الجمع بين المعنى المعجمي والنحوي . وما عدا ذلك من صرف وسياق هو متمم للمعنى أو محدد له .

وما هي العلاقة بين الأصل والفرع ؟ أو بين البنية العميقة وبنية السطح من جهة المعنى ؟

فأظن أن المعنى الأساسي لبنية السطح (العدول) مستمدٌ من البنية العميقة ، وإن كان العدول يمدنا بمعنى يختلف غالـباً عـن المعـنى الأساسي للبنية العميقـة " فالتقـديم والتأخـير يكـون لأمـر يتعـلق بالبنيـة الداخلـية المرتـبطـة بـالمعنى في ذهن المتكلم "[١] " والترتيب (والمقصـود به العـدول) الـذي هـو نقـل مورفيم من موقـع أصـلٍ له إلى موقـع جديـد مفـوياً بذلك نمـط الجملة ، وناقلاً معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة ، هو عنصر من عناصر التحويل [٢].

والمعـنى " تتضـافر عناصر النظام اللغوي جميعها بدرجات متفاوتة للإبانة عنه ، وبمعنى آخر فإن عناصر المقال اللغوي التي تتصل بالرتبة والزيادة والحذف والإعراب والمعجم تتآزر مع عناصر المقام التي تتصل بالسياق والنبر والتنغيم من أجل الوصول إلى المعنى[٣]والرتبة بوصفها عنصر من عناصر النظام اللغوي لها دور توديه في المعنى" فإذا تغيَّر النظم ، فلا بد حينئذٍ من أن يتغير المعنى " [٤] .

حيث إن تغـير المبنى يـؤدي إلى تغـير المعنى " ولا يعدل من تعبير إلى تعبير إلا يصحبه عدول من معنى إلى معنى [٥] " فالجملة : أكرم خالدٌ علياً هي جملة توليدية فعلية لا تركيز فيها على أي جزء من أجزاء المعنى ، وهدفها نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهـن المتكلم إلى صورة (فنولوجية) منطوقة تقع على سمع السامع فيدرك المطلوب منها وهـو الإخـبار لا غير ولكن إذا قصد المتكلم نقل الخبر بتركيزٍ على جزء من أجزائه ولإظهار عنايته واهتمامه به فإنه يقـدم ذلك الجزء فيدرك السامع المعنى الجديد ، أما إن كان المتكلم يقصد من الجملة (التحويلية) علياً أكرم خالدٌ ما

---

(١) خليل عمايرة – في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٨٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٣

(٣) فارس عيسى – المعنى اللغوي ، ص 113

(٤) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ٢٦٥

(٥) فاضل السامرائي ، معاني النحو ، ص ٣١٨

يقصده من الجملة التوليدية " أكرم خالدٌ علياً " فإنه قد أخطأ جادة الصواب وعبّر بغير ما كان عليه أن يعبِّر به وقديماً قال سيبويه وغيره والعرب إن أرادت العناية بشيء قدمته " [١] .

ويمكن أن أمثل عمليةالاتصال كما يلي :

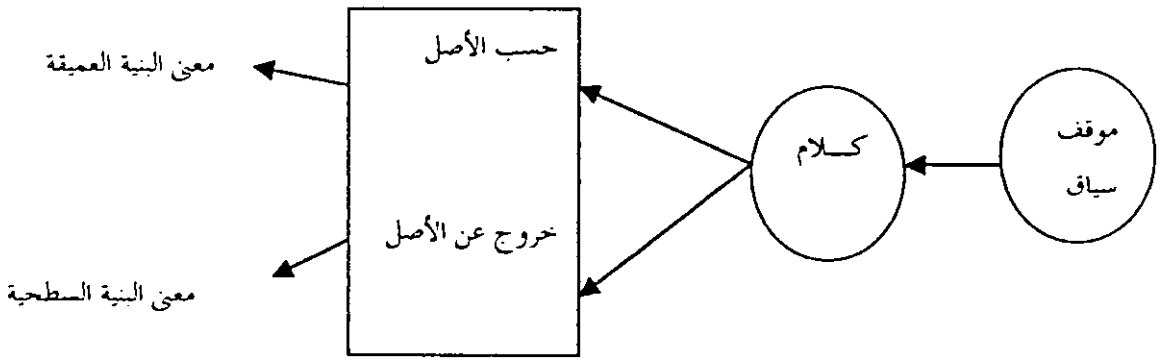

ومما يدل على تأثير الرتبة في المعنى قول الجرجاني : " واعلم أن ليست المزية بواجبه لها في أنفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض [٢] " ومن إذا تصفّح الكلام وتدبَّر الشعر فرَّق بين موقع شيء منها وشيء ومن إذا أنشدته قول البحتري :

وسأستقِلُ لك الدموع صبابةً ولو أن دجلة لي عليك دموع

أنِقَ له وأخذته الأريحية عندها وعرف ما في قول البحتري : لي عليك دموع من شبه السِّحر وأن ذلك من أجل تقديم " لي" " عليك ، ثم تنكير الدموع " [٣].

" وهذه مسائل ، لا يستطيع أحدٌ أن يمتنع عن التفرقة بين تقديم ما قُدّم فيها وترك تقديمه " [٤]

أردت وضعها بين يدي القارىء الكريم وهي مسائل تبين دور الرتبة في المعنى وقد اكتفيت ببعض التعليق عليها لأن الأمثلة تشرح نفسها بنفسها وتبين أن المعنى يختلف باختلاف المنزلة و التعليق :-

---

(١) خليل عمايرة - في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٩٤، ١٧٩

(٢) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ٨٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٤٨-٥٤٩ بتصرف يسير .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١١

◆ ومـــن أبـــين شيء في ذلك " الاستفهـــام بالهمزة ، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت أفَعَلت ؟ فبدأت بـــالفعل ، كـــان الشك في الفعل نفسه ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده ، وإذا قلت . أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل منه ، وكان التردد فيه " [١] وبذلك يتقدم المسؤول عنه بالمنزلة .

◆ و" قال تعالى " أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل " فإن قلت : ما فائدة (أنتم) و (هم) وهلا قيل : " أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ قلت : ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هـــذا العتاب ، وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى يُعلم أنه هو المسؤول عنه ، والمعنى أأنـــتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم " [٢] فالسؤال عن المعنى المتقدم بالمنزلة ، نحوَ همزة الاستفهام ، والمقصود بالاستفهام عنه هو الواقع بعد أداة الاستفهام ، ولو لم يكن كذلك لتأخر عن الأداة . وهنا تترتب الألفاظ بحسب أهميتها ، وقوة علاقتها المعنوية .

◆ ومـــن ذلـــك تقـــديم الفاعل على فعله جاء في الكشاف في قوله تعالى : " وبالآخرة هم يوقنون" وفي تقديم الآخـــرة وبـــناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك [٣].

◆ ومـــن ذلـــك تقديم المفعول به ، جاء في الكشاف في قوله تعالى : " إياك نعبد وإياك نستعين " تقديم المفعول لقصـــــد الاختصـــاص كقوله تعالى : " قل أفغير الله تأمروني أعبد" "قل أغير الله أبغي رباً " والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونـــة ، ولئلا يتقـــدم ذكر العبـــد والعبـــادة على المعبـــود وللأهمية "[٤] .

فهو عدولٌ عن الأصل بالرتبة لبيان شدة استنكار أن تكون العبادة لغير الله أو اختصاص غير الله بالعبادة .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١١١ وكذلك المغني ، ص ١٨

(٢) فاضل السامرائي - معاني النحو ،ج٢، ص ٥٠

(٣) فاضل السامرائي - معاني النحو ، ج٢، ص ٤٧

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٤٨ وكذلك في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ص ٩٠.

◆ كما جاء في دلائل الإعجاز " " ويجيء لك هذا الفرق على وجه في تقديم المفعول وتأخيره فإذا قلت ما ضربت زيداً فقدمت الفعل كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد و لم تعرض في أمر غيره لنفي ولا إثبات وتركته بهما محتملاً . وإذا قلت : ما زيداً ضربت فقدمت المفعول كان المعنى على أن ضرباً وقع منك على إنسان وظن أن ذلك الإنسان زيد فنفيت أن يكون معناه إياهُ [١] فالنفي يتسلط على المتقدم بالمنزلة وتقديم المفعول يثبت وقوع الضرب على غيره .

◆ وقال تعالى : " وفجرنا الأرض عيوناً " : التفجير للعيون في المعنى أوقع على الأرض في اللفظ ، وقد حصل بذلك معنى الشمول ، وأنه قد أفاد أن الأرض قد صارت عيوناً كلها ، وأن الماء قد كان يفور من كل مكان منها ، ولو أجري اللفظ على ظاهره فقيل وفجرنا عيون الأرض أو العيون في الأرض لم يفد ذلك و لم يدل عليه ، ولكان المفهوم منه أن الماء قد فار من عيون متفرقة في الأرض وتبجس من أماكن منها ، ولا يُعَدل من تعبير إلى تعبير إلاّ يصحبه عدول من معنى إلى معنى " [٢] .

◆ ويظهر دور الرتبة في المعنى أنك " إذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه بفعل ، فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت : زيدٌ قد فعل وأنا فعلت ، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلاّ أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين أحدهما جلي لا يشكل وهو أن الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحدٍ فتجعله له وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر أو دون كل أحد ومثال ذلك أن تقول : أنا كتبت في معنى فلان ، تريد أن تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه فيه ، وتردُّ على من زعم أن ذلك كان من غيرك ، أو أن غيرك قد كتب فيه ما كتبت "[٣] . وقد تقدَّم المبني عليه بالرتبة لأنه أهم وهو المقصود بالكلام أكثر من غيره وتقديمه أثبت له الفعل دون غيره .

والقسم الثاني : أن يكون القصد إلى الفاعل ، على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك فأنت لذلك تبدأ بذكره ، وتوقعه أولاً ، ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه ، لكي تباعده بذلك من الشبهة ، وتمنعه من الإنكار ، أو في أن يُظن بك الغلط ، أو التزيد ، ومثاله قولك : هو يعطي الجزيل ،

---

(١) فاضل السامرائي - معاني النحو، ص ٨٩

(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٣١٨

(٣) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ،ص ١٢٨

هو يحب الثناء لا تريد أن تزعم أنه ليس ههنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره ، ولا أن تُعرِّض بإنسان وتحطه عنه وتجعله لا يعطي كما يعطي ، ولا يرغب،كما يرغب ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه وأن يُمكّنَ ذلك في نفسه " [١] .

وقد ترتبت الألفاظ بحسب ترتيب المعاني بالمنزلة " وهذا الذي قد ذكرت من أن تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له،قد ذكره صاحب الكتاب في المفعول إذا قدم فرفع بالابتداء وبني الفعل الناصب له عليه،وعدّي إلى ضميره فشغل به، كقولنا في ضربت عبدَالله،عبدُ الله ضربته:فقال وإنما قلت عبدُالله فنبهته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء " [٢] .

وذلك لأن المبني عليه صار الأول بالمنزلة ، بقصد التنبيه إليه والعربُ إذا اهتمت بشيء قدَّمته "فإن قلت : فمن أين وجب أن يكون تقديم ذكر المحدَّث عنه بالفعل آكد لإثبات ذلك الفعل له ؟ وأن يكون قوله : هما يلبسان المجد أبلغ في جعلهما يلبسانه من أن يقال : يلبسان المجد ، فإن ذلك من أجل أنه لا يُؤتى بالاسم معرَّى من العوامل إلاّ لحديث قد نُوي إسناده إليه "[٣] .

" ويشهد لما قلنا من أن تقديم المحدَّث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه،له أنا إذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكر ،نحو أن يقول رجل : ليس لي علم بالذي تقول ، فتقول له أنت تعلم أن الأمر على ما أقول،ولكنك تميل إلى خصمي " [٤] (فبدأ بما هو أهم ، وترتبت ألفاظه بحسب الأهمية ، والمعنى مختلف بحسب الرتبة) "ويزيدك بياناً أنه إذ كان الفعل مما لا يشك فيه ولا ينكر بحال لم يكد يجيء على هذا الوجه،ولكن يؤتى به غير مبني على الاسم،فإذا أخبرت بالخروج عن رجل من عادته أن يخرج في كل غداة قلت : قد خرج و لم تحتج إلى أن تقول : هو قد خرج ، ذاك لأنه ليس بشيء يشك فيه السامع فتحتاج أن تحققه،وإلى أن تقدم فيه ذكر المحدث عنه [٥] فذكر المحدَّث عنه غير مهم ولذلك تأخر والمعنى مع التقديم غيره مع التأخير .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ١٢٨، ١٢٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣١

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٢

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٣

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٣

" ومما هو بهذه المنزلة في أنك تجد المعنى لا يستقيم إلا على ما جاء عليه من بناء الفعل على الاسم قوله تعالى : " إنَّ وَلِـيِّيَ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين " وقوله تعالى : " وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً " وقوله تعالى : " وحشر لسليمان وجنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون " فإنه لا يخفى على من لـه ذوق أنـه لو جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم"فقيل إنَّ وليِّيَ الله الذي نزل الكتاب ويتولى الصالحين ، واكتتبها فتملى عليه" "وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فيوزعون"، لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى ، والمعنى قد زال عن صورته ، والحال التي ينبغي أن يكون عليها " [1].

" واعلم أن هذا الصنيع يقتضي في الفعل المنفي ما اقتضاه في المثبت فإذا قلت : أنت لا تحسن هذا كان أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول : لا تحسن هذا ، ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد إعجاباً بنفسه وأعرض دعـوى في أنـه يحسن ذلك ،حتى أنك لو أتيت" بأنت" فيما بعد تحسن فقلت "لا تحسن أنت " لم يكن له تلك القوة وكذلك قوله تعالى : " والذين هم بربهم لا يشركون " يفيد معنى التأكيد في نفي الإشراك عنهم ما لو قيل : والذين لا يشركون بربهم أو بربهم لا يشركون لم يفد ذلك " [2] وذلك لأن تقدم الضمير جعل النفي منصباً عليه ، وتسلُط عليه النفي بصورة أكبر قوة ، بعكس تقديم النفي والفعل ،فإن النفي ينصبُ على الفعل (الإحسان) وليس على الشخص .

◆ " إن (كُلاً) إذا تقـدمت تقتضي الإحاطـة بالجنس،وإذا تأخرت وكانت توكيـداً اقتضت الإحاطـة بالمؤكد خاصة ، جنساً شائعاً كان أو معهوداً .

وقـد تقول : ما الفرق بينها إذا تقدمت أو كانت مؤكدة،نحو (كل الطلاب حضر) أو (حضر الطلاب كلهم) ؟ والجواب هو:أنها إذا تقدمت أفادت العموم ابتداء و لم تدع احتمالاً لغير الإحاطة،وإن تأخرت وكانت مؤكدة احتمل الكلام العموم وغيره،ثم جئت بما يرفع احتمال عدم العموم .

ثم إنها مع التقـدم، يمكن التعبير بها للدلالة على الإحاطـة والشمول بصـورة أوسع مما تقـع مؤكـدة،فإنهـا إذا وقعـت مؤكـدة أفـادت العمـوم في المعـارف فقـط، أما إذا تقـدمت فإنها تفيـد العمـوم في النكرات والمعـارف مفـرداً أو غيره، مما لا يصـح أن يقـع مؤكـداً ،وذلك نحـو قوله تعالى : " كل نفس بما كسبت رهينـة " (المدثـر/ ٣٨) ولا يقـال (نفس كلُها بما كسبت رهينـة) وقال (تدمـر كل شيء بأمـر ربها)

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ١٣٧

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٨

(الأحقـــاف ٢٥) ولا يقال (تدمر شيئاً كلّه) وقال " يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها " (النحل ١١) ولا يقال (يـــوم تـــأتي نفس كلُها) وحتى إذا قيل نحو ذلك على مذهب الكوفيين فإن المعنى يختلف ، فإنه يصح على مذهب الكوفيين أن تقول صمت شهراً كلّه "لأن النكرة محدودة ، ولكن إذا قدمتَ (كُلاً) وقلت: (صمت كلَّ شهر) تغير المعنى وأصبحت تفيد استغراق الشهور [١] .

◆ ومـــن تـــأثير الرتبـــة في المعنى قولنا : " ما ضربت زيداً ولا أحداً من الناس " وليس لك أن تقول : " ما زيداضـــربت ولا أحـــداً مـــن الناس " فهـــو فاسد فقـــد نفيت الضرب عن زيـــد فمعناه أنك أثبته لغيره،وتقـــديم المفعول يعني أنك نفيت الضرب عن زيد وأثبته لغيره ، فالجملة الثانية متناقضة [٢] .

ففي الجملة الأولى تسلّط النفي على الضرب فانتفى الضرب كلّياً ، وفي الثانية ارتبط النفي بمضروب مخصوص فلا بد أن يكون غيره هو المضروب .

◆ ويظهـــــر دور الرتـــــبة في المعـــنى في " أنك إذا قلت : عُلِمَ صديقُك عدوَّ زيدٍ " كان معناه أن المعروف بصداقتك عدوٌ لزيد ، فصداقتك مستغنية عن الإخبار بها ، وعداوةُ زيد مفتقرة إلى الإخبار بها ، فلو عكست فأقمت الثاني لانعكس المفهوم ، فإذا قلت : عُلِمَ عدوُّ زيد صديقك"صار المفهوم منه أن المعروف بعداوة زيدٍ صديقٌ لك وأنت لم تُرِد إلاّ المعنى الأول ، فالتبس المعنيان وهكذا كثير من مسائل الباب وكذلك باب أرى إذا قلت : أرأيتُ زيداً عمراً صـــديقك : لـــو قُلت : أُرِيَ زيدٌ عمراً صديقك ، فزيد هو الرائي ، وعمرو هو المرئي ، فلو عكست النيابة لالتبس بعكس المعنى [٣].

◆ كمـــا يظهـــر دور الرتـــبة في المعنى في قوله تعالى :(وعلى الله فليتوكل المتوكلون)(إبراهيم ١٢) أي ليخصـــوا ربهم وحده بالتوكل فإنه لا يصح التوكل على غيره وقوله " إن الذين عند ربك لا يستكبرون عـــن عبادته ويسبحونه وله يسجدون " فقدم الجار والمجرور في له يسجدون للقصر أي يخصونه بالعبادة لا يشركون به أحدا [٤] .

---

(١) فاضل السامرائي – معاني النحو ، ج٤، ص ١٤٢-١٤٣

(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٨٨-٨٩

(٣) الشاطبي – المقاصد الشافية ،ج١، ص ٥٤.

(٤) فاضل السامرائي – معاني النحو ، ج ٣،ص ١٠٦

وجملـــة الأمـــر أنك تنحو بالإنكار نحو الفعل فإن بدأت بالاسم فقلت أأنت تفعل ؟ أو قلت : أهو يفعل ؟ كنـــت وجهـــت الإنكار إلى نفس المذكور وأبيت أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعل وممن يجيء منه وأن يكون بتلك المثابة،تفسير ذلك أنك إذا قلت أأنت تمعني ؟ أأنت تأخذ على يدي صرتَ كأنك قـــلت : إن غـــيرك الذي يستطيع منعي والأخذ على يدي،ولست بذاك،ولقـــد وضعت نفسك في غير موضعك،هـــذا إذا جعلـــته لا يكون منه الفعل للعجز،ولأنه ليس في وسعه ، وكذلك محال أن يكون المعنى في قوله تعالى : "أنلزمكموها وأنتم لها تاركون"(هود٢٨):أنا لسنا بمثابة من يجيء منه هذا الإكراه وإن غيرنا من يفعله ، جل الله تعـــالى واعلم أن حال المفعول في ما ذكرنا كحال الفاعل،أعني تقدم الاسم المفعول يقتضي أن يكـــون الإنكـــار في طريق الإحالـــة والمنع،من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل فإذا قلت : أزيداً تضرب ؟ كنـــت قد أنكرت أن يكون زيدٌ بمثابة أن يُضرب أو بموضع أن يجترأ ويستجاز فيه ذلك،ومن أجل ذلك قُدم"غير" في قوله تعالى :"قل أغير الله أتخذ ولياً "(الأنعام١٤)وكان له من المزية والحسن والفخامة ما تعلم أنه لا يكـــون لو أخِّر فقيل : قل أأتخذ غير الله ولياً ؟ وذلك لأنه حصل بالتقدم معنى قولك : أيكون غير الله بمثابة أن يُتخذ ولياً ؟وأيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك ؟ وأيكون جهل أجهل وعمى أعمى من ذلك ؟ ولا يكـــون شيء من ذلك إذا قيل" أأتخذ غير الله وليا"، وذلك لأنه حينئذ يتناول الفعل أن يكون فقط ولا يزيد على ذلك فاعرفه .[1]

فالاستنكار لاتخاذ غير الله وليس لفعل الاتخاذ .

- وتقـــول:"مـــا قلت محمد مقصر"وتقـــول:"قلت:ما محمـــد مقصر"،فالأولى نفي للقول والثانية إثـــبات له، ففي الأولى ذكرت أنك لم تقل هـــذا الشيء،وفي الثانيـــة إثبات للقول وإنك قلت :ما محمـــد مقصر"[2] فالأولى مبنية على نفي القول ، والثانية مبنية على القـــول .

◆ " وفرق بين : - هـــذا أنت تقول كذا وكذا ، وأنت هـــذا تقول كذا وكذا

ففي الأولى إخبار عن الإشارة بالضمـــير ،وفي الثانية إخبار عن الضمير بالإشارة . جاء في الكتاب:وحدثنا يونـــس أيضـــاً تصديقاً لقـــول أبي الخطـــاب : أنّ العرب تقـــول:هذا أنت تقول كذا وكذا لم يرد بقوله

---

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١١٦-١١٨

(٢) فاضل السامرائي - معاني النحو ،ج٢، ص ٤٢

(هذا أنت) أن يعرفه بنفسه ، كأنك تريد أن تعلمه أنه ليس غيره،هذا محال،ولكنه أراد أنْ ينبهه كأنه قال : الحاضر عندنا أنت ؟ والحاضر القائل كذا وكذا أنت .

وتقـــول : (أنت هذا تقول كذا وكذا) منكراً عليه قوله أو مستغرباً منه ، والمعنى أنَّ التوقع منك كان غير ذلـــك . قـــال تعالى :"وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون*ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) (البقرة ٨٤ -٨٥)ينكر عليهم فعلهم بعد إعطاء المواثيق جاء في الكشاف في هذه الآية ، ثم أنتم هؤلاء ، استبعاد لما أُسنِدَ إلـــيهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم ،وإقرارهم وشهاداتهم ،والمعنى: ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون ، يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرِّين،تنزيلاً لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول : رجعت بغير الوجه الذي خرجت به [١].

◆ " وتقول : ما ضربت إلاّ زيداً فيكون كلاماً مستقيماً ، ولو قلت ما أنا ضربت إلا زيدا كان لغـــواً من القول،وذلك لأن نقض النفي يقتضي نفي أن تكون ضربته فهما يتدافعان،ويجيء لك هذا الفرق عـــلى وجهه في تقدم المفعول وتأخيره ، فإذا قلت ما ضربت زيداً فقدمت الفعل كان المعنى أنك نفيت أن يكـــون قد وقع ضرب منك على زيد و لم تعرض في أمر غيره لنفي ولا إثبات وتركته مبهماً محتملاً ، وإذا قلت:ما زيداً ضربتُ" فقدمت المفعول كان المعنى على أن ضرباً وقع منك على إنسان،وظن أن ذلك الإنسان زيد فنفيت أن يكون إياه ، فلك أن تقول في الوجه الأول:ما ضربت زيداً ولا أحداً من الناس"وليس لك أن تقول في الوجه الثاني،فلو قلت :ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس"كان فاسداً على ما مضى من الفاعل"[٢] فتغيير مواقع الكلمات أدى إلى تغير المعنى بل قلب المعنى من الصحة إلى الفساد والتناقض . وكل ذلك بسبب المنزلة،وتسليط النفي على الفعل ، لا يعني وجوب وقوع الفعل على شخص آخر ، بينما تسليط النفي على المفعول يعني أن هناك شخصاً آخر قد ضُرِب .

---

(١) فاضل السامرائي - معاني النحو ، ج١، ص ٩٥-٩٦

(٢) عبدالقاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١٢٦

◆ " ومما ينبغي أن تعلمه أنه يصح لك أن تقول : ما ضربت زيداً ولكني أكرمته"فتعقب الفعل المنفي بإثبات فعل هو ضده،ولا يصح أن تقول :ما زيداً ضربت ولكن أكرمته"وذاك أنك لم ترد أن تقول لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك ، ولكنك أردت أنه لم يكن المفعول هذا ولكن ذاك . فالواجب إذن أن تقول : ما زيداً ضربت ولكن عمراً ".وحكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب فإذا قلت : ما أمرتك بهذا كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك و لم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر ، وإذا قلت ما بهذا أمرتك كنت قد أمرته بشيء آخر [1] فالنفي في الأولى للفعل ، وفي الثانية للشيء ، فالمعنى مختلف مع تغيير الرتبة أو المنزلة .

ويقال:"كان زيدٌ أخا عمرو"لمن علم زيداً وجهل أخوته لعمرو، وكان أخو عمرو زيداً " لمن يعلم أخاً لعمرو ويجهل أن اسمه زيد " [2] وفي الأولى أسندنا أخوة عمرو إلى زيد وفي الثانية أسندنا زيداً إلى أخوة عمرو .

" وذكر ابن الخباز[3] أن الفرق بين قولنا" زيد أخوك" و" أخوك زيد " من وجهين ، أحدهما: أن "زيد أخوك "تعريف للقرابة و (أخوك زيد) تعريف للاسم ، والثاني أنّ (زيد أخوك) لا ينفي أن يكون له أخ غيره لأنك أخبرت بالعام عن الخاص ، و (أخوك زيد) ينفي أن يكون له أخ غيره،لأنك أخبرت بالخاص عن العام،وهذا ما يشير إليه الفقهاء في قولهم :زيد صديقي وصديقي زيد .

فأنت ترى أن تقديم إحدى المعرفتين على الأخرى يتبعه اختلاف في المعنى قال تعالى : " موعدكم يوم الزينة " (طه ٥٩) و لم يقل (يوم الزينة موعدكم) فإنه لما كان الغرض تحديد الموعد أخر عنه بأجل جعله لهم فإن هذا جواب عن قولهم " فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت (طه ٥٨) " [4] وبالإضافة إلى اختلاف المعنى فإن تقديم (موعدكم) مرتبط مع قولهم اجعل لنا موعداً . فقدمه لتناسب المعنى . "ومثله قال تعالى : (إن موعدكم الصبح)(هود ٨١) فهو إخبار عن الموعد أيضاً ومنه قوله تعالى: (قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون)(الحجر ٦٨) فهو إخبار عن المشار إليهم ولو قال : إن ضيفي هؤلاء

---

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١٢٧

(٢) ابن هشام - المغني ، ج١، ص ٤٥٢

(٣) ابن الخباز : هو أحمد الضرير بن الحسين ، نشأ بإربل ، وتلقى العلم في الموصل ، واشتهر قدره ، ومن مصنفاته النحوية : النهاية ، وشرح ألفية ابن معطٍ ، توفي في الموصل سنة ٦٣٧ هـ (نشأة النحو ، ص ٢١٠) .

(٤) فاضل السامرائي - معاني النحو ، ج١، ص ١٧١.

لاختلف المعنى فكأن الأولى جواب عن سؤال من هؤلاء ؟ والثانية جواب عن سؤال من ضيفك " [١].

والتقديم كذلك مرتبط بما قبله من المعاني بالرتبة .

" وقال تعالى : " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان " (الرحمن ٦٠) ولو قال : هل الإحسان إلا جزاء الإحسان لتغير المعنى ، ولو كان معنى التقديم والتأخير في غير الحصر واحداً ما اختلف معناه في الحصر " [٢].

◆ كما قال تعالى : " وقال رجل مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه " (غافر ٢٨) وهذه الآية جاءت على الأصل "ولو تأخر قوله من آل فرعون " فلا يفهم أنه منهم " [٣] كما يمكن أن يفهم من الآية أن الرجل يكتم إيمانه خوفاً من آل فرعون . وفي الأولى نجد الرجل يتصف بصفتين شبه الجملة والجملة ، وفي الثانية نجده يتصف بصفة واحدة وشبه الجملة يتعلق بالفعل يكتم .

◆ ومن تأثير الرتبة في المعنى قول الجرجاني . إذا قلت : أجاءك رجل ؟ فأنت تريد أن تسأله ،هل كان مجيء من أحد من الرجال إليه ، فإن قدمت الاسم فقلت:أرجل جاءك ؟ فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل أم أمرأة ،ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آت،ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي ... فسبيلك في ذلك،سبيلك إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت:أزيد جاءك أم عمرو ؟ ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الأولى،لأن تقديم الاسم يكون إذا كان السؤال عن الفاعل،والسؤال عن الفاعل يكون إما عن عينه،أو عن جنسه،ولا ثالث.وإذا كان كذلك ، كان محالاً أن تقدم الاسم النكرة وأنت لا تريد السؤال عن الجنس،لأنه لا يكون لسؤالك حينئذٍ متعلق،من حيث لا يبقى بعد الجنس إلا العين،والنكرة لا تدل على عين شيء فيسأل بها عنه فإن قلت : أرجل طويل جاءك أم قصير ؟ كان السؤال عن أن الجائي من جنس طوال الرجال أم قصارهم . وإذ قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه ، فإذا قلت : رجل جاءني لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا امرأة، ويكون كلامك مع من قد عرف أنه قد آتاك آتٍ ،فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول : جاءني رجل فتقدم الفعل .[٤]

---

(١) فاضل السامرائي – معاني النحو ، ص ١٧١

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٧١

(٣) الزركشي – البرهان في علوم القرآن ، ج٣، ص ٢٣٣

(٤) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ص ١٤٢

◆ "وهناك فرق بين : "ها أنت ذا" "وأنت هذا ".

وموقع التنبيه ابتداء أو أخيراً له دلالته أيضاً،فإن التنبيه يقدم أو يؤخر بحسب الحاجة إليه ، فتقول:ها أنت ذا، مقدماً التنبيه ، وتؤخره قائلاً" أنت هذا "والتنبيه في الخطاب الأول أهم والقائل به أعنى ، تقول:"ها هو ذا "إذا أردت أن تنبه السامعين إلى المشار إليه قال تعالى :"ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم"(آل عمران١١٩)، فقدم التنبيه لأنه تحذير لعباده المؤمنين على ما هم فيه ، وأنهم ينبغي لهم أن يحذروا وينتبهوا وقال :" ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم"(البقرة٨٥)، تأخر التنبيه لأنه أراد أن يحضر أنفسهم أمام أعينهم هم ليشهدوا أعمالهم وصفاتهم ، أي أنتم هؤلاء المشاهدون الحاضرون بصورتكم الواضحة البينة التي لا تخفى ، فهو لم يرد تحذيرهم من أمر كما كان في الآية الأولى ، فالتنبيه في الأولى لتنبيه المؤمنين ولفت انتباههم إلى أمر قد يكونون غافلين عنه وأما في الثانية فلإحضار صورتهم أمام أعينهم ليشاهدوها [١].

◆ والجملة الاسمية تدل على الثبات،بينما تدل الجملة الفعلية على التجدد . فهناك فرق في المعنى بين زيد يجتهد ويجتهد زيد ، ومن ذلك قوله تعالى : " قالوا سلاماً قال سلامٌ "(هود ٦٩) فنبي الله إبراهيم حياهم بتحية خير من تحيتهم ، إذ هم حيَّوه بجملة فعلية ، وهو حياهم بجملة اسمية دالة على الثبوت [٢] .

◆ والفرق بين ضربتُ زيداً وزيدٌ ضربته،أنك إذا قلت:ضربت زيداً ، فإنما أردت أن تخبر عن نفسك وتثبت أين وقع فعلك،وإذا قلت: زيدٌ ضربته فإنما أردت أن تخبر عن زيد [٣].

◆ وهناك فرق في المعنى بين " مثلك يرعى الحق والحرمة " و "يرعى الحق والحرمة مثلك " يقول الجرجاني " ومما يُرى تقدم الاسم فيه كاللازم (مثل) و (غير) في نحو قوله [٤]:

مِثلُك يثني المزنَ عن صوبهِ ويستَرِدُّ الدمعَ عن غَربهِ

وقول الناس:مثلك رعى الحق والحرمة وما أشبه ذلك،مما لا يقصد فيه بـ (مثل) إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه،ولكنهم يعنون أن كل من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس وموجب العرف

---

(١) فاضل السامرائي - معاني النحو،ج١، ص٩٨

(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص ١٨٥-١٨٦

(٣) الزجاجي - الإيضاح في علل النحو ، ص ١٣٦-١٣٧

(٤) لم أعثر على قائل هذا البيت .

و العـــادة أن يفعل ما ذكر،أو أن لا يفعل.وكذلك حكم "غير" إذا سلك به هذا المسلك فقيل:غيري يفعل ذاك" على معنى أني لم أفعله لا أن يومئ بـــ"غير" إلى إنسان فيخبر عنه بأنه يفعل . فأنت الآن إذا تصفحت الكلام وجدت هذين الاسمين يقدمان أبداً على الفعل إذا نُحِي بهما هذا النحو الذي ذكرت لك،وترى هذا المعـــنى لا يستقيم فيهما إذا لم يقدما،أفلا ترى أنك لو قلت:يثني المزن عن صوبه مثلك،ورعى الحق والحرمة مثلك وينخدع غيري بأكثر هذا الناس:رأيت كلاماً مقلوباً عن جهته ومغيَّراً عن صورته ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه ورأيت الطبع يأبى أن يرضاهُ [1] .

◆ ويحيي المسلم أخاه المسلم بـــ "السلام عليكم" ويكون رد التحية بـــ "عليكم السلام ، " فلم كان في جانب المسلِّم تقديم السلام وفي جانب الراد تقديم المسلَّم عليه ؟ وفي ذلك فوائد عديدة :

أولها : الفرق بين الرد والابتداء،فإنه لو قال في الرد السلامُ عليكم أو سلام عليكم لم يعرف أهذا رد لسلامه عليه أم ابتداء تحية منه،فإذا قال عليك السلام عرف أنه قد رد عليه بتحية،ومطلوب المسلِّم من المسلَّم عليه أن يرد عليه سلامه،وليس مقصوده أن يبدأه بالسلام كما ابتدأه به ، وإذا كانوا قد اعتمدوا الفرق بين سلام المبتديء وسلام الراد،خصوا المبتدئ بتقديم السلام،لأنه هو المقصود،وخصوا الراد بتقديم الجار والمجرور للفائدة الثانية وهي أن سلام الراد يجري مجرى الجواب،ولهذا يُكتفى فيه بالكلمة المفردة الدالة على أختها،فلو قـــال وعليك لكان متضمناً للرد ، مع أنا مأمورون أن نرد على من حيانا بتحية مثل تحيتهم ،وهذا من باب العـــدل الواجب لكل أحد فدل على أن قول الراد : وعليك مماثل لقول المسلِّم :سلامٌ عليك لكن اعتمد في حـــق المســـلم إعادة اللفظ الأول بعينه تحقيقاً للمماثلة،ودفعا لتوهم المسلَّم عدم رده عليه لاحتمال أن يريد: عليـــك شيء آخر،والمقصود أن الجـــواب يكفي فيه قولك:وعليك،وإنما كمل تكميـــلاً للعـــدل وقطعـــاً للـــتوهم. والفـــائدة الثالـــثة : وهي أقوى مما تقدم أن المسلم لمـــا تضمن سلامـــه الدعـــاء للمسلَّم عليه بوقـــــوع السلامـــة عليه وحلولها عليه ، وكان الرد متضمنا لطلب أن يحل عليه من ذلك مثل ما دعـــا به فإنه إذا قـــال : وعليك السلام كـــان معناه وعليك من ذلك مثل ما طلبت لي ، كما إذا قـــال: غفـــر الله لـــك فـــإنك تقول له: ولك يغفـــر ويكـــون هـــذا أحسن من قولك وغفر لك،وكذا إذا قال: رحمة الله

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ١٣٨

علـــيك ، تقـــول: وعليك وإذا قال عفا الله عنك تقول: وعنك وكذلك نظـــائره لأن تجريد القصـــد إلى مشاركـــة المدعـــو له للداعي في ذلك الدعاء لا إلى إنشاء دعاء مثل ما دعا به، فكأنـــه قـــال :ولك أيضاً وعنـــك أيضاً وأنت مشـــارك لي في ذلك مماثل لي فيه لا أنفـــرد به عنك ولا أختص به دونك ، ولا ريب أن هـــذا المعنى يستـــدعي تقديم المشارك المساوي فتأمله " [١].

◆ " وهـــناك فـــرق في المعنى بين قولنا "كان محمد قائماً " و " محمد كان قائماً " إن العبارة الأولى تكـــون إذا كان المخاطب خالي الذهن لا يعلم شيئاً عن هذا الأمر ، فإذا كان يعلم أن شخصاً ما كان قائماً ولكنه ظنه خالداً صحَّحتَ له وهمه بتقديم المبتدأ على الخبر الفعلي فتقول له : محمد كان قائماً ، وأما قولنا " كان قائماً محمدٌ " فهو من باب تقديم الخبر على الاسم للعناية به والاهتمام ، وذلك كأن يكون محمدٌ مريضاً لا يقـــوى على القيام لمدة،ثم قام،فتقدم الخبر على الاسم ، وتقول : كان قائماً محمدٌ " لأن الخبر ههنا أولى بالاهتمام من الاسم،ونحوه أن تقول " كان نائماً خالدٌ " وذلك إذا كان خالدٌ لم يتمكن من النوم مثلاً مدةً لمرضٍ أو نحوه .وهكذا تقدم الخبر على الاسم إذا كان المخاطب به أعنى .

وأمـــا تقديم الخبر على كان نحو قولنا " قائماً كان محمدٌ " فهو من باب التخصيص،وذلك إذا كان المخاطـــب يظـــن أن محمداً كان قاعداً لا قائماً ، فتصحح له هذا الوهم وتقول:إنه كان قائماً لا قاعداً وقد يتقدم الخبر للاهتمام والعناية لأن العرب يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم به أعنى " [٢].

وكل معنى له الشكل (المبنى) الخاص به .

◆ " كما أن المعنى يتغير بتغيُّر موضع الفاء في الجملة،وذلك نحو قوله تعالى :

"فإن أرادا فصالاًعن تراض منهما وتشاور فلا جُناحَ عليهما"(البقرة ٢٣٣) فإن قلت:فإن أرادا فصالاً فعن تراضٍ منهما،كان المعنى أنهما أرادا الطلاق فإنما أراداهُ عن تراضٍ،أي أن التراضي على الطلاق قد وقع وحصل "[٣].

◆ وإذا قلت زيد المنطلق " فأنت في حديث(حدث) انطلاق قد كان : "عرف السامع كونه ، إلا أنه لم يعـــلم أمن زيدٍ كان أم من عمرو ؟ فإذا قلت زيد المنطلق ، أزلت عنه الشك،وجعلته يقطع بأنه كان من

---

(١) ابن القيم – بدائع الفوائد ، ج١، ص ١٥٥

(٢) فاضل السامرائي – معاني النحو ، ج١،ص ٢٤٧-٢٤٨

(٣) المصدر نفسه ، ج٤، ص١٠٧-١٠٨

زيـــد بعد أن كان يرى ذلك على سبيل الجواز ، وليس كذلك إذا قدمت المنطلق فقلت : المنطلق زيد ، بل يكـــون المعنى حينئذٍ على أنك رأيت إنسانا ينطلق بالبعد منك ، فلم تُثبتْهُ و لم تعلم أزيدٌ هو أم عمرو ، فقال لك صاحبك :المنطلق زيد ، أي هذا الذي تراهُ من بُعد هو زيد " [١] " وإذا قلت:زيد أخوك كنت قد أثبت "بأخوك" معنى لزيد ، وإذا قدمّت وأخرت فقلت : أخوك زيد ، وجب أن تكون مثبتاً بزيد معنى" لأخوك " ومما يدل دلالة واضحة على اختلاف المعنى قولهم : الحبيب أنت وأنت الحبيب وذاك أن معنى أنت الحبيب " أنه لا فصل بينك وبين من تحبه إذا صدقت المحبة .

٥٨٠٦٥٠

وأن مثَلَ المتحابين مَثلُ نفس يقتسمها شخصان ، كما جاء عن بعض الحكماء أنه قال : الحبيب أنت إلاّ أنـــه غيرُك . فهذا كما ترى فرق لطيف ونكتة شريفة ولو حاولت أن تقيدها بقولك : " أنت الحبيب " حاولت ما لا يصح،لأن الذي يُعقَل من قولك أنت الحبيب هو ما عناهُ المتنبي في قوله :

أنت الحبيبُ ولكني أعوذ به مِنْ أن أكونَ محبّاً غير محبوبِ

ولا يخفـــى بُعْـــد مـــا بين الغرضين،فالمعنى في قـــولك : " أنت الحبيب " أنك الـــذي أختصُه بالمحبة من بين الناس،وإذا كان كذلك : عرفت أن الفرق واجب أبداً وأنه لا يجوز أن يكون " أخوك زيد " "وزيد أخوك " بمعنى واحد " [٢].

◆ ومن ذلك تقديم الخبر على المبتدأ في قولنا:زيد قائم وقائم زيد ، وقائم زيد،فيه إثبات القيام له دون غيره ، أما زيد قائم فأنت بالخيار في إثبات القيام له ونفيه عنه بأن تقول : ضارب أو جالس [٣].

ومـــن تقـــديم الخبر على المبتدأ قوله تعالى : "واقترب الوعدُ الحق فإذا هي شاخصة أبصارُ الذين كفـــروا "(الأنبـــياء٩٧). فقـــــدم الخبر شاخصـــة على المبتدأ أبصـــار لما فيـــه من تخصيص الأبصـــار بالشخوص دون غيرهـــا ، ودون ســـائر صفاتها [٤].

---

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ١٨٦

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٩-١٩٠ ، وانظر المغني ،ج٢، ص ٤٥٢

(٣) فاضل السامرائي - معاني النحو ،ج١، ص ١٥١

(٤) المصدر نفسه ص ١٥٢

ومـــن ذلك : قال تعالى : " وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله "(الحشر٢) فقد قدم الخبر مانعتهم على المبتدأ حصونهم للتخصيص،ولأن في تقـــديم الخبر (مانعتهـــم) على المبتـــدأ حصـــونهم دليـــلاً على فـــرط اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعهـــا إياهـــم [١].

◆ ومـــن ذلك تقديم الظرف والجار والمجرور قال تعالى :" له الحمد ولله الملك"(التغابن١) قَدّم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل لا بغيره [٢]

◆ ومن تقديم المجرور قوله تعالى : " لا فيها غول"(الصافات٤٧)فتأخير الظرف يقتضي النفي أصلاً من غـــير تفضيل،وتقديمه يقتضي تفضيل المنفي عنه وهو خمر الجنـــة على غيرها من خمـــور الدنيا،أي ليس فيها ما في غيرها من الغول وهذا مثل قولنا" لا عيب في الدار"وقولنا"لا فيها عيب فالأول نفي للعيب عن الـــدار فقط، والثاني تفضيل لها على غيرها أي ليس فيها ما في غيرها من عيب .[٣]

◆ مســـألة في تقديم الفاعل [٤]: قسم النحويون هذا الفصل أربعة أقسام : قسم لا يجوز فيه إلا تقديم الفـــاعل نحـــو:ضرب موسى عيسى ،وقسم لا يجوز فيه تأخير المفعول مثل " وإذا ابتلى إبراهيم ربه " وقسم يكـــون فيه تقديم الفاعل أحسن من تأخيره نحو:ضرب زيد عمراً ، وقسم يكون فيه تقديم المفعول أحسن نحو:أعجب زيداً ما كره عمرو"لأن الفاعل لا يظهر فيه الإعراب فكان تقديم المفعول الذي فيه الإعراب أولى حرصـــاً على إفهام المخاطب . والذي ذكروه حق ولكننا ننبه على مسألتين إحداهما : لا يجوز فيها تأخير الفاعل وهو معرب والمفعول كذلك . فقولك ضرب القوم بعضهم بعضاً " لا يجوز تأخير الفاعل ههنا من أجل حذف الضمير من المفعول إذ كان الأصل أن يقال : ضرب بعضهم بعضهم إذ حق البعض أن يضاف إلى الكل ظاهراً أو مضمراً فلما حذفوه من المفعول استغناء بذكره في الفاعل لم يجيزوا تأخير الفاعل فيقولوا ضـــرب بعضـــاً بعضهم لأن اهتمامهم بالفاعل قد قوي وتضاعف لاتصاله بالضمير الذي لا بد منه فبعد أن

---

(١) فاضل السامرائي - معاني النحو ، ص ١٥٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .

(٤) السهيلي - نتائج الفكر ، ص ١٧٣ وما بعدها .

كانـــت الحاجة إلى الفاعل مرة صارت الحاجة إليه مرتين فإن قيل فما المانع من إضافة بعض إلى الضمير إذا كان مفعولادون الفاعل فتقول :

ضرب القوم بعضهم بعض أو ضرب القوم بعضٌ بعضهَم ؟ قلنا : الأصل أن يذكر الضمير فيهما جميعاً فلما أرادوا حذفه من أحدهما تخفيفاً،كان حذفه من المفعول الذي هو كالفضلة في الكلام أولى من حذفه من الفاعل الذي لا بد منه ولا غنى عنه،وليتصل بما يعود عليه ويقرب منه نعم قد يُضاف إليه بعض وهو مفعول إذا كـــان الـــبعض الآخر مجروراً ، كقولك خلطت القوم بعضهم ببعض لأن رتبة المفعول ههنا التقدم على المجرور ، كما كانت رتبة الفاعل التقدم على المفعول فحق الضمير العائد على الكل أن يتصل بما هو تقديمه أهم " .

وأمـــا المسألـــة الأخـــرى التي يختلف فيها المعنى ، فمثل أن يكون قبل الفاعل " إنما" ، نقول : إنما يـــأكل زيـــد الخبز ، فحققت ما يتصل ومحقت ما ينفصل ، وهذه عبارة أهل سمرقند في" إنما" يقولون : إنها وضعت لتحقيق المتصل ومحيق المنفصـــل وتلخيص هـــذا الكلام أنها نفي وإثبات ، فأثبتَّ لزيد أكل الخبز المتصل به في الذكر ونفيت ما عداه ، فمعناه ما يأكل زيـــد إلا الخبز ، وإن قدمت المفعـــول ههنا فقلت : إنمـــا يأكل الخبز زيدٌ اختلف المعنى وانعكس مقصـــد الكلام فكأنك قلت : ما يأكل الخبز إلا زيـــدٌ فهذه المســـألة تخالف الأربعة الأقســـام التي ذكرها النحويـــون . لأن المعنى في جميع تلك الأقســـام قـــدِّمت أو أخـــرت واحـــد والمعـــنى في هذه المسألة مختلف ألا ترى أن معنى قوله تعالى : " إنما يخشى اللهَ من عبـــاده العـــلمـــاء " ليس كقولك : إنما يخشى العلمـــاءُ اللهَ لأنك إذا أخرت نفيت الخشيـــة عن غير العلمـــاء ، وإذا قدمت الفاعـــل نفيت الخشية أن تتعلق بغير الله سبحانه وتعالى.وهذا واضح لاخفاء فيه عند التأمل " .

وهذا ما يشير إليه الرضي من أنه يجب تأخير المفعول إذا وقع مفعول الفاعل بعد إلاّ نحو قولك : ما ضـــرب زيـــدٌ إلا عمراً وينبغي أن تعرف أولاً أنك إذا ذكرت قبل أداة الاستثناء معمولاً خاصاً للعامل فيما بعدها،وجب أن يكون ما لذلك المتقدم من الفاعلية أو المفعولية أو الحالية أو غير ذلك محصوراً في المتأخر،وما لذلـــك المتأخر من تلك المعاني باقياً على الاحتمال لم يدخله الخصوص ولا العموم،كما إذا قلت : ما ضرب زيـــدٌ إلاّ عمـــراً فضاربية زيد محصورة في عمرو أي ليس ضارباً لأحد إلا لعمرو وأما مضروبية عمرو فعلى

الاحتمال،أي يجوز أن يكون مضروباً لغير زيد أيضاً وبالعكس لو قلت : ما ضرب عمراً إلا زيدٌ، مضروبية عمرو مقصورة على زيد، أي لم يضربه إلا زيدٌ ،وضاربية زيد باقية على الاحتمال،أي يصح أن يكون ضارباً لغير عمرو أيضاً ،وكذا في ما جاء زيد إلا راكباً،يجوز أن يكون حال الركوب لغير زيد أيضاً ،بخلاف ما جاء راكباً إلا زيدٌ [١] .

◆ كما قال تعالى : يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه " " لم قدم الشهر الحرام ؟ و لم يقل يسألونك عن قتال الشهر الحرام ، وهم لم يسألوا عن الشهر إلاّ من أجل القتال فيه ؟ فكان الاهتمام بالقتال والتقديم له أولى في الظاهر ؟ والجواب أن يقال : إن هذا السؤال لم يقع إلا بعد وقوع القتال في الشهر ، وتشنيع الكفرة عليهم انتهاك حرمة الشهر ، فاغتمامهم واهتمامهم بالسؤال إنما وقع من أجل حرمة الشهر،فلذلك قدم في الذكر . [٢]

◆ وهناك فرق في المعنى بين قولنا " زيد هو منطلق"و"هو زيد منطلق"فالأولى فيها معنى التخصيص ، وليس في الثانية معنى التخصيص،وإنما فيها معنى التفخيم والتعظيم ، وقد ذهب بعضهم أن الشأن يفيد التوكيد إضافة إلى التفخيم ، والذي يبدو لي أن الغرض الرئيس منه هو التفخيم ، والضمير في الجملة الأولى ضمير فصل يعود على الاسم السابق عليه ويطابقه في التذكير،والتأنيث،والإفراد،والتثنية،والجمع والحضور،والغيبة ،بخلاف ضمير الشأن الذي يكون بلفظ الإفراد والغيبة ، وإنما قد يؤنث لما بعده قال تعالى : " فإنها لا تعمى الأبصار " (الحج ٤٦) وقال :" إنه لا يفلح الظالمون " (الأنعام ٢١) ولا يدل الضمير على اسم بعينه بل على الجملة التي بعده ، فلا يُقصد بـ (هو) (زيد) وإنما يقصد به الأمر " [٣]

◆ وهناك فرق في المعنى بين نعم الرجل زيدٌ وزيد نعم الرجل ، فالأولى أقوى مدحاً من الثانية،لأن المخصوص بالمدح ذكر مرتين ، مرة باحتواء العام عليه ومرة بذكره منفرداً .

◆ "ولا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها، فإن قلت : فإذا أفادت هذه ما لا تفيد تلك ، فليستا عبارتين عن معنى واحد بل هما عبارتان عن معنيين

---

(١) الرضي – شرح الكافية ، ج٢ ، ص ١٩٢ .

(٢) السهيلي – نتائج الفكر ، ص ٣١٣

(٣) فاضل السامرائي – معاني النحو ، ج١، ص ٥٨-٥٩

اثنين،قيل لك : إن قولنا المعنى في مثل هذا، يراد به ،الغرض ، والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه ، نحو أن تقصد تشبيه الرجل بالأسد فتقول : زيد كالأسد " ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول : كأن زيداً أسدٌ " فتفيد تشبيهه أيضاً بالأسد إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقـوة قلبه ، وأنه لا يروعه شيء ، بحيث لا يتميزعن الأسد ولا يُقصِّر عنه ، حتى يُتَوَهَّم أنه أسدٌ في صورة آدمي .

وإذا كـان هـذا كذلـك فانظر هل كانت هذه الزيادة وهذا الفرق إلاّ بما تُوُخِّي في نظم اللفظ وترتيـبه ، حيث قُدِّم الكاف إلى صدر الكلام وركبت مع " أنَّ" ؟ وإذا لم يكن إلى الشك سبيل أن ذلك كان بالنظم فاجعله العبرة في الكلام كلّه ، وَرُض نفسك على تفهُّم ذلك وتتبُّعه ، واجعل فيها أنّك تُزاولُ منهُ أمراً عظيماً لا يُقادَرُ قَدْرُه ، وتَدْخُلُ في بحر عميق لا يُدْرَك قعره " [١].

◆ " وتقول : " ما ضربَ زيداً إلاّ عمرو " و " ما ضرب عمـرو إلاّ زيداً " والفرق بينهما أنك إذا قلـت :" مـا ضرب زيداً إلا عمرو " فقدمت المنصـوب ، كان الغـرض بيـان الضـارب من هَـوُ والإخبـار بأنـه عمـرو خاصـة دون غيره ، وإذا قلت ما ضربَ عمـروٌ إلاّ زيـداً ، فقـدمت المـرفـوع كـان الغرض بيان المضروب من هو ، والإخبار بأنه زيد خاصة دون غيره ، ومثل ذلك قوله تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماءُ " [٢].

◆ "وحكـم المفعولـين حكم الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك تقول : لم يَكسُ إلاّ زيداً جبّةً ، فيكون المعنى أنه خص زيداً من بين الناس بكسوة الجبـة ، فإن قلت: لم يكسُ إلاّ جبةً زيداً " كان المعنى : أنه خص الجبة من أصناف الكسوة " [٣] .

◆ "ويمكـن تمـثل انـتقال اللغة من مستوى اللغة المثالية إلى مستوى اللغة الإبداعية ومن خلال تحليل الجـرجاني لقولـه تعـالى : " وجعلوا لله شركاء الجن " فهناك انتهاك للرتب بتحريك الألفاظ من أماكنها الأصـلية إلى أماكن أخرى أضفت على الدلالة طبيعة جمالية نفتقدها إذا ما عدنا بها إلى رتبها الأولى . فليس

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ٢٥٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤

خـــاف أن تقـــديم الشركاء له مزية نعدمها إذا نحن أخذناه فقلنا : " وجعلوا الجن شركاء لله " لأن التقديم أضفى إفادة لا سبيل إليها مع التأخير ، وبيان ذلك أن المعنى للجملة أنهم جعلوا الجن شركاء لله عبدوهم مع الله وهـــذا معـــنى يحصل مع التقديم والتأخير،لكن تقديم الشركاء يضيف إلى هذه الإفادة معنى آخر فقيل : جعلوا الجن شركاء لله لم يفد ذلك،ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله ، فأما إنكار أن يُعبد مع الله غيره وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه [١].

◆ كما قال تعالى : " إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون "(يونس٤٤)

فـــتقديم كلمة أنفسهم يخدم عدداً من الجهات فهو من حيث السبق يؤدي إلى توافق الفواصل القرآنية وهي آخـــر الآي مـــع الفواصـــل السابقة واللاحقة ، وتقديم كلمة أنفسهم كذلك يفيد تخصيص الناس لظلمهم أنفسهم،لأنك إذا قدمت الفعل فإنك تكون بالخيار في إيقاعه على أي مفعول أردت،بأن تقول ضربت زيداً أو عمـــراً أو بكـــراً... إلخ وإذا أخرت الفعل وقدمت مفعوله فإنه يلزم الاختصاص للمفعول،على أنك لم تضـــرب أحداً سواه ، هذا إذا حددنا وظيفة كلمة " أنفسهم " بأنها مفعول به للفعل يظلمون ، ويمكننا أن نقول إنها توكيد لكلمة الناس وفي الوقت نفسه تودي رعاية الفواصل وتوكيد الاختصاص بالظلم " [٢].

◆ "وكذلـــك الحكـــم(حكم الاختصاص)حيث يكون بَدَلَ أحد المفعولين جار ومجرور كقول السيِّد الحميري : لو خيَّر المِنبَرُ فُرســـانَـــه ما اختار إلا منـــكم فارســـاً

الاختصاص في منكم دون فارساً ، ولو قلت : ما اختار إلا فارساً منكم صار الاختصاص في الفارس " [٣].

وفي الأولى قصرنا الاختيار عليهم ، وفي الثانية قصرنا الاختيار على الفارس .

◆ ومثل ذلك قصر المبتـــدأ على الخبر وقصر الخبر على المبتدأ قال تعالى :" فإنما عليك البلاغ وعلينا الحســـاب " (الـــرعـــد ٤٠) وقال : " إنما السبيل على الذين يستأذنونك " (التوبة ٩٣) فإنك ترى الأمر

---

(١) محمد عبد المطلب - علم الأسلوب والبلاغة العربية ،ص ٢٢٩-٢٣٠

(٢) محمد حماسة - بناء الجملة ، ص ١١٣

(٣) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص ٣٤٤-٣٤٥

ظاهـــراً أن الاختصـــاص في الآية الأولى في المبتدأ الذي هو " البلاغ " و " الحساب " ، دون الخبر الذي هو "عليك " و "علينا" وأنه في الآية الثانية في الخبر الذي هو "على الذين" دون المبتدأ الذي هو " السبيل " [١].

" وتقـــول " ما زيد إلاّ قائم " فيكون المعنى أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها، بجعلها صفة له . وتقول : ما قائم إلا زيدٌ ، فيكون المعنى أن اختصصت زيداً بكونه موصوفاً بالقيام ، فقد قصرت في الأول الصفة على الموصوف ، وفي الثاني الموصوف على الصفة " [٢].

" وإذا قلت ما ضربَ زيداً إلاّ عمرو " كان غرضك أن تختص عمراً بضرب زيـــد لا بالضرب على الإطـــلاق ، وإذا كان كذلك وجب أن تعدي الفعل إلى المفعول،قبل أن تذكر عمراً الذي هو الفاعل ، لأن الســـامع لا يعقل عنك أنك اختصصته بالفعل معدّى حتى تكون بدأت فعدَّيته ، فأما إذا ذكرته غير معدّى فقلـــت : ما ضرب إلاّ عمرو (زيداً) فإن الذي يقع في نفسه،أنك أردتَ أن تزعمُ أنه لم يكن من أحدٍ غير عمرو ضرْب،وأنه ليس ههنا ضرْب إلا وضاربه عمرو فاعرفه أصلاً في شأن التقديم والتأخير " [٣] .

◆ ومن تأثير الرتبة في المعنى " قولنا " جاء رجل من ذوي السلطة يكتم أمره " فإن هذا التعبير يفيد أن الرجل من ذوي السلطة وأنه يخفي أمره . فإن قلت : جاء رجل يكتم أمره من ذوي السلطة " صار المعنى أنه يكتم أمره من ذوي السلطة وليس (هو) منهم " [٤] وسبب تغيُّر المعنى اختلاف ترتيب المباني في الجملتين : ففي الأولى هناك الفعل وفاعله وصفته الأولى ثم الثانية وفي الثانية هناك الفعل وفاعله وصفته ثم الجار والمجرور ، وقد تغيرت منزلة الكلمات وإعرابها كذلك ، مما أدى إلى تغير المعنى .

◆ ومثل ذلك أن تقول " جاء رجل من القرية " إذا أردت أنه من أهل القرية ، ولا يُشترط أن مجيئه كـــان من القريـــة ، فإن قـــدمت الجـــار والمجـــرور وقلت : جـــاء من القريـــة رجل " كان المجيء من القرية سواء كان الرجل من أهل القرية أم من غيرها " [٥].

---

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص٣٤٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٠

(٤) فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ص ٥٥

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٥

فالجـــار والمجرور في الأول صفة للرجل ، والموصوف يتقدم على الصفة ، وفي الثانية تعلق الاهتمام بالمكان فتقدم على الفاعل ، فهي ليست صفة لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف فانتفى كونها صفة وصار الجار والمجرور متعلقاً بالفعل فدلّ ذلك على المكان .

◆ ومثـــل ذلك " أظهرت حباً له " فإن هذا التعبير يحتمل أن حبُّا له قد أظهرته ولا يشترط أن تكون أظهرته له ، فإن قلت " أظهرت له حباً" كان المعنى أن الإظهار كان له [١]" وسبب ذلك أن المجرور في الثانية تعلق بالفعل وتقديمه دل على التخصيص . أما في الثانية فلا ، فقد تسلّط الفعل على المفعول .

◆ ومـــن ذلك أيضاً " أعطيت زيداً عمراً " فإن الآخذ زيد ، ولا يصح تقديم " عمرو " على زيد على أنه مفعول ثان مقدم لأن المعنى سيلتبس . قال صلى الله عليه وسلم في الأرقاء : " أن الله ملككم إياهم ولو شـــاء لملكهـــم إيـــاكمُ" فإن التقديم غيرَّ المعنى كما ترى،ونحو قول عثمان رضي الله عنه : " أراهمني الباطل شيطاناً " ولو قال أرانيهم لانعكس المعنى ، ومن هـــذا الباب نحو قولك : " لقيت محمداً مصعداً منحدراً " فالمصـــعد محمـــد والمنحدر أنا ولا يصح تقديم(منحدر)على(مصعـــد)لأن المعنى سيكون على غير المراد "[٢] وذلك لأن المباني تترتب بحسب قوة العلاقة المعنوية ، فالمصعد محمد لأنه سبق بمحمدٍ والمنحدر أنا .

و في ترتيب الأحوال خروجٌ عن الأصل من العام إلى الخاص .فقد أعطينا الأول للثاني وأعطينا الثاني للأول . وهـــذا فصـــلنا بين حالٍ واحد وصاحبه ، وهو أولى من إعطاء الأول للأول والثاني للثاني لأننا سنفصل بين صاحبي الحال وحاليهما .والفصل الواحد أولى من الفصلين .

◆ كما يظهـــر دور الرتبـــة في المعنى في قوله تعالى : " واشتعل الرأس شيباً " (مريم ٤) " فإن قلت : فمـــا السبب في أن كان " اشتعل " إذا استعير للشيب على هـــذا الوجه كان له الفضـــل ؟ ولِمَ بان بالمزيَّة من الوجه الآخر هذه البينونة ؟

فـــــإن السبب أنه يفيد مع لمعـــان الشيب في الرأس الذي هـــو أصل المعنى ،الشمـــول ، وأنه قد شـــاع فيه ، وأخذه من نواحيه ، وأنه قد استغرقه وعمَّ جُملته ، حتى لم يبق مـــن السواد شيء ، أو لم يبق مـــنه إلا مـــا لا يُعتَدُّ به ، وهـــذا ما لا يكون إذا قيل : اشتعل شيب الرأس أو الشيب في الرأس ، بل لا

---

(١) فاضل السامرائي – الجملة العربية ، ص ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

يوجب اللفظ حينئذٍ أكثر من ظهوره فيه على الجملة ، ووزان هذا أنك تقول:" اشتعل البيت ناراً " فيكون المعنى : أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول وأنها قد استولت عليه وأخذت في طرفيه ووسطه . وتقول : اشتعلت النارُ في البيت ، فلا يفيد ذلك ، بل لا يقتضي أكثر من وقوعها فيه وإصابتها جانباً منه،فأما الشمول وأن تكون قد استولت على البيت وابتزّته،فلا يعقل من اللفظ البته " [١].

" ومما يشهد لك بذلك من الشّعر قوله :

فكيف ؟ وكلٌّ ليس يعدو حِمامَهُ ولا لامرئٍ عمّا قضى الله مَزْحَلُ

المعنى على نفي أن يعدو أحد من الناس حِمامَهُ،بلا شُبهه، ولو قلت : " فكيف وليس يعدو كلٌّ حمامه ، فأخّرت كلاً لأفْسَدتَ المعنى ، وصرتَ كأنك تقول : إن من الناسِ من سلم من الحمام ويبقى خالداً لا يموت ،ومن البيِّن في ذلك ما جاء في حديث ذي اليدين حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أقُصِرَت الصلاةُ أم نَسيتَ يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : كلُّ ذلك لم يكن . فقال ذو اليدين : بعضُ ذلك قد كان " ، المعنى لا محالة على نفي الأمرين جميعاً ، وعلى أنه عليه السلام أراد أنه لم يكن واحد فيهما لا القصر ولا النسيان . ولو قيل : لم يكن كلُّ ذلك " ، لكان المعنى أنه قد كان بعضه "[٢] .

"واعلم أنك إذا أدخلتَ كُلاً في حيِّز النفي وذلك بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديراً ، فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف نفسه وإذا أخرجت " كلاً " من حيّز النفي و لم تدخله فيه لا لفظاً ولا تقديراً كان المعنى على أنك تتَّبعتَ الجملة ، فنفيت الفعل والوصف عنها واحداً واحداً .والعلة في أنْ كان ذلك كذلك ، أنك إذا بدأت " بكُلّ " كنت قد بنيت النَّفي عليه، وسلّطت الكُلِّيّة على النفي وأعملتها فيه ، وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي أن لا يَشِذَّ شيءٌ عن النفي فاعرفه " [٣].

◆ ولا يجوز تقدم الحال على عامله اسم التفضيل " وسبب ذلك سبب معنوي لأن الحال إن قُدِّمت انعكس المعنى مثال ذلك : محمد ضاحكاً أحسن من أحمد ، ومحمد أحسن من أحمد ضاحكاً فالمثال على تأخر الحال يعني : محمد أحسن من أحمد في حال الضحك ، وأحمد هو المتصف بالضحك ، لكن

---

(١) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ١٠١، وانظر حديثه في صفحة ١٠٢،١٠٣

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨١-١٨٣

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤-٢٨٥

المعنى مع تقدم الحال يصبح محمد في حال الضحك أحسن من أحمد ومحمد هو المتصف بالضحك ، فما قبل أفعل مفضل سواء كان في حال أم لا وما بعدها مفضل عليه سواء كان في الحال أم لا .

ويستثنى من الحكم السابق ما إذا فُضِّل شيء في حال ، على نفسه أو غيره في حال أخرى،فهنا يكون (أفعل) عاملاً في الحالين ، فالمدار إذن على المعنى فإذا فُضّل شيء أو شخص في حال وجب تقدم هذا الحال على أفعل وإلا ضاع المعنى " ولذلك لا يجوز تقدم الحال على عاملها أفعل التفضيل مطلقاً لأنها إن تأخرت تدل على معنى وإن تقدمت تدل على معنى آخر " [١] وهذا يدل على أن المباني تتسلسل بحسب تسلسل المعاني ففي المثال الأول ارتبط الضحك بمحمدٍ بينما في المثال الثاني ارتبط الضحك بأحمد .

◆ "وثمة فرق بين قولهم(أنا تميمي)و(تميمي أنا)فالأولى إخبار عن نفسه وأما الثانية فللفخر بنفسه وقبيلته . جاء في شرح الرضي على الكافية " وإذا كان تقدم الخبر يُفهم منه معنى لا يُفهم بتأخيره وجب التقدم نحو قولك (تميمي أنا) إذا كان المراد التفاخر بتميم أو غير ذلك مما يقدم له الخبر ، وعلى هذا فإن قول النحاة يجوز تقدم الخبر على المبتدأ ليس معناه أن تقدم متى شئت ولكنك تقدم إذا اقتضى الأمر التقدم "[٢].

أو بمعنى آخر أن الشكل اللغوي يتناسب مع ما قصد المتكلم من المعنى " وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها ترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني ، وتابعة لها ، ولاحقة بها ، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق " [٣] .

◆ وقال تعالى :" أرأيت من اتخذ إله هواه " (الفرقان ٤٤) لو جعلنا الهوى مفعولاً ثانياً ما دل على عبادة الهوى إلا احتمالاً لجواز أن يجعل المؤمن حينئذٍ هواه أي محبوبه أما المعنى المقصود فهو :جعل هواهُ إلهاً له " [٤] وعلى هذا ففي الآية تقدم وتأخير .

---

(١) محمود شرف الدين – الفعليات ، ص ٢٥٠ وكذلك ابن القيم – بدائع الفوائد ،ج٢، ص ١٢٤.

(٢) فاضل السامرائي – معاني النحو ، ج١، ص ١٥٣

(٣) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ، ص ٥٤

(٤) تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص ٤٣٩

ويظهـــر دور الرتـــبة في المعنى في قولنا : جاء الذي فاز بالجائزة صباحاً ، فالظرف مبني على الفعل فاز ، وهذا يعني أن الفوز كان في الصباح .

وإذا قلنا : جاء صباحاً الذي فاز الجائزة ، بنينا الظرف على الفعل جاء ، فالظرف للمجيء ، وهذا يعني أن المجيء كان وقت الصباح .

وإذا قلـــنا : جاءنا صديق من الجامعة يحمل أخباراً سارة ، فمن الجامعة وصف للصديق ، وإذا قلنا جاءنا من الجامعة صديق فشبه الجملة ظرف للمجيء .

وإذا قلـــنا جـــاء صديق يحمل أخباراً سارة من الجامعة صارت الأخبار من الجامعة ، ومن الجامعة ظرف للفعل يحمل .

وإذا قلنا فاز طالب من كلية الآداب بجائزة قيمة ، فالطالب من كلية الآداب ، وإذا قلنا : فاز طالب بجائزة قيمة من كلية الآداب ، فالجائزة من كلية الآداب .

وكـــل ما مرَّ يدل على أن الألفاظ تترتب بحسب ترتيب المعاني ، وأن تغيير مواقع الألفاظ يؤدي إلى تغيير المعاني ،أو يدل على أن تغييراً في المعنى قد حصل . ولذلك تغيَّر ترتيب الألفاظ فالألفاظ تابعة للمعاني .

النتائـــــج

توصلت الدراسة إلى تأكيد القضايا الآتية:

أولاً: النحو العربي يقوم – من ضمن ما يقوم عليه – على قانون الرتبة (المنزلة) وهو قانون تأليف الجمل أصلاً وعدولاً.

ثانيا: الجملة العربية تتألف نتيجة لعملية البناء، بناء الاسم على الفعل أو بناء الفعل على الاسم، وهي تترتب من الخاص إلى العام أصلاً ومن العام إلى الخاص عدولاً بناءً على الأهمية وقوة العلاقة المعنوية.

ثالثاً: يخضع ترتيب الجملة للضابط المعنوي غالباً وللضابط اللفظي أحياناً وهذان الضابطان يتحكمان في الكلام المتراتب نحوياً ومعنوياً، أصلاً وعدولاً.

رابعاً: اللغة نظام يقوم على ترابط الألفاظ بسبب قوة العلاقة المعنوية، وقواعد اللغة فطرية ذهنية عالمية.

خامساً: الخروج عن الأصل ليس شكلياً، فقد يكون لهدف معنوي أو بلاغي أو لأمن اللبس.

سادساً: الألفاظ تابعة للمعاني، والإعراب ينبع من المعنى الدلالي العام غالباً.

سابعاً: الجملة الشرطية وكذلك الظرفية تتكون نتيجة العدول عن الأصل.

ثامناً: وجود علائق قوية بين الأنظار اللغوية العربية القديمة والأنظار اللغوية الحديثة.

بسم اللـه الـرحـمن الـرحيم

قائمة المصادر والمراجع

١- المصـــادر :

أ – المصادر المخطوطة :-

١- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٨ هـ)- مخطوط رقم ١٣٧ نحو، شـــرح كتـــاب ســـيبويه، نحو،٦مج،دار الكتب المصريّة.

ب– المصادر المطبوعة :-

١- القرآن الكريم .

٢- أحمد شوقي ،(ت ١٩٣٢)- ديوان احمد شوقي،د.ط،٢مج،مداخلة وتحقيق إميل. أ. كبـــا، دار الجيل، بيروت – لبنان، د.ت.

٣- الأشموني ، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد بن عيسى (ت ٩٢٩ هـ) – شرح الأشمـــوني، ط١، ٤م، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م .

٤- الأعلم الشنتمري ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ)- النكت في كتاب سيبويه ، ط١ ، ٢م، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربيـــة والثقافـــة والعلـــوم ، الكويت ، ١٩٨٧م .

٥- الأنباري، أبوالبركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد (ت ٥٧٧ هـ)- أســـرار العربيـــة ، ط١، ١م ، تحقيق فخر صالح قدارة ، دار الجيل ، بيروت – لبنان، ١٩٩٥م .

٦- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد (ت ٥٧٧هـ)- الإنصاف في مســـائل الخلاف، د.ط، ٢م، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.م، د.ت .

٧- امرؤ القيس، حندج بن حجر (ت٥٤٠م) – ديوان امرؤ القيـــس، ط٧، ١م، تحقيـــق حســـن السندوبي، المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان ، ١٩٨٢م.

٨- البحتري، الوليد بن عبيد (ت٢٨٤هـ)- ديوان البحتري، د.ط، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ١٩٦٣م.

٩- البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)- خزانـــة الأدب، ط١، ١٣م، تحقيـــق وشـــرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٠- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمرو (ت ٨٨٥ هـ) – نظم الـدرر، ط١، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٩٧٢م .

١١- التوحيدي، أبو حيان (ت ٣٧٥ هـ) – الإمتاع والمؤانسة، د.ط، تحقيق أحمد أمـــين وأحمـــد الزين، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د . ت .

١٢- الثمانيني، عمر بن ثابت (ت ٤٤٢هـ)- الفوائد والقواعد، ط١، ٢م، دراسة وتحقيـــق عبـــد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م .

١٣- الجـــرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) - أسرار البلاغة ، ط١، ١مج، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة ، ١٩٩١م .

١٤- الجـــرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) - دلائل الإعجاز، ط، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، دار المدني – جدة ، ١٩٩١م .

١٥- الجـــرجاني، عـــبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) - المقتصد في شرح الإيضاح، د . ط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م .

١٦- ابـــن جـــني ، أبـــو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـــ) ، الخصائص ، د. ط ، ٣م ، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية ، د. م ، ١٩٥٢م .

١٧- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)- اللُّمع، ط١، ١م، تحقيق حسين محمد شرف، كلية دار العلوم-جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.

١٨- أبـــو حيان، محمد أثير الدين بن يوسف الغرناطي (ت٧٤٥هـــ)- ارتشاف الضرب، ط١، ٥مج، تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨.

١٩- أبـــو حـــيان، محمد أثير الدين بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥ هـــ)- البحر المحيط، ط١، ٩م، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.

٢٠- الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠ هـــ) – درة التنزيل وغرة التأويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥م .

٢١- ابـــن أبي الربيع، أبو الحسن عبيد الله بن أحمد الإشبيلي (ت ٦٨٨ هـــ)- البسيط في شرح جمل الزجاجي،ط٢،١م ، تحقيق عياد الثبيتي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م.

٢٢- الرضي، محمد بن الحسن نجم الملة والدين الأستراباذي (ت ٦٨٨ هـــ)- شرح الكافية، ط٢، م٥ ، تحقيق يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس – بني غازي ، ١٩٩٦م.

٢٣- ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس (ت٢٨٣هـ)- ديوان ابن الرومي، ط١، ٦م، شرح وتحقيق عبدالأمير علي مهنا، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.

٢٤- الزجاجـــي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (ت ٣٣٧ هـــ) – الجمل في النحو، ط٥، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٩٦م.

٢٥- الزجاجـــي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (ت ٣٣٧ هـــ)- الإيضاح في علل النحو، ط٢، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت – لبنان، ١٩٧٩.

٢٦- الزركشـــي، بدر الدين محمد عبد الله (ت ٧٩٤ هـــ) – البرهان في علوم القرآن ،د . ط، ٤م ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٨م .

٢٧- الزمخشـــري، أبـــو القاسم محمود بن عمر جار الله (ت ٥٣٨ هـــ)- الكشاف ، ط١ ، تحقيق الشـــيخ عـــادل أحمـــد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوَّض ، مكتبة العبيكان ، الرياض – السعودية ، ١٩٩٨م.

٢٨- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٤٨٦ هـ) – شرح المعلقات السبع ، د . ط، دار الجيل، بيروت– لبنان، د . ت .

٢٩- أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب (ت١٧٠هـ)- جمهرة أشعار العرب، د.ط، ١مج، دار المسيرة، بيروت – لبنان ،١٩٧٨م.

٣٠- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري (ت ٣١٦ هـ) – الأصول في النحو، ط٣، ٣مج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.

٣١- السكري ، أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت٢٧٥أو٢٩٠هـ) – شرح أشعار الهذليين ، د.ط ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر ، مكتبة خياط ، بيروت – لبنان، د. ت.

٣٢- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨٣ هـ)- نتائج الفكر في النحو، د . ط، تحقيق محمد البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

٣٣- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) – الكتاب ، ط٣ ، ٥مج، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ١٩٨٨م.

٣٤- السيوطي ، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)- الأشباه والنظائر، د . ط، تحقيق عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق – سوريا، ١٩٨٥م.

٣٥- السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن جلال الدين بن أبي بكر (ت٩١١هـ)- الإتقان في علوم القرآن، د.ط، ٣مج، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا-بيروت،١٩٨٨م.

٣٦- الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي(ت ٧٩٠ هـ)- المقاصد الشافية في شرح ألفية بن مالك، ط١، تحقيق عياد الثبيتي، مكتبة دار التراث، مكة المكرمة،د.ت.

٣٧- الشريف الجرجاني، علي بن محمد – التعريفات د.ط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٣٨- الصبان ، أبو العرفان محمد بن علي (١٢٠٦ هـ)- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، د. ط، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٧م .

٣٩- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم (ت٢١٠هـ)- ديوان أبي العتاهية، ط١ ، ١مج، شرح عمر فاروق الطباع، دار الأرقم ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٧م.

٤٠- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي (ت ٦٦٣ هـ) – شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجمهورية العراقية، سلسلة إحياء التراث الإسلامي (٤٢) .

٤١- ابن عقيل، أبو عبد الرحمن عبد الله بهاء الدين بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩ هـ) – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، د.ط، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠٠٠م .

٤٢- ابن عقيل ، أبو عبدالرحمن عبدالله بهاء الدين بن عبدالرحمن (ت٧٦٩هـ)- المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق محمد بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى، دار المدني،١٩٨٤م.

٤٣- العكبري ،أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسين (ت ٦١٦هـ) – إعراب الحديث النبوي ، ط٢، تحقيق حسن موسى الشاعر ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة – السعودية ، ١٩٨٧م .

٤٤- العكبري، أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسين (ت ٦١٦هـ) – التبيان في إعراب القرآن، ط١، ٣مج، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م.

٤٥- العكبري، أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسين (ت ٦١٦هـ) – اللباب في علل البناء والإعراب، د.ط،٢مج، تحقيق غازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥م .

٤٦- العلائي ، صلاح الدين خليل بن كيكلدي (ت ٧٦١ هـ) – الفصول المفيدة في الواو المزيدة، ط١، ١مج، تحقيق حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان – الأردن، ١٩٨٩م .

٤٧- العلوي – يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم، الطراز ، ط١ ، ١مج، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥م .

٤٨- ابن الفارض، أبو حفص عمر بن علي السعدي (ت٦٣٢هـ)- ديوان ابن الفارض ، د.ط، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان – الأردن،١٩٨٥م.

٤٩- الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) – معاني القرآن ، د .ط ، ٣مج، تحقيق عبد الفتاح شلبي ، مراجعة علي النجدي ناصف، د.ت.

٥٠- الكرماني ، محمود الدين حمزة بن نصر (ت بعد ٥٠٠ هـ)- البرهان في متشابه القرآن ، ط٢، ١مج، تحقيق أحمد عز الدين ،ط٢، الصادر ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٦م.

٥١- ابن القيم ، أبو عبد الله بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) – بدائع الفوائد ، عني بتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، د . ت .

٥٢- ابن مالك ، أبو عبد الله محمد بن جمال الدين بن عبد الله الطائي (ت ٦٧٢ هـ)- شرح التسهيل،ط١،٣مج، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠١م .

٥٣- المتنبي، أحمد بن الحسين (ت٣٥٤هـ)- ديوان المتنبي العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، د.ط، تحقيق الشيخ ناصيف اليازجي، دار القلم، بيروت-لبنان، د.ت.

٥٤- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)- المقتضب، ط٢، ٤ مج، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ١٩٧٩م .

٥٥- المجاشعي، أبو الحسن علي بن فضّال (ت٤٧٩هـ)- شرح عيون الإعراب، ط١، ١مج، تحقيق حنا حداد، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ١٩٨٥م.

٥٦- المعري، أبو العلاء (ت٤٤٩هـ)- اللزوميات،د.ط، ٢مج،تحقيق أمين الخانجي،مكتبة الخانجي،القاهرة، ١٩٤٢م.

٥٧- الميداني، أبو الفضل النيسابوري (ت٥١٨هـ)- مجمع الأمثال، ط٣، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، ١٩٧٢م.

٥٨- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)- لسان العرب ، ط١، دار صادر، بيروت– لبنان، ٢٠٠٠م.

٥٩- ابن الناظم ،محمد بدر الدين بن محمد (ت ٦٨٦ هـ)- شرح الألفية ، د .ط ، تحقيق محمد باسل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د . ت .

٦٠- أبو نواس، الحسن بن هانئ (ت٨١٣م)- ديوان أبي نواس، د.ط، ٢مج، تحقيق إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ١٩٩٥م.

٦١- ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) – أوضح المسالك،د .ط، ٤مج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت – لبنان ، د . ت .

٦٢- ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) – رسالة في توجيه النصب ، ط١، تحقيق حسن موسى الشاعر ، دار الأرقم ، عمان – الأردن ، ١٩٨٤م .

٦٣- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)- المغني، د . ط، ٢مج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الباز ، د . ت .

٦٤- ابن يعيش، أبو البقاء يعيش موفق الدين بن علي (ت ٦٤٢ هـ)- شرح المفصل، دار صادر، إدارة الطباعة المنيرية، مصر .

٢- المـــراجـــــع العربية:

١- أحمد الهاشمي - جواهر الأدب ، ط٦ ، د .م . د . ت .

٢- إميل بديع يعقوب — المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، ط٢، ٣م، دار الكتب العلميـــة، بيروت — لبنان، ١٩٩٩م.

٣- تمام حسان - الأصول ، د . ط ، دار الثقافة ،الدار البيضاء - المغرب ، د . ت .

٤- تمام حسان - البيان في روائع القرآن ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة — مصر ، ١٩٩٣م .

٥- تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٩م .

٦- الجابري، محمد عابد- بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربيـــة، بـــيروت — لبنـــان، ١٩٩٢م.

٧- حصة الرشود - الوجوب في النحو ، ط١، جامعة أم القرى — معهد البحوث العلميـــة ، مكـــة المكرمة —السعودية ، ٢٠٠٠م .

٨- حميد العامري - التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة — آفـــاق عربية ، بغداد — العراق ، ١٩٩٦م.

٩- خديجة الحديثي - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ، د . ط ، دار الرشيد للنشر ، سلســـة دراسات (٢٦٥) ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨١م .

١٠- خليل عمايرة - في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، ط١ ، عالم المعرفـــة ، جـــدة — الســـعودية ، ١٩٨٤م.

١١- الشيخ خليل ياسين - أضواء على متشابهات القرآن ، د . ط ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت — لبنان ، د . ت .

١٢- سعيد بحيري -عناصر النظرية النحوية ، ط١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ١٩٨٩م .

١٣- شكري عياد - اللغة والإبداع ، ط١ ، إنترناشونال برس ، ١٩٨٨م .

١٤- عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي - الشرط في القرآن الكريم ، د . ط ، الدار العربيـــة للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ١٩٨٥م .

١٥- عبد العظيم المطعني- خصائص التعبير القرآني ، ط١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة — مصر ، ١٩٩٢م .

١٦- عز الدين مجذوب - المنوال النحوي العربي ، د . ط ، كلية الآداب — سوسة — تونس ،د .ت

١٧- علي أبو المكارم - أصول التفكير النحوي ،د .ط ، منشورات الجامعة الليبية — كلية التربيـــة ، ١٩٧٣م .

١٨- عودة أبو خليل - بناء الجملة في الحديث النبوي ، د . ط ، دار البشـــير ، عمـــان — الأردن ، ١٩٩٠م .

١٩- فاضل الساقي - أقسام الكلام العربي ، د.ط ، مكتبة الخانجي ، القاهرة — مصر ، ١٩٧٧م .

٢٠- فاضل السامرائي - التعبير القرآني ، د . ط ، دار عمار ، عمان — الأردن ، ١٩٩٨م .

٢١- فاضل السامرائي - الجملة العربية ، ط١ ، دار الفكر ، عمان — الأردن ، ٢٠٠٢م .

٢٢- فاضل السامرائي - معاني النحو ، ط١ ، دار الفكر ، عمان — الأردن ٢٠٠٠م .
٢٣- الفهري ، عبد القادر الفاسي - اللسانيات واللغة العربية ، د.ط ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء — المغرب ، ١٩٨٢م .
٢٤- لطيفة النجار- دور البنية الصرفية ، ط١ ، دار البشير ، عمان — الأردن ، ١٩٩٤م .
٢٥- مازن الوعر - نحو نظرية لسانية عربية للتراكيب ، ط١ ، دار طلاس للدراسات والنشر ، دمشق — سوريا ، ١٩٨٧م .
٢٦- ماريوباي - لغات البشر ، ترجمة الدكتور صلاح العربي ، د . ط ،القاهرة — مصر ، ١٩٧٠م .
٢٧- محمد أبو حمدة - في التذوق الجمالي للامية العرب ،ط١ ، مكتبة الأقصى ، عمان — الأردن ، ١٩٨٢م .
٢٨- محمد حماسة - بناء الجملة العربية ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة — مصر ، ١٩٩٦م .
٢٩- محمد حماسة - النحو والدلالة ، ط١ ، كلية دار العلوم ، القاهرة — مصر ، ١٩٨٣ م.
٣٠- محمد طنطاوي - نشأة النحو ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة — مصر ، د . ت .
٣١- محمد عبد الخالق عضيمة - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، د . ط، دار الحديث ، القاهرة — مصر ، د .ت .
٣٢- محمد عبد المطلب - البلاغة والأسلوبية ، ط١ ، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٤م .
٣٣- محمد محيي الدين عبد الحميد - عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، ط٥ ، ١٩٧٩م .
٣٤- محمود السمرة ونهاد الموسى - كتاب العربية ، ط١ ، وزارة الثقافة — سلطنة عُمان ، ١٩٨٥م.
٣٥- محمود شرف الدين - الفعليات ، ط١، دار مرجان ، القاهرة — مصر ، ١٩٨٠م .
٣٦- محمود نحلة - نظام الجملة في شعر المعلقات ، د . ط ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية — مصر، ١٩٩١م .
٣٧- مصطفى الدباغ - وجوه من الإعجاز القراني ،ط١، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن،١٩٨٢م.
٣٨- ممدوح الرمالي - العربية والوظائف النحوية ، د . ط ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦م .
٣٩- نازك الملائكة - قضايا الشعر المعاصر ، ط٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت — لبنان ، ١٩٨٣م .

٣- الدوريـــــات :

١. داود عبده- البنية الداخلية للجملة الفعلية في العربية، أبحاث، العدد ٣١، الجامعة الأمريكية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت — لبنان ،١٩٨٣م، ص ٣٧ — ٥٣ .
٢. عبد العزيز حمودة- المرايا المقعرة ، عالم المعرفة ، ع٢٧٢، الكويت، أغطس ٢٠٠١، ص ٢٣٩.
٣. فارس عيس - المعنى اللغوي وعناصر تحديده، مجلة البلقاء، م١، ع٢، جامعة عمان الأهلية — عمان، أيار ١٩٩٢م ، ص ١١٣- ١٣٧ .
٤. فلوريان كولماس - اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، مراجعة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، ع٢٦٣، الكويت ، تشرين الثاني ، ٢٠٠٠م .

Abstract

The Order Role in the Syntactic Phenomenon

By

Azzam M. Ishraideh

Supervisor

Pr. Dr. Hasan M. Al sha'er

This study dealt in the topic of "Role of the Order in the Syntactic Phenomenon", a theoretical and applied study, since grammarians leaned on the order in their establishment of the grammatical phenomenon. This study is based on an original leading to that both ancient and modern views depended on the functional position in building the abstract Arabic Grammar Structure.

The study consisted of three chapters. Chapter one, the sentence system in the Arabic language that comprised three topics .Chapter two: surpassing the origin, consisted of two topics. Chapter three: role of the order in the grammatical phenomenon, which consisted of three topics.

The study was concluded in the assurance of the following Results.

1- Arabic Grammar is based- among other things- on the "Order Law', which is the law of composing sentences, originally and obviating the origin.

2- The Arabic sentence is coined as a result of the syntax process: building the noun upon the verb or the verb upon the noun. It is originally arranged from the "special (near) to general (far)", and from the "general to the special" based on the importance and the strength of the meaning relationship.

3- The sentence order is mostly governed by the meaning controller and sometimes by the verbal one. These two controllers govern speech, which is orderly made, grammar and meaning wise, originally and obviating the origin.

4- Language is a system based on the linkage of the vocabularies as a result of the meaning relationship strength, and language rules, innate, intellectual and universal.

5- Surpassing the original rules is not superficial; rather it could be for a meaning, rhetoric purpose, or for avoiding confusion and ambiguity.

6- Vocabularies belong to the meanings, and inflection mostly springs from the general semantic meaning.

7- The conditional sentence as well as the adverbial sentence is formed as a result of obviating the origin.

8- There are strong relationships between the old Arabic linguistics and the modern ones.